أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٣١) ذوالقعدة ١٤٣٠هـ - نوفمبر ٢٠٠٩م



الصالح يكرِّم المشاركين في العشر الأواخر



الأدب الكويتي في ذاكرة التاريخ

الفكر الإسلامي وخطاب التجديد



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

الوعي الإسلامي على C.D

بشرى سارة

قراءنا الأعزاء نزف إليكم بشرى صدور C.D بصيغة pdf لتوثيق مسيرة المجلة التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة خلال ٤٦ عاما

٤٦ عاماً من العطاء
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي
الجزء الثاني
الأعداد من (٣١٣) إلى (٥٢٦)

الوعي الإسلامي
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي
٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الرابع
من العدد (٤٢١) إلى (٥٢٦)
www.alwaei.com

الجزء الثالث
من العدد (٣١٣) إلى (٤٢٠)
www.alwaei.com

الجزء الثاني
من العدد (١٥٧) إلى (٣١٢)
www.alwaei.com

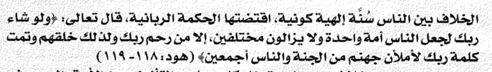
الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي

احصل على نسختك الآن عند الاشتراك في المجلة

٤٦ عاماً من العطاء
الجزء الأول
الكشاف العام + العدد (١) إلى (١٥٦)
www.alwaei.com

الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩
info@alwaei.com - www.alwaei.com

الإختلاف



الخلاف بين الناس سُنَّة إلهية كونية، اقتضتها الحكمة الربانية، قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (هود: ١١٨- ١١٩)

ودعوى عدم وجود خلاف هي حلم يتمناه كل مسلم، والتأليف بين الأمة والسعي في التوفيق بينها وجمع شملها على الحق والتقريب بين فئاتها المختلفة والمتنازعة هي من أعظم الأمور وأفضل أبواب الخير، ولقد كان الأعداء يؤججون هذا الصراع ويحصدون نتائجه، والمسلمون لا يحصدون سوى الخيبة والفشل، ولاشك أن الإسلام رسم للأمة طريق وحدتها واجتماعها، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وما حصل ما نراه من التفرق والخلاف إلا بالبعد عن المنهج الرباني الذي بيَّنه- سبحانه- في كتابه الكريم الذي يلجأ إليه المسلمون عند الاختلاف والنزاع، فالتفرق يتحول بالضرورة إلى خصام فعداء، ويبعدنا عن الحصول على ثرواتنا والاستفادة منها، وهي موجودة، ويبعدنا كذلك عن الاستفادة من القوة والعطاء، والاستهانة والتجرؤ على الأمة.

والبغي والتنافس على الدنيا ورئاستها، والوجاهة وسائر الشهوات، والتعصب المذموم للأسماء والأشخاص، من أعظم أسباب الخلاف والاستطالة، ومن تأمل التاريخ عرف هذا، وهناك جهود خفية مستمرة منذ زمن طويل تبذل لتفريق المسلمين وتفريغ قوتهم، والقضاء على حضارتهم الأصيلة، فالأفكار والانتماءات الدخيلة فتكت بالأمة، وزرعت فيها المشاعر العصبية والأنانية الاجتماعية.

فلابد من دراسة علمية منهجية توضح الرؤية، وتبيِّن الطريق، ليكون التقريب والتوفيق، إن أمكن، على بيِّنة ومنهج واضح، ومن الضروري أن تتكاتف جهود الباحثين لكشف أسباب الخلاف وأصوله التي وضعها أعداء الإسلام، وأن يُسد الفراغ في حياتنا بقاعدة راسخة من المبادئ التي تشكل قاسما مشتركا يؤمن به ويخضع له الجميع، فتصبح في حياتنا كالميزان الذي يحتكم إليه الطرفان كلما اختلفا على أمر، فلا تدع شيئا من الخلافات، وأن تذاب الآراء والجهات المتخالفة حتى يقضى على آفاتها ونذر الشقاق فيها، فالجهد الجماعي لا يثمر إلا إذا كان في وحدة حقيقية مترابطة.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٣١
العام السادس والأربعون
ذو القعدة ١٤٣٠ هـ
نوفمبر ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

مدير التحرير
ياسر يعقوب الضويحي

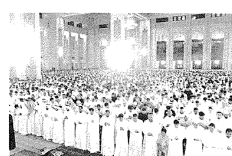
سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com





التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف

الخطاب الإسلامي المعاصر في حاجة ماسة إلى رؤية فلسفية مرتبطة بالماضي ومستشرفة المستقبل لتقديم صورة ذهنية إيجابية عن حقيقة الإسلام الناصعة، وما يقدمه من أجل سعادة البشرية.



داخل العدد

كلمة العدد

الكتابة الناقدة

يقول حكيم: لا درس أحق بالعناية ولا عادة أجدر بالاكتساب من ملكة الحكم الصحيح على الأشياء ووضع لذتنا في الأخلاق العظيمة والأعمال النبيلة.. هذه المقولة تؤكد ضرورة النظر بعين شاملة قبل إبداء الآراء وعرض الأفكار، خاصة أن مجتمعاتنا في زماننا الحالي غصت بالغث والسمين من الكتابات غير المسؤولة تحت مسمى «حرية الرأي».

فقد لوحظ ازدياد حركة النقد الهدام الموجه لكل ما هو ناجح باستخدام وسائل الإعلام المختلفة الصادرة بأسماء وهمية أو حقيقية لدرجة تصل إلى حد التشهير الفاضح والقذف الواضح.

ونحن لا نختلف على أن النقد والنصح مطلوبان، باعتبار أنه لا تقوم قائمة لأي أمة بغير نصح، ولا يمكن لمجتمع أن يسير سيراً سليماً بدون نقد، وكلاهما يعتبر «صافرة» إنذار تنبئ بالخطر قبل قدومه، وتنذر بسوء النتائج، والقرآن شخص طبيعة هذه التجربة بطلبه من الناس تضييق نطاق الخطأ، وطلبه من الناقدين أن يختاروا أسلوب التجريد غير المخصص الذي كان يستعمله الرسول ﷺ في قوله «ما بال أقوام...» والبعيد عن التعميم المطلق.

وينبغي الأخذ في الاعتبار سهولة القول في مجتمعاتنا، وصعوبة العمل والفهم، فلو عملنا بمقدار كلامنا لما كان هذا حال الأمة العربية والإسلامية، لذا تجد كثرة في الصحف والكتب والأقلام، ولكن أكثرها كغثاء السيل، لا يقدم وإنما يؤخر بإيهامنا بأننا أنظمة القوانين والتشريعات، والحقيقة تكشف زيف خيالنا الأعمى.

إن الإسلام بمفهومه وشموله سائر في طريقه الصحيح ومنهجه القويم، سواء نقده المناوئون أو نشروا سلبيات أتباعه بأسلوب التعميم المطلق، لأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء، ولن يفلح كيد الكائدين ولو طال الزمان.

«الوعي الإسلامي»

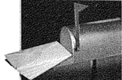
الأسعار

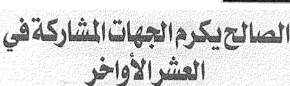
•الكويت : ٥٠٠ فلسا •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريال •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)





الصالح يكرم الجهات المشاركة في العشر الأواخر



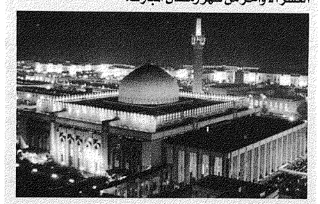


كرم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية وكيل التطوير والتدريب المساعد إبراهيم الصالح الجهات المشاركة في فعاليات العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك في المسجد الكبير.

وأكد الصالح أن الله اختص بعض الأزمنة بخصوصيات ربانية، ومنها شهر رمضان خاصة العشر الأواخر منه، ومن تلك الخصوصيات ليلة القدر التي تزيد في عمر المسلم ٨٣ عاما عبادة خالصة، فمن حرم خيرها فهو المحروم، معتبرا أن العشر الأواخر من رمضان هبة منحها الله للأمة الإسلامية.

وبين أن شهر رمضان هو رسالة عظيمة من الله سبحانه وتعالى للأمة الإسلامية، ففي أيام هذا الشهر المبارك يتغير سلوك الإنسان المسلم إلى الأحسن حتى يصبح قريبا بطاعته من الله، موضحا أن الأمة الإسلامية بشعوبها وأفرادها وحكامها مطالبة بأن تستثمر الأجواء العبادية النورانية التي تمنحها الطاعات في رمضان للإنسان طوال العام حتى تعم الرحمة والتواضع واللين وحسن التعامل في معاملات المسلمين.

وأشاد الصالح بالجهات المشاركة في المسجد الكبير لاسيما جميع الوزارات التي ساهمت في نجاح هذا العرس الإيماني في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك.



حول تجارة البشر

«إسرائيل وجهة أساسية لتهريب النساء والرجال لتجارة السخرة والاستغلال الجنسي» إلى هذا أشار التقرير الأخير الصادر عن وزارة الخارجية الأميركية حول تجارة البشر.

أي إن إسرائيل ليست واحة سلام كما يزعم مسؤولوها، بل هي بؤرة فساد.

بل إن بعض الضحايا من العمال من الصين ورومانيا وتركيا وتايلند والفلبين وسيرلانكا والهند الذين يهاجرون الى اسرائيل بشكل قانوني للعمل في مجال البناء والزراعة والخدمات الصحية يتعرضون لأشد أنواع التنكيل، فقد يتم الاستيلاء على جوازات سفرهم ومنعهم من التنقل، ويحرمون من الرواتب ويتعرضون للإرهاب الجسدي والتهديد المستمر، هذه حقيقة الدولة العبرية كما وصفها تقرير الخارجية الأميركية ومكتب الأمم المتحدة.

ولكن ماذا بعد؟ هل يجرأ أحد على محاسبتها أو فرض عقوبات عليها؟ بالطبع لا.. فالدولة العبرية تعيث في الأرض فسادا، تقتل الفلسطينيين وتسرق الأراضي وتهرب النساء من الاتحاد السوفييتي السابق والصين لاستخدامهن في البغاء، كل هذا ولا تعير اهتماما لأحد، لا النقد ولا العتاب ولا الكلمات المتضمنة تهديدا، هكذا تفعل إسرائيل بفعل التأييد المستمر من دول العالم «الحر» ولتسقط الشعارات حول حرية الإنسان ومنع السخرة ومحاربة البغاء، إلا إسرائيل.. فهي إسرائيل.. وهذا يكفي.

■ **محمد السيد عامر**

فن الاستماع عند المستمع الجيد

الاستماع هو أحد المهارات الأربع الرئيسية للاتصال الإنساني، بالإضافة للتكلم، والقراءة، والكتابة، فأنت وأنا نكون في مشكلة حقيقية لو أن نظرية النصف هذه صحيحة!! لأن معنى ذلك أن نسبة ما نتذكره مما نسمعه تكاد تنعدم!

وهذه المشكلة الحقيقية تأتي نتيجة لأن الفرد لا ينصت جيدا لاستيعاب ما يسمع، فيفقد القدرة على فهم ما يسمع، وبالتالي يفقد القدرة على الحوار والتعامل مع المحيطين به في أي مجال من مجالات الحياة، ومنها الدراسة والعمل والأسرة والأصدقاء... إلخ.

لقد منحنا الله سبحانه هبات متعددة، والاستماع منها، ولكن مشكلة غالبية الناس هي رغبتهم في التكلم أكثر من الاستماع، مفترضين أن على الآخرين أن يستمعوا إليهم دائما، وهم يواصلون الكلام دون توقف!

يتصور بعض الناس أنهم مشغولون جدا، ولا وقت عندهم للاستماع، وأن كل وقتهم يجب أن يكون في التحدث فقط! فليس واجبا محتما على الآخرين الاستماع إليهم، حتى لو كانوا مرءوسيهم أو طلبة عندهم، فيمكن للمستمع أن يبدو وكأنه ينصت باهتمام شديد، في الوقت الذي يسرح بخياله بعيدا عن



الأمانة في العمل الإداري

لقد تطور علم وفن الإدارة في السنوات الأخيرة تطورا ملحوظا وهائلا، بما استوجب أن يلم كل مسؤول في موقعه، ولو إلماما مجملا، بهذا العلم، أصوله وقواعده، نظرياته ومناهجه، وبهذا الفن وكل ما يحويه من وسائل وطرائق وأدوات وتقنيات، وأن يحاول دائما معرفة وتطبيق كل ما هو جديد، مما يخدم العملية الادارية ويجعلها تسير في انسياب وتناسق وبالتالي يمكن أن يحقق الأهداف المرجوة.

لكنه يجب علينا، نحن المسلمين، ان نعظم قيمة الأمانة في العمل الإداري على كافة المستويات وفي جميع المراحل، انها السلاح العظيم والذخيرة القوية التي تجعل العضو الإداري أمينا دائما مع الجميع، أمينا لا يغش ولا يسرق ولا يفشي سرا، أمينا في عرض القضايا وحل المشكلات ومواجهة الأزمات، مخلصا في كل اعماله محافظا على مواعيده، موفيا بالتزاماته، متفانيا في عمله لدرجة الذوبان حتى إن لم يحصل على الأجر المجزي، وحتى لو اضطر أن يعيش حياة الكفاف، تلك الأمانة التي تجعل القائد أو المدير مسؤولاً عن رعيته موجها لطاقاتهم، شاحذا لهممهم، متفقدا لشؤونهم، متعاملا مع قضاياهم، يعيش بينهم كواحد منهم، محبا لهم ومربيا لهم، يعالج منهم المريض، ويصلح منهم الفاسد، ويقوم منهم المعوّج، ويهدي منهم التائه، ويقوي منهم الضعيف، وهذه الأمانة لا تتجزأ أبدا، وكيف تتجزأ وباعثها هو الإيمان الذي يصنع الأبطال ويحقق المعجزات والخوارق.

إنها الأمانة التي ذكرها المولى سبحانه وتعالى في سورة القصص

﴿يأبت استئجره إن خير من استئجرت القوي الأمين﴾.

■ محمد علي الشريف

المتحدث المتسلط، الذي يضيع وقته ووقت المستمعين إليه، وكأن ذلك المتكلم دائما يظن أنه يعرف كل شيء، وأن اهتمامه الأول هو أن يقول، وأن يظل يقول، على أن يستمع له الآخر، الذي يتمنى أن يصمت الأول ويستمع إليه بدوره، فيكون هناك حوار حقيقي.

ويقاس تحضر الفرد بمدى استماعه للآخر، وليس بقدرته الكلامية التي لا تتوقف! والانسان الذي يدرب نفسه على الاستماع، هو أكثر رقيا واحتراما لنفسه، وله أصدقاء أكثر من الذي «بلع راديو»! كما أن فرص النجاح أمامه أكثر على المدى الأطول، حتى لو نجح «بالع الراديو» بشكل أسرع ولكن لمدة اقصر، فسينفض عنه الناس بعد امتعاضهم منه!

فالشخص الحكيم يزداد معرفة بالاستماع، والمستمع الجيد شخص قادر على التحدث مع الآخرين، وليس مجرد شخص يتحدث إلى الآخرين، والفارق بين مع والى هو الفارق بين الإنسان الناجح والإنسان غير الناجح!

- فنحن نسمع نصف ما يقال لنا!
- ونحن نفهم نصف ما نسمع!
- ونحن نصدق نصف ما نفهم!
- ونحن نتذكر نصف ما نصدق!

■ أميرة سليمان أبوجبة

مفتاح خلاصك

يرى الإمام الشافعي أن خلاصة الحياة وحكمتها ومفتاح سعادتها تكمن في «سورة العصر».

ثراء حياتك
أن تلج رياض القرآن
بستان الروح، ضيا الوجدان
حسبك ايناسا، ريّا
أن يضحى دستور حياتك
سورة
من أنجى سور القرآن
تسمى «العصر».. ما آلقها!
في معناها بناء عقدي راسخ
ما أسماها.. في مبناها
تقويم روحي سامق.
حصن لحياتك أمنع
عيش في الوُجد الأمتع
مفتاح سعادتك الأنصع
صون حياتك، جوهر ذاتك
أن تظفر بهني المطلع
عمرك.. عصرك
أيام.. أيام.. أيام
أن تهدر يوما من عمرك
معناه.. أذهبت ببعضك
لا تدع الزمن.. الوقت.. العصر
يتفلت من بين يديك
فمن المقت، ضياع الوقت

■ محمد السعيد

تنويه

وصلتنا ملاحظات عدة حول قيام بعض الإخوة الكتاب والقراء باجتزاء نصوص أو أشعار من الآخرين، ومن ثم ينسبونها إلى أنفسهم دون وجه حق، وهذا بالتالي إخلال بالأمانة وسرقة فكرية لا تجوز، ومن يضبط متلبسا بذلك سيحرم من النشر على صفحات المجلة، فنرجو من الجميع الالتزام بضوابط النشر.



من صور الحياة العلمية في الكويت

الأدب الكويتي في ذاكرة التاريخ

إعداد: التحرير

كغيره من الآداب والفنون مر الأدب الكويتي بمراحل شهدت ولادته وحبوه وطفولته وترعرعه وبلوغه أشده، غير أن المهتمين بالتأريخ له كانوا قلة، مع أن تأريخ الأدب لا يقل أهمية عن صناعته، وكذلك لا يمكن التهاون بدور نقلة تلك الآداب ورواتها فلولاهم لما عرفنا كثيرا من آدابنا ولاندثرت وضاعت في طي النسيان، كما أنه لا يمكننا أن نغفل أننا أمة السند والرواية، وهؤلاء الرواة قدموا للأمة الكثير الجم.

وقد ظلت المكتبة العربية تعاني فراغ أرففها المكتوب عليها «تاريخ الأدب الكويتي» إلى أن رأى النور كتاب «أدباء الكويت في قرنين» لمؤلفه خالد مسعود الزيد ليكون الكلمة الأولى في الأدب الكويتي، على حد تعبير الكاتب سليمان الشطي في مجلة البيان العدد الثالث عشر.

ولم يكن الشطي وحده هو الذي كتب مشيدا بهذا العمل غير المسبوق، فقد كتب طارق عبدالله في مجلة الكويت العدد ١٠٥ يقول: «وأصدق خدمة يمكن أن تؤدى لدارس الأدب هي تمهيد الطريق له وتسهيل مهمته، ولقد قام مؤلف هذا الكتاب بهذه الخدمة خير قيام، فوجه بطاقة الدعوة، وفتح سجلاته»، كما أن الجزء الأول من الكتاب يضم في صفحاته الأولى بعض المقالات التي جاءت صدى له.

وكما هو واضح من عنوان الكتاب فإنه يترجم لأدباء الكويت في القرنين الماضيين، ويورد أعمالهم، ما يمكن الباحث من الوقوف على سمات كل واحد منهم وأبرز ما يمتاز به، غير أن الكاتب صدَّر كتابه بتتبع الحركة الفكرية الكويتية تحت عنوان «تاريخ الحركة الفكرية في الكويت»، وذلك التصدير جاء غاية في الأهمية، إذ يعد باكورة التأريخ للأدب الكويتي أو الفكر الكويتي بصفة عامة، يقول المؤلف: «يستطيع دارسو الأدب ومتتبعو تاريخ الحركة الفكرية في الكويت أن يقفوا عند أربع مراحل هي كل ما استطاع الأدب والفكر في الكويت ان يسيره عبر ممراته في تاريخ هذا البلد»، مشيرا إلى بعض الأسماء البارزة في تلك المراحل مثل أحمد بن عبدالجليل الطبطبائي، وتلميذه الشيخ خالد بن عبدالله العدساني، والأخير شخصية مرموقة في عصره، عين إماما وخطيبا في جامع السوق، وهذا منصب عظيم لا يناله إلا كل ذي قدر لدى الناس ومكانة علم، وأحمد العدواني وفهد العسكر وأحمد زين السقاف وغيرهم، ومؤكدا دور الشاعر الأديب عبدالجليل الطبطبائي (والد أحمد بن عبدالجليل) الذي يقول عنه: ولم تكن الكويت قبل أن يحل فيها قد تعرفت على أي لون من ألوان الأدب أو مارسته.

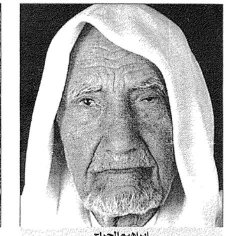
ويشير المؤلف إلى المجلات التي صدرت في تلك الفترة مثل «كاظمة»، وهي أول مجلة طبعت في الكويت، و«الكويت» و«الرائد» و«الإيمان»، ثم يختم بالإشادة بدور مجلة «العربي».

على آية حال فإن من البيِّن أن الأدب الكويتي اليوم جنح عن الشعر الفصيح، الا فيما ندر، حتى الفصيح الموجود ليس له انتشار كما كان في السابق، وللأمانة فإن هذا ليس مقتصرا على الأدب الكويتي وحده، بل هو متفش في كل الآداب العربية تقريبا، الا أن الشعر العامي الكويتي يتميز بعلو صوته في الجرائد والمجلات والفضائيات، بل وجدنا من هذه الوسائل ما تخصص فيه وحده، فضلا عن المساحات التي يحتلها في الوسائل الإعلامية غير المتخصصة.

كما ان الحركة النقدية في الأدب الكويتي اليوم تكاد تكون معدومة، ونعني بالطبع تلك التي تقوم على أسس علمية صحيحة، إذ إن ما دونها منتشر لكنه غثاء كغثاء السيل.

أما الشعر الكويتي الفصيح فقد عرف ألوان الشعر وفنونه كلها تقريبا، ففي الرثاء يقول الشيخ إبراهيم سليمان الجراح في رثاء أخيه محمد الذي توفي عام ١٩٩٦

ما كنت أحسب أن تطول حياتي
حتى أراك سبقتني بممات
قد كنت أرجو أن أفوز بدعوة
مبرورة لي منك أو بصلاة
فسبقتني ضيفا لربك للذي
يقري النزيل لديه بالجنات


إبراهيم الجراح


صقر الشبيب

الشبيب والجراح والعسكر والطبطبائي وعبد الجليل والرفاعي .. أبرز الشعراء في القرنين الماضيين

عشنا جميعا مذ ولدنا لم نكن
نخشى التفرق أو نرع بشتات
الى ان يقول في أبيات تشي بشعوره بدنو أجله
فإذا ذكرتك راثيا فكأنني
أرثي بذا نفسي لقرب وفاتي
بل مت غما بعد فقدك يا أخي
أسفا عليك فهل سمعت نعاتي؟
أتطيب لي بعد الحبيب إقامة
في غير وصل بيننا وصلات؟
صبرا لعل الله يجمع بيننا
فيما لديه بأرفع الدرجات
ويصفح عما ساء من هفواتنا
ويغفر إذ لابد من هفوات

وقد توفي الشاعر في الثامن من شهر ديسمبر من عام ٢٠٠١، أي بعد ذلك بخمس سنوات، ما يؤكد أنه لم يكن يعبأ بالدنيا وملذاتها، خصوصا بعد فقد أخيه.

ومنه ما قد سجل وقائع مر بها الشعب الكويتي وتركت انطباعا في شعرائه، يقول خالد العدساني:

الله أكبر كيف القمل الضعفا
آذى الأنام ومنه الزرع قد تلفا
وصير الأرض بيضا لا نبات بها
كأنه لم يكن فيها وما عرفا
قد جاء كالسيل يعدو ليس يمنعه
شيء فما مل من شيء ولا وقفا
حتى أتانا فعمتنا بليته
وقد كسا الأرض ثوبا من مختلفا
فلم نر طرقا الا وقد ملئت
ولا جدارا ولا سقفا ولا غرفا
وأصبحت جملة الأبار منتنة
كأن في جوفها من ريحه جيفا
وكل طفل له من أهله حرس
يحمونه يقظة منه وحين غفا
واشتد أمر الورى من عظم كثرته
ومن آذاه، وما ظنوه منصرفا
فقال كل «أما والله ذا سخط
قد أوجبته معاصينا فوا أسفا
أتى لعشر من الشهر الشريف خلت
مع ليلتين وبعد الضعف قد ضعفا؟
وكان في سنة السبع التي وقعت
بعد الثلاث التي قد جاوزت ألفا

ويبلغ الشاعر قمة في الايمان فيقول:

فالحمد لله والشكر الجميل له
في كل حال فمولانا بنا لطفا

ومنه ما جاء تضرعا الى الله ودعاء، يقول العدساني أيضا، بعد أن فقد بصره:

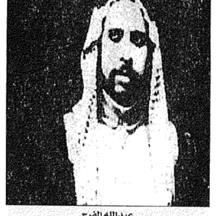
رجائي من المولى الجليل جميل
وفضل إله العالمين جزيل
ولي أمل في الله جل جلاله
فكيف أخاف الدهر وهو كفيل
ألوذ به في كل خطب ألم بي
وإن همَّ همٌّ فالكريم مزيل
عليه اتكالي في الأمور جميعها
وحسبي إله العرش وهو وكيل
أتيت بفقري وانكساري وذلي
لديه وظهري بالذنوب ثقيل
هو الواهب المعطي فليس عطاؤه
يعد ولا يحصى وليس يزول

وفي الغزل يقول أحمد المشاري

أهلا بمؤنس وحشة المشتاق
زين الطليعة نيِّر الاشواق
أهلا بغرتك التي كم أثلجت
قلبا وهاجت كامن الأشواق
يا بدر كم آنست أرباب الهوى
ورنوتَ في عطف إلى العشاق
أشبهت من يهوى فهجت لواعجا
من وجده فبكى من الإحراق
سامرته حتى الصباح تعلة
وسترت ما قد باح من أشواق

ولقد ساهم الشعر في الكويت، كما هي حاله دائما، في إصلاح المجتمع وإسداء النصح له، يقول صقر الشبيب:

تفرقنا الجهالة كيف شاءت
وتفعل ما تريد بنا البطالة
يزندق بعضنا بعضا سفاها
مطيعين العمائم في الضلالة
أدين يا أولي العمات ألا
يلين لبعضنا بعض مقاله
وأن تجفو الرجال مواطنيها
وتشهر من تخالفها نصاله

عبدالله الفرج

فهد العسكر

ويلعن بعضنا بعضا لأمر
علينا مكركم فرض امتثاله؟
علمتم باتحاد القوم فوتا
لما فيه لمطمعكم علالة
فأبدلتم وئام القوم خلفا
لتحظوا بالدقيق وبالنخالة
وألبسم خداعكم لثاما
من اسم الدين مسبلة غلاله
أعند أولي العمائم من كتاب
به قد خصهم رب الجلالة
فهم يتلون دون الناس آيا
إلى قبح الشقاق به سمالة
لتوقد من جحيم الخلف ما لا
يخاف سوى الألباء اشتعاله
وتوهم أن في التفريق رشدا
إذا فالرشد هلك لا محالة
أيودي بالشعوب سوى اختلاف
يصول على تجمعهم مصاله
سلوا عنه أولي الالباب ترفع
لكم عن سوء عقباه حجاله

ومن الواضح أنه ينتقد فئة من رجال الدين ناكبين عن جادة الصواب، وعن الصراط المستقيم، يجرون وراء مجد دنيوي زائف زائل، ويسعون إلى تفريق الأمة.

أما الشعر الوطني الكويتي فهو كثير، منه قول الشاعر عبداللطيف الدين بمناسبة العيد الوطني للبلاد:

تيهي وجري للفخار ذيولا
إذ عاد عيدك يا كويت جميلا
فيه البلابل في الرياض تبادلت
بلغاتها التكبير والتهليلا
وبه الهواتف هنأتك مرنة
والبرق صداح يصل صليلا

الحركة النقدية العلمية للأدب معدومة.. والشعر العامي يعلو صوته في وسائل الإعلام

وبه تصافحت القلوب فأكدت
أن التعاطف لم يزل مبذولا
وبه نظمت من القريض هدية
عقدا من الدر الثمين طويلا

كما عرف الشعر الكويتي التشطير والتخميس، فمن التشطير مع أبي فراس الحمداني يقول إبراهيم سليمان الجراح:

رعا الله الصبا لو كان آبا
«لتم لنا السرور به وطابا»
لقد ولى وخلف ذكريات
«إذا خطرت لنا كانت عذابا»
أتاح لنا المنى حتى جنينا
«قطوف الأنس يانعة رطابا»

ومن التخميس مع أبي فراس الحمداني أيضا في قصيدته المشهورة «أراك عصي الدمع» يقول فهد صالح العسكر:

ألمت بنا وهنا كما نزل القطر ... وأبدت محيا دونه الشمس والبدر
فقالت ومن أخلاقها التيه والكبر ... «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهي عليك ولا أمر؟»

فكيف عصتك النفس وهي مطيعة؟ ... ولست مشوقا والدموع منيعة
أملك في وصل الملاح طبيعة ... «بلى أنا مشتاق وعندى لوعة
ولكن مثلي لايذاع له سر»

أغالط عذالي إذا ذكر الجوى ... وأكتم مابي حيث لا أجد الدوا
أما تعلمي أني ومن فلق النوى ... «إذا الليل أضواني مددت يد الهوى
وأذللت دمعا من خلائقه الكبر؟»

إرشاد الغافل وتنبيه الناسي إلى حكم الصلاة على الكراسي

د. ياسر ابراهيم المزروعي *

كثر في مساجدنا هذه الأيام المصلون على الكراسي لعذر ولغير عذر، في الفرائض والنوافل، فاضطرب الأمر على البعض وأصبح مما يحتاج إلى بيان.

وقد أجاز الشارع الحكيم لمن لا يستطيع الصلاة قائما أن يصلي قاعدا.

لما روي بالسند إلى ابن بريدة قال حدثني عمران بن حصين رضي الله عنه، وكان مبسورا قال: «سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدا، فقال: إن صلى قائما فهو أفضل، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد» (رواه البخاري).

وفي شرح الغاية: «وكيف قعد جاز» وهي من الرخص في هذا الدين للذي لا يستطيع أن يصلي قائما، بأن يصلي جالسا على أي هيئة كانت، سواء كان على كرسي أو على الأرض أو نحوهما.

لكن هناك بعض الأحكام لصلاة الفرض، ينبغي مراعاتها ومعرفتها لمن يصلي على هذه الكيفية من ناحية المصلي، إن كان منفردا أو مع الجماعة، فنذكرها لعموم الفائدة، وبالله التوفيق:

أولا: الأحكام التي يجب معرفتها ومراعاتها للمصلين على الكراسي:

هناك بعض الملحوظات والأخطاء يفعلها بعض من يصلي على كرسي منها:

١- يجب على المصلي أن يأتي بتكبيرة الإحرام وهو واقف، إن كان عذره في عدم القدرة على السجود أو الركوع أو طول القيام، أما إن كان العذر في عدم مقدرته على القيام أصلا فيجوز له أن يكبر جالسا ونحوه، لأن من المعلوم أن القيام في الفرض ركن من أركان الصلاة، ولا يسقط إلا لعلة أو عذر.

٢- ومن أركان الفريضة القيام في حال القراءة ويسقط للعذر، فمن صلى الفرض جالسا لغير عذر بطلت صلاته، ومن المعروف في النافلة أن أجر القاعد غير المعذور نصف أجر القائم كما تقدم في الحديث- على خلاف عند بعضهم- سواء كان القاعد على الأرض أو على كرسي أو كيفما قعد، ويأتي قريبا.

٣- على المصلي على كرسي ألا يراوح برجليه أو أحدهما على الأخرى، وليعتمد في جلوسه عليهما لا على ظهره كما يأتي.

٤- ألا يحرك الكرسي الذي هو جالس عليه في حالة الإيماء للركوع أو السجود، وهذا لا يحدث إلا ممن يبالغ في طريقة الإيماء، وهي غير صحيحة.

٥- ألا يستند على ظهر الكرسي استنادا قويا، بحيث لو أزيل ما استند إليه وقع، لأنه أجيز له القعود لعذر، لا الاستناد لغير حاجة، أما لو استند استنادا شديدا لغير حاجة أو عذر بحيث يقع لو أزيل ما استند إليه بطلت صلاته، لأنه خالف هيئة من هيئات الصلاة.

٦- أن يفرق بين الركوع والسجود بطريقة الإيماء، بحيث يكون إيماء السجود أخفض من الركوع.

٧- ألا يسجد على شيء يوضع له، أو يرفع له، كأن يكون متصلا بالكرسي أو غيره، أو يضع له مخدة ونحوها، كما يفعل بعض المسافرين بالطائرات، بحيث يجعل طاولة الطعام الملحقة بالكرسي الأمامي، أو في كرسيه موضعا لسجوده ويسجد عليها، بل يكفيه الإيماء، لأنه إذا عدم السجود والركوع على أصلها- وهي الأرض- فلا يقوم مقامها شيء، وعليه أن يسجد ويركع في محله إيماء، لكن يجعل السجود أخفض إيماء من الركوع.

٨- إن كانت علته عدم المقدرة على الجلوس في السجود والركوع أن يصلي قائما، ويركع ويعتدل بعد الركوع، ثم إذا أراد أن يهوي للسجود جلس، والذي يقدر هذا هو المصلي نفسه، لأنه أعلم بنفسه.

٩- إن كان جالسا فعليه أن يضع يديه على ركبتيه في حال الركوع، وأما في حال السجود فعليه أن يغاير مكان وضعهما بحيث لا تكون على ركبتيه فيشتبه الركوع بالسجود، فعليه إما أن تكون بجانبي فخذيه على الهواء أو حذاءهما يمينا أو شمالا، وإن كان جالسا على كرسي له أن يمسك بطرف مقعد الكرسي (١)، وذلك لكي يفرق بين الركوع والسجود وهي أبعد من السهو واختلاط الأفعال عليه بين الركوع والسجود لمن يضع يديه على ركبتيه في حال الركوع والسجود.

١٠- ألا يكون إماما(٢)، لمأمومين قائمين من غير كراسي أو معذورين، أما إن كانوا كلهم أصحاب أعذار يصلون على كراسي أو على الأرض، جاز أن يكون إمامهم جالسا مثلهم، وألا

* باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

يأتم بهم غيرهم.

١١- إن كانت علته مؤقتة غير دائمة- أي ممن يرجى زوالها- فمتى أحس بمقدرة على أن يصلي كالصحيح صلى. إي: إن كان جالسا وأحس بذهاب علته قام ، وإن كان قائما وأحس بزوالها قعد، وكذا العكس إن كان صحيحا وأحس بعلة جلس.

هذا بالنسبة لصلاة المنفرد وقد يشترك بها المأموم مع الجماعة.

ثانيا: الأمور التي يجب له أن يراعيها في الجماعة، منها:

١- أن يكون موضع الكرسي في جوانب الصفوف من ناحية اليمين أو الشمال، وألا يكون في منتصف الصف أو خلف الإمام مباشرة، لئلا يقطع استقامة الصف من خلفه أو الصف الذي يليه، وقد يحدث للإمام شيء وهو خلفه فلا يستطيع أن يتقدم، ولأنه مخالف لما أمر به النبي ﷺ مما روي عن أبي مسعود بالسند إليه، قال: «كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (رواه مسلم) يعني أصحاب العقول والبالغين من غير أصحاب الأعذار أو المعذورين.

٢- إن كانت علته عدم المقدرة على الجلوس بالأرض والسجود والركوع، ويقدر على القيام، أن يكون واقفا بمحاذاة الصف الذي يقف به، ولا يتقدم على من بجواره، وأما إن كانت علته عدم القيام بحيث تكون صلاته كلها وهو جالس، كأنه جالس على الأرض في حال التشهد- أي يعتد في قيامه مكان جلوسه- فلا يضر لو تقدم عن صفه بتقدم رجليه عن أصل صفه، لأنه يراعي عدم تقدمه في حال جلوسه معهم، ولا يضر لو تقدم عليهم بمقدار نصف ذراع ونحوه، لأنه على كل الأحوال معذور فلا يؤاخذ كالصحيح، والله أعلم.

بيان كيفية صلاة القاعد المعذور في الفريضة

وأذكر هنا حكم صلاة النافلة للقاعد غير المعذور:

قال الإمام البخاري في صحيحه وبسنده إلى الصحابي الجليل عمران بن الحصين قال: «سألت النبي ﷺ عن صلاة الرجل وهو قاعد فقال: من صلى قاعدا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد» قال أبو عبدالله- يعني البخاري: نائما عندي مضطجعا هاهنا.

وفي فتح الباري: «قال ابن رشيد: مطابقة الحديث للترجمة من جهة أن من صلى على جنب فقد احتاج إلى الإيماء. انتهى. وليس ذلك بلازم. نعم يمكن أن يكون الإمام البخاري يختار جواز ذلك، ومستنده ترك التفصيل فيه من الشارع، وهو أحد الوجهين للشافعية وعليه شرح الكرماني».

حكاه ابن رشيد ووجهه بأن معناه من صلى قاعدا أومأ للركوع وللسجود، وهذا موافق للمشهور عند السادة المالكية من أنه يجوز له الإيماء إذا صلى نفلا قاعدا مع القدرة على الركوع والسجود وهو الذي يتبين من اختيار الإمام البخاري.

وفي صحيح الإمام مسلم: فبالسند إليه: عن عبدالله بن عمرو قال: حدثت أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الرجل قاعدا نصف الصلاة».

وقد بوب الإمام الترمذي باباً فيمن يتطوع جالسا، وذكر حديث حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحة قاعدا حتى كان قبل وفاته ﷺ بعام، فإنه كان يصلي في سبحته قاعدا، ويقرأ بالسورة ويرتلها حتى تكون أطول من أطول منها».

وقد نقل الترمذي بإسناده إلى الحسن البصري، قال: «إن شاء الرجل صلى صلاة التطوع قائما وجالسا ومضطجعا» وقال به جماعة من أهل العلم. وهو أحد الوجهين للشافعية، وصححه المتأخرون، وحكاه القاضي عياض وجها عند المالكية أيضا.

وذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن إلى أن من يتطوع جاز له أن يجلس كما شاء متربعا وغيره إلا في القعدة فإنه يجلس فيها كهيئة القعدة، وما تعامل به أهل العصر من الجلوس على هيئة

القعدة في القيام فهو مذهب زفر رحمه الله.

وفي المنتقى لشرح الموطأ: «فأما من كان في الأرض فتنفل فيجوز أن يومئ في النافلة لغير عذر، وروى عيسى عن ابن القاسم: لا يومئ الجالس من غير عذر، قال عيسى في النوافل وغيرها، قال ابن حبيب: له أن يومىء في النوافل من غير عذر، كما له أن يدع القيام في النوافل من غير علة، وقد روى عيسى عن ابن القاسم أنه إن أومأ في النوافل أجزأه وكأنه ذهب إلى الكراهية، وظاهر قول عيسى المنع، ووجهه أن الإيماء ليس بهيئة من هيئات الصلاة، فجاز أن يكون بدلا من القيام في النافلة».

وفي مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز قال: الواجب على من صلى جالسا على الأرض، أو على الكرسي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه، والسنة له أن يجعل يديه على ركبتيه في حال الركوع، أما في حال السجود فالواجب أن يجعلهما على الأرض إن استطاع، فإن لم يستطع جعلهما على ركبتيه، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أمرت أن أسجد على سبعة أعظم «الجبهة، وأشار إلى أنفه، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين».

قال في الجامع لأحكام الصلاة: وحيث إن الجلوس على ظهر الدابة والجلوس على الكرسي شيء واحد وفعل واحد، لأن كلا الفعلين جلوس للمرء على مقعدته وترك رجليه تتدليان إلى أسفل، فإن هذين الفعلين يشتركان في حكم شرعي واحد، وأن ما ينطبق على أحدهما ينطبق على الآخر، وهذا الحكم الشرعي هو الجواز والإباحة في صلاة التطوع فحسب، فمن أراد أن يصلي تطوعا ونافلة جاز له ذلك، وهو جالس على الكرسي، كما جاز له ذلك وهو جالس على ظهر دابة سواء بسواء، وتكون صلاته صحيحة متقبلة.

وعند السادة المالكية قال في كتاب النوادر والزيادات:

قال ابن حبيب: ومعنى ما جاء من أن صلاة الجالس على النصف من صلاة القائم، فيمن يقدر أن يقوم في النوافل، فأما من أقعده مرض أو ضعف عن أن يقوم، فهو في ثوابه كالقائم في الفرض والنافلة، ومن شاء في تنفله قام في ركعة وقعد في ثانية، أو قام بعد قعود، أو قعد بعد قيام فقرأ، ثم عاد للقيام، تداول ذلك كيف شاء، وإن شاء سجد. وإن شاء أومأ به من غير علة، وله أن يمد إحدى رجليه إذا عيي، وكذلك في المحمل، وله أن يقعد بين التربع والاحتباء...».

قال ابن القاسم عن مالك في تنفل المتربع: إنه يثني رجليه في السجود، ويرفع يديه عن ركبتيه إذا رفع من الركوع والسجود، وإذا تم تشهده الأول كبر ينوي القيام- يريد أنه يتربع- وجلوسه في موضع الجلوس كجلوس القيام.

وقال ابن القاسم: لا يومئ الجالس للسجود إلا من علة، وإن أومأ من غير علة في النوافل أجزأه... وقال أيضا: والمصلي في المحمل متربعا إن لم يشق عليه أن يثني رجليه عند سجوده فليفعل ذلك.

وقال السادة الشافعية كما في حاشيتي القليوبي وعميرة: «وللقادر» على القيام «التنفل قاعدا وكذا مضطجعا في الأصح» لحديث البخاري: «من صلى قائما فهو أفضل، ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائما فله نصف أجر القاعد» والمراد بالنائم المضطجع، واليمين أفضل من اليسار كما قال في شرح مسلم، ويقعد للركوع والسجود، وقيل يومىء بهما.

مما تقدم يتلخص ما يلي:

أن صلاة النافلة للقاعد جائزة على أي حالة كانت، سواء على كرسي أو على الأرض، وتكون في النوافل لا الرواتب، لأن الرواتب تأتي بعد الفرائض فالأفضل لمن يصليها أن يصليها عن قيام مع القدرة، وإن صلى عن جلوس فله نصف أجر القائم إن كان صحيحا كما تقدم.

صلاة النافلة للقاعد جائزة.. والأفضل القيام مع القدرة في الرواتب

أما النوافل مثل صلاة التراويح والتهجد ونحوها من النوافل، فللمصلي أن يصليها جالسا على كرسي أو على الأرض، وله أن يبدأ الصلاة قائما ثم يجلس أو العكس، وله أن يصلي ركعة جالسا وركعة قائما، وله أن يومىء بالركوع والسجود أو يركع ويسجد على الأرض، ونحوها من صور الصلاة.

لكن عليه إن صلى على أي هيئة كانت أن يراعي صفتها المعروفة، وذلك في صورة الصلاة.

وفي الختام، هذه عبارات أسوقها لمن يصلي على الكرسي ليراعي منها ما يستطيع:

١- أن يعود نفسه ألا يدوم في الصلاة على كرسي بعد تحسن أحواله الصحية.

٢- ألا يتحرى الكراسي الفارهة التي تحدث انتباها وتباينا بين المصلين.

٣- يحرص على ألا يصلي خلف الإمام مباشرة، مهما قل المصلون في المسجد.

٤- ألا يحجز مكانا دائما له يمنع الناس منه، إلا إذا كان المسجد فيه سعة.

٥- ألا يستشعر مهما طال الأمر معه أنه أقل حظا من المصلين، لكونه يصلي على كرسي، بل هذا مما لا يأباه الشرع.

٦- مراعاة الآداب العامة حين الجلوس.

الهوامش

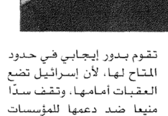
(١) وبأحد هذه الصور يتجنب مشاركة الركوع والسجود في وضع اليدين، أو التصاق بطنه بفخذيه فيما لو جعلها في الهواء وجعل مرفقيه على ركبتيه كحالة السجود، وبه يقع في المحظور وهو افتراش يديه المنهي عنه في حال السجود، كذا أفاد به شيخنا العلامة عبدالله العقيل أمد الله بعمره في طاعته.

(٢) إلا الإمام الراتب ذا علة يرجى زوالها، فإنه يصلي جالسا وهم مخيرون بين الجلوس والقيام، والجلوس أولى لمتابعته، مطالب أولي النهي (١/٤٥٥).

د.عكرمة صبري مفتي القدس الأسبق وخطيب المسجد الأقصى لـ«الوعي الإسلامي»:

تقارير «اليونسكو» تتخذ موقف المتآمر مع الصهاينة

فلسطين - خاص



أكد سماحة الشيخ عكرمة صبري مفتي القدس الأسبق وخطيب المسجد الأقصى أن هناك محاولات عديدة وجادة من قبل السلطات الإسرائيلية من أجل تنفيذ مخططها الاستعماري في القدس، لأنها تريد أن تعطي طابعا يهوديا لهذه المنطقة، وناشد صبري العالم الإسلامي إنقاذ الأقصى المبارك، واتخاذ خطوات جادة لدعم الشعب الفلسطيني ونصرته في ظل المحنة التي عاناها على مدى سنوات طوال، وشكك في دور المنظمات الإسلامية المنوط بها الحفاظ على التراث الفلسطيني وعلى رأسها منظمة اليونسكو، داعيا المسلمين سنة وشيعة إلى أن يفطنوا للمخطط الخطير الذي يستهدف تفريق الأمة الإسلامية، ويقفوا صفا واحدا لإحباط هذه المحاولات، ويعملوا على بث روح الوحدة بين أبناء المسلمين، واعتبر صبري أن الأزمات التي تمر بها الأمة الإسلامية ما هي إلا رسائل إيقاظ لها من سباتها.. «الوعي الإسلامي» التقته فكان هذا الحوار:

■ في البداية ماذا عن الوضع الراهن في المسجد الأقصى؟

- هناك محاولات عديدة بين الحين والآخر من قبل السلطات الإسرائيلية لتنفيذ مخططها الاستعماري في القدس، والقيام بالحفر حول المسجد الأقصى وإزالة المعالم الإسلامية الحضارية في باب المغاربة، وهذه المنطقة تعد من أهم المناطق الأثرية والحضارية في مدينة القدس، والآن إسرائيل تزيل ما تبقى من الغرف الملاصقة للسور الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق) لتقوم بتوسعة ساحة البراق حتى تعطي طابعا يهوديًا لهذه المنطقة، ولا يخفى على أحد أن هذه الحفريات الصهيونية هدفها هدم المسجد الأقصى المبارك، فالتشققات ظهرت في الجدار الخارجي للأقصى من الجهتين الشرقية والجنوبية نتيجة لهذه الحفريات التي يقوم بها الاحتلال، ونناشد الأمة الإسلامية حكاما وشعوبا لإنقاذ الأقصى المبارك، واتخاذ موقف حاسم من العالم الإسلامي لدعم الشعب الفلسطيني.

الإسلام طالب بترسيخ ثقافة التعايش في كل عصر

■ ما تقديركم لدور المنظمات المنوطة بالحفاظ على التراث الفلسطيني وفي مقدمتها منظمة اليونسكو المعنية بالحفاظ على التراث الإنساني في المدينة المقدسة، وكذلك منظمة الإيسيسكو؟

- منظمة اليونسكو - للأسف الشديد - لا تقوم بدورها الكافي ولم تتعاون مع الأوقاف الإسلامية، بل إنها أقرت المخططات الإسرائيلية بشأن مشروع باب المغاربة، وأرادت أن تشرك الأردن في ذلك من أجل إضفاء روح الشرعية على ممارسات الاحتلال، لكن الأردن رفض بشدة، وتقارير هذه المنظمة لا تصب في صالحنا أبدا، وموقفها موقف المتآمر مع الصهاينة، أما المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) فهي منظمة إسلامية عالمية تقوم بدور إيجابي في حدود المتاح لها، لأن إسرائيل تضع العقبات أمامها، وتقف سدًا منيعا ضد دعمها للمؤسسات الفلسطينية.

■ فضيلتكم رئيس الهيئة الإسلامية العليا بالقدس، فماذا عن الدور المنوط بها لحماية المقدسات الإسلامية؟

- الهيئة الإسلامية العليا تعدُّ أعلى هيئة دينية في القدس، وهي التي حافظت على المسجد الأقصى والأوقاف والمحاكم الشرعية والشؤون الدينية بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام ١٩٦٧م، وهي بمنزلة الشخصية الاعتبارية والقانونية التي منعت إسرائيل من وضع يدها على المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية، وهذه الهيئة كانت تشرف على كل المقدسات الفلسطينية، ولكن بعد مجيء السلطة الفلسطينية تركز نشاطها على المؤسسات الإسلامية في القدس بصفة خاصة والمناطق التابعة لها، ومن أهم الأدوار التي تقوم بها حماية المقدسات والدفاع عن الأقصى، وهي تتكون من ستين عضوا من

العلماء ورجال السياسة، وأشغل حاليا منصب الرئيس المنتخب لها، ومقرها «القدس القديمة» بالقرب من المسجد الأقصى، كما أشغل منصب رئيس استشاري لكلية القرآن ورئيس مجلس مدارس رياض الأقصى الإسلامية، بالإضافة إلى أنني خطيب المسجد الأقصى المبارك، وأنشطة أخرى كثيرة أتمنى أن يوفقني الله للقيام بواجباتها.

■ هناك محاولات حثيثة من أعداء الإسلام لإثارة نعرات الفتنة بين السنة والشيعة من أجل إضعاف الأمة الإسلامية. فما واجب علماء الأمة الإسلامية للتصدي لهذه الفتنة؟

– لاشك أن الدول المعادية للمسلمين تريد إثارة الفتنة بين السنة والشيعة بهدف إضعاف الأمة الإسلامية وتفجيرها من الداخل، فعلى المسلمين سنة وشيعة أن يفطنوا لهذا المخطط الخطير الذي يستهدف الجميع، وأن يكونوا صفًا واحدا لإحباط هذه المحاولات، وعلى جانب آخر فإن هناك محاولات محمودة من قبل علماء السنة والشيعة للتقريب بين وجهات النظر ونبذ الخلافات وأسباب الفرقة بين الجانبين، فالتصدي لهذه المحاولات لا يقتصر على العلماء فقط، بل لابد من أن تكون هناك وقفة حاسمة من قبل الشعوب أنفسها للتقريب بين وجهات النظر وبث روح الوحدة بين أبناء المسلمين سنة وشيعة حتى يندحر العدو الذي يتربص بالأمة بأكملها.

■ الخطاب الإعلامي الإسلامي.. كيف تقيمونه مقارنة بالخطاب الغربي الموجه إلينا؟

– بكل أسف، خطابنا الإعلامي الإسلامي يعاني القصور والإهمال، ففي الوقت الذي نرى فيه الإعلام الغربي يصل إلى كل مكان ويخاطب الجميع، فيحقق أهدافه من الداخل والخارج، نجد أن الإعلام الإسلامي يوجه للمسلمين وللعرب في بلادهم، وليس لغيرهم، وقد نجح الإعلام الغربي في تشويه صورة المسلمين، فألصق بهم الإرهاب، والإسلام منه براء، ولو كان لدينا إعلام يقوم على دراسة وعلم، يخاطب الغرب بطريقة يفهمها ما كانت هذه الصورة المشوهة لدى الكثيرين عن الإسلام والمسلمين، ولذلك فنحن بحاجة إلى خطاب إعلامي يوجه للغرب ويخاطبهم بلغتهم وبأسلوب يفهمونه بدلا من إلقاء اللوم على الغرب، فالإسلام يبدأ بنا وليس بغيرنا.

■ كيف ترى مستقبل الصراع العربي - الصهيوني في ضوء فشل الغزو الأميركي للعراق ونجاح المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان في كسر غرور وغطرسة الجيش الصهيوني بأسلحتها المتواضعة؟

– ما حدث في الحرب بين المقاومة وإسرائيل في جنوب لبنان يؤكد قضية مهمة جدًا، هي أن الحق لا يضيع إذا كان هدفا وقضية، فلأول مرة في التاريخ الحديث تضرب إسرائيل في عمقها ويدخل مواطنوها المخابئ ويقتل منهم عدد كبير قتلا مباشرا، وهذه معان مستحدثة لم نكن نعهدها من قبل، فكل مَعارك المسلمين مع أعدائهم لم يتوافر فيها عنصر القوة الغالبة لقوة العدد بقدر توافر قوة العقيدة وصدق الإيمان، ففي كل مراحل التاريخ كان هناك صدق الإيمان، وصدق العقيدة، وصدق مع الله ومنهجه سبحانه وتعالى، وهذا ما نحرص عليه في علاقتنا مع أعدائنا اليوم.

■ يواجه العالم الإسلامي العديد من التحديات في العصر الحالي ومن أهمها العولمة وإشكالية الحفاظ على الهوية.. ما رؤيتكم في هذا؟

– الأصل في كل ذلك أن نحافظ على خصوصيتنا وتراثنا ومقومات ثقافتنا، ولا مانع من أن نتعامل مع الشعوب والأمم الأخرى، لأن كل أمة لها تراثها وثقافتها الخاصة بها، والأمة الإسلامية غنية بتراثها الخاص، ولذلك فلابد من عدم التنازل عن تراثنا وثوابتنا الإيمانية والحضارية، أما فيما عدا ذلك فعلينا أن نتعاون مع جميع الأمم والشعوب الأخرى.

■ شاركتم أخيرا في مؤتمر للرابطة العالمية لخريجي الأزهر بالقاهرة بعنوان «الأزهر والغرب.. ضوابط الحوار وحدوده» فما تعليق فضيلتكم على قضية حوار الحضارات؟

– نحن في الحقيقة نقوم بحوار الحضارات وننادي به وندعو له، ولكن الذين قالوا إن هناك صدام حضارات هم الغربيون الذين يشنون حملات وهجمات شرسة ضدنا دون أي مبرر حقيقي، ولذلك فالغرب هم أصحاب نظرية صراع الحضارات.

■ وأخيرا.. هل يمكن اعتبار الأزمات التي تمر بها الأمة الإسلامية والعربية وسائل إيقاظ لها من سباتها أم أنها تجسيد لواقع مهزوم؟

– لاشك أن أول أثر للأزمات هو أن تكون إنذارا من عند الله لتوقظ الغافلين، فإن لم يستيقظوا ويتبعوا سبيل الإيمان ويحملوا دعوة الله إلى الناس كافة تصبح الأزمات عقابا من الله، قال تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ (السجدة :٢١).

نحذر من مخططات تفريق الأمة.. وندعو إلى بث روح الوحدة بين أبناء المسلمين

رسالة ماجستير عن صورة «الذات والآخر» تؤكد أن

خطاب مجلة «الوعي الإسلامي» مارس النقد الذاتي.. والغرب ليس كتلة واحدة

السنوسي محمد السنوسي

أصبحت عبارة «الإسلام والغرب» مشحونة بدلالات غامضة تجمع بين قلق الحاضر والخوف من المستقبل. وتحمل في كثير من الأحيان تصورات وأحكاما يستند فيها الطرفان - الغربي والإسلامي - إلى جملة من الحوادث التاريخية. وهذه التصورات تمتزج فيها الحقيقة بالوهم، والواقع بالمتخيل، وتغذيها وتروج لها جهات سياسية وأيديولوجية ذات أهداف خاصة.

ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لتضع العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي على المحك. كما أن الربط الضمني بين الإسلام والإرهاب أوجد نوعا من السخط والريبة بين المسلمين، خاصة تجاه الولايات المتحدة التي قادت الحملة العسكرية المفتوحة فيما أسمته: «الحرب على الإرهاب» منتهكة القانون الدولي وخصوصيات بعض الدول الإسلامية، وهو ما أثار انقسامات في الرؤى والمدركات حول وضع العامل الحضاري والثقافي - وفي قلبه العامل الديني - بين أسباب اندلاع هذه الحروب ونمط إدارتها وعواقبها.

وفي هذا السياق تبرز أهمية رسالة الماجستير التي نوقشت أخيرا عن «صورة الذات والآخر» في مجلة «الوعي الإسلامي» بالإضافة إلى ثلاث مجلات أخرى «المجتمع، منبر الإسلام، التبيان» تحت عنوان: «صورة الذات والآخر في الخطاب الديني في الصحافة العربية: دراسة تحليلية مقارنة» للباحث حسين محمد ربيع عثمان (كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر) بإشراف أ.د.محمد سعد إبراهيم، وبمناقشة أ.د.حسن علي محمد وأ.د.هشام عطية عبد المقصود، ومُنح الباحث تقدير «ممتاز».

فقد سعت الدراسة إلى رصد أساليب تقديم صورة «الذات» المتمثلة في الذات العربية والإسلامية، وصورة «الآخر» المتمثل في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية في الخطاب الديني في المجلات الإسلامية، بهدف الكشف عن طبيعة الصورة المقدمة عن الذات وعن الآخر بشكل يؤدي إلى التعرف على الأطر المرجعية لهذا الخطاب بشقيه الرسمي وغير الرسمي.

محاور الدراسة

تكونت الدراسة فيما يتصل بتحليل خطاب «الوعي الإسلامي» بالنسبة لصورة الذات والآخر من محورين رئيسيين، ثم جاءت النتائج التي خلصت إليها الدراسة كما يلي:

المحور الأول: صورة (الذات) في خطاب «الوعي الإسلامي»

بين الباحث من خلال رصد وتصنيف المقولات والمفردات الواردة في خطاب «الوعي الإسلامي» أنه احتشد بأوصاف ودلالات سلبية تمثل في مجموعها إدانة للذات وعدم الرضا عن هذه الحالة على جميع المستويات، وقد أوضح التحليل أن الصورة التي قدمها الخطاب للذات اعتمدت على ثلاثة مكونات رئيسية، أولها إيجابي، ويتعلق بصورة دولة الكويت، والثاني سلبي، ويتعلق بالأمة الإسلامية، أما المكون الثالث فيتعلق بالحكام والمسؤولين.

التصور الخاص بدولة الكويت

خلص الباحث من خلال التحليل أن التصورات الخاصة بدولة الكويت لم تمثل حضورا بارزا في خطاب «الوعي الإسلامي» مقارنة بحجم ونوع التصورات التي قدمها الخطاب حول الأمة الإسلامية بشكل عام، ويرجع ذلك - بحسب الباحث - إلى أن معظم كتاب المجلة ليسوا من الكويت، وقد كشف التحليل أن التصورات الخاصة بالكويت في هذا الخطاب تركزت في المقالات الافتتاحية التي يحررها رئيس تحرير المجلة، وبصفة عامة اتسمت هذه التصورات بالإيجابية.

التصور الخاص بالمسلمين

رصد الباحث أن التصورات الخاصة بالأمة الإسلامية مثلت حضورا ملحوظا في أطروحات خطاب «الوعي الإسلامي»، وقد قدمت هذه الأطروحات صورة مجملة اتسمت بالسلبية للمسلمين، إذ تذهب الأطروحات إلى أن كل الدلائل الواقعية والقرائن الرقمية والإحصائية تجمع على أن حال العرب والمسلمين من أواخر القرن الماضي إلى اليوم لا يبشر بخير ولا يبعث على التفاؤل مطلقا في سائر مجالات التسابق والتدافع الحضاري بين الأمم، الأمر الذي يجعل من التكهن بمستقبل زاهر ومبشر للأجيال العربية والإسلامية أمرا بعيد المنال على المستوى القريب.

ثم رصد الباحث انتقال الخطاب من التعميم إلى التحديد



في أعراض أزمة الذات المسلمة التي وصفها بالمحنة المتمثلة في ذوبان الهوية، والتخلف المادي، والضعف الفكري، والهزائم العسكرية التي تحاصر المجتمعات المسلمة، وقد أفرزت هذه الحالة المرضية كثيرا من القضايا الشائكة والأفكار المتطرفة والعنف، وجعلت من المسلمين صيدا سهلا لقوى الشر الخارجية التي تحاول، منذ زمن بعيد، النيل من ثروات هذه الأمة وعقيدتها وتراثها وحضارتها.

ويقدم الخطاب مثالا على ذلك باستقراء أوضاع المسلمين اليوم بعد ستين عاما من النكبة الفلسطينية، ثم ينطلق الخطاب ليؤكد أن المسلمين هم الذين يشكلون صورتهم السلبية لدى الآخر بأنفسهم من خلال مشاهد التخمة والبؤس المجتمعية في العالم العربي والإسلامي، بما فيها من مظاهر التخلف والتفكك والفساد.

المحور الثاني: صورة الآخر في خطاب «الوعي الإسلامي»

أوضح الباحث أن خطاب «الوعي الإسلامي» فيما يتعلق بتصوراته حول الآخر، حرص على ألا ينظر إليه باعتباره كتلة واحدة، بل نظر إلى غير المسلمين على أنهم ليسوا سواء من حيث العلاقات والمصالح والسياسة بحسب مواقفهم ومواقعهم، ومن ثم دعا إلى ضرورة الاستفادة من أهل العدل والإنصاف منهم واستمالتهم إلى صفنا واستعمالهم في نصرة قضايانا.

وفي هذا الصدد يرى الخطاب- كما يبين الباحث- أن التسوية بين أهل الكفر في الدنيا لا تقبل عقلا ولا حسا ولا شرعا، بل إن منهم العدو والصديق، ومنهم المسيء الجائر الذي بسط يده ولسانه إلينا بالسوء والأذى، والمسالم المحايد الذي كف الأذى واعتزل فلم يضر ولم ينفع وأمسك عن الشر.

ورصد الباحث أن خطاب «الوعي الإسلامي»، في تقديمه للتصورات الخاصة بالآخر، جاءت مفرداته مركزة على فاعلين رئيسيين، هما الولايات المتحدة- وكانت الأكثر كثافة في الحضور في معالجات الخطاب- والغرب بصفة عامة.

الولايات المتحدة حظيت بنسبة حضور كبيرة في خطاب «الوعي الإسلامي» بعد أحداث ١١ سبتمبر

أ - صورة الولايات المتحدة

كشف التحليل الكمي حسب الدراسة أن الولايات المتحدة حظيت بنسبة حضور كبيرة في خطاب «الوعي الإسلامي»، كما كشف أن هذا الخطاب قدم مجموعة من الصفات والملامح غلب عليها طابع السلبية فيما يتعلق بالولايات المتحدة، وهذه الصفات لم تأت من فراغ، حيث أورد الخطاب جملة من الوقائع والممارسات التي تتعلق بعلاقة الولايات المتحدة بالإسلام والعالم الإسلامي، ومن ثم يشير الخطاب إلى أن أميركا تتسامح مع أي دين إلا إذا كان هذا الدين هو الإسلام، حيث تشعر بالخطر الإسلامي ولذلك أصدرت أوامرها لعدد من الحكومات العربية والإسلامية بتغيير مناهج التعليم الديني، لتقف فقط عند الشعائر والعبادات مع إلغاء كل ما يتعلق بالسياسة والاجتماع والجهاد وتاريخ الغزوات والفتوحات.

وتذهب الدراسة إلى أن الحملة الأميركية المسماة «الحرب على الإرهاب» التي أطلقتها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، تمثل بعدا آخر في ملامح الصورة التي يقدمها الخطاب للولايات المتحدة، إذ تذهب إحدى أطروحاته إلى أن معركة «الحرب على الإرهاب» تبوأت قمة الكراهية والتخوف والهلع من الإسلام، وقد سبقتها مؤشرات عدائية ضد الجاليات العربية والإسلامية في ربوع أوروبا والولايات المتحدة منطلقة من منظومة التمييز العنصري، وهو المرض الاجتماعي المزمن الذي استقر في ضمير حضارة «الرجل الأبيض»، كما قررت الدراسة.

ب- صورة الغرب

من خلال تحليل الباحث لخطاب «الوعي الإسلامي» بالنسبة للغرب ذهب إلى أن الغرب حظي بنسبة حضور كبيرة في الخطاب، سواء فيما يتعلق بوصف هوية الآخر، أو فيما يتعلق بالغرب كقوى فاعلة في الخطاب، كما كشف التحليل أن هذا الخطاب قدم مجموعة من الصفات والملامح غلب عليها طابع السلبية فيما يتعلق بالغرب ببعديه التاريخي والمعاصر، حيث اعتمد في بنائه لصورة الغرب في بعدها التاريخي على استدعاء الاعتداءات الغربية على العالم الإسلامي وعلى رأسها «الحروب الصليبية» التي يرى الخطاب أنها مثلت المقدمات الأولية لظاهرة «الإسلاموفوبيا».

ولكي يؤكد الخطاب أن روح العداء للآخر وعدم الاعتراف بوجوده متأصلة في الفكر الغربي ولا تقتصر على المسلمين فقط، قام أيضا باستدعاء عملية الإبادة الغربية لسكان الأميركتين الأصليين، وفي هذا الصدد وصفها بأنها أكبر عملية إبادة في التاريخ قام فيها المستوطنون الأوروبيون الزاحفون من أوروبا بإبادة أكثر من ١٨.٥ مليون من الهنود الحمر الذين قتلوهم بدم بارد وبطرق لاإنسانية، مثل «زرع الجراثيم والميكروبات» في الملابس التي كانوا يوزعونها عليهم.

الشعوب الغربية بدورها- كما أشارت الدراسة- لم تغب عن أطروحات الخطاب الذي أسند إليها صفات لا تقل سلبية، فهي في نظر الخطاب تعاني من انحطاط اجتماعي تسببت عنه العديد من المشكلات في مقدمتها المشكلات النفسية، مثل حالات الاكتئاب الناتج عن الوحدة والعزلة الطويلة التي يحياها العزاب بعد انتشار ظاهرة «العزاب الجدد» في كبريات المدن الأوروبية والتي تقوم على تقديس الاستقلالية والحرية، إضافة إلى التشوهات النفسية الناتجة عن الحرمان من الأمومة أو الأبوة، أو العيش في ظل «أمومة شاذة» كتلك التي يقدمها الشواذ لأطفال التبني.

نتائج تحليل «الوعي الإسلامي»

من خلال تحليل مضمون مجلة «الوعي الإسلامي» بالنسبة لصورة الذات والآخر خلصت الدراسة إلى نتائج مهمة، فقد أشار الباحث إلى أن طبيعة الإصدار الشهري للمجلة لم تؤثر على درجة اهتمامها بالأشكال الإخبارية وفي مقدمتها فن الخبر الصحفي، حيث بلغ عدد

تكرار استخدام هذه الأشكال مجتمعة (الخبر، القصة الإخبارية، التقرير الإخباري) ٢٢٠ مرة بنسبة ٣٠،٦ في المائة، وهي نسبة كبيرة بالنظر إلى طبيعة الإصدار الشهري.

وأشاد الباحث باهتمام «الوعي الإسلامي» بتقديم مواد الرأي والمواد التفسيرية في معالجة موضوعات صورة الذات والآخر، حيث بلغت نسبتها مجتمعة ٦٩،٤ في المئة بواقع ٤٩٨ مادة، والمجلة بذلك تسهم في تقديم الشرح والتأثير في المعرفة والسلوك لدى القراء.

ترسيخ الهوية الإسلامية

كما أكد الباحث أن غلبة نبرة الحديث عن الهوية الإسلامية داخل خطاب «الوعي الإسلامي» لا تعني انسلاخ منتجي الخطاب في المجلة من الهوية العربية، ولكن ربما يأتي ذلك محاولة من الخطاب للاتساق مع طبيعة تخصص المجلة في الشؤون الإسلامية.

من ناحية أخرى رصد الباحث عدم تغييب هوية الذات أو هوية الآخر في خطاب «الوعي الإسلامي»، ما يؤكد- حسب رأيه- حرص المجلة على ربط القارئ بالأفكار والتصورات التي يطرحها الخطاب حول الموضوعات المتعلقة بصورة الذات أو الآخر من خلال تحديد الهوية أو الإشارة إليها.

وكشف التحليل تأكيد خطاب «الوعي الإسلامي» على ضرورة التواصل مع الآخر وعدم الصدام معه، حيث رأى الخطاب أن التصادم بين الحضارات والأمم عواقبه مدمرة لا تخفي على أحد، ولا يسعى إليه عاقل.

وسجلت الدراسة ارتفاع نسبة اهتمام خطاب مجلة «الوعي الإسلامي» بتناول الموضوعات الاجتماعية التي تتعلق بالأسرة المسلمة والشباب، ومقارنتها بالقضايا المماثلة في المجتمعات الغربية بهدف التأكيد على حرص الإسلام على رعاية حقوق المرأة وحماية الشباب من الانحلال وغيره من الظواهر الاجتماعية السلبية التي انتشرت في المجتمعات الغربية.

تأسيس المستقبل على الماضي

ذهبت الدراسة إلى أن غلبة الموضوعات ذات الصبغة التاريخية على حساب الموضوعات المتعلقة بالمستقبل ربما تعكس إدراك منتجي الخطاب بمجلة «الوعي الإسلامي» لواقع الأمة الحالي وما يتسم به من أزمات، ومن ثم انطلق الخطاب إلى الماضي بحثا عما يشحذ همم أبناء الأمة ويؤثر فيهم من خلال استحضار سيرة المسلمين الأوائل ومساهمتهم في الحضارة والعلوم ووقوفهم في وجه أعداء الإسلام والانتصار عليهم وحماية المقدسات.

ولذلك أشادت الدراسة بحرص خطاب «الوعي الإسلامي» على الاشتباك مع الأحداث الحالية التي تمر بها الأمة الإسلامية مما يعد مؤشرا على «ديناميكية» خطاب المجلة.

الاعتزاز بالذات في مقابل الدونية

في إطار سيطرة مفهوم «الصراع» على العلاقة بين الذات والآخر، وفقا لما طرحه خطاب «الوعي الإسلامي»، رصد الباحث غياب إطار «الدونية» عند الحديث عن الذات، بل على العكس يرى أن نبرة تقدير الذات ارتفعت، وقد كشف التحليل أن نبرة تقدير الذات اقتصرت على الموضوعات التاريخية فقط من خلال الاحتماء بالماضي والركون إليه للمقارنة بماضي الآخر المليء بالدماء، لإثبات أن تاريخ الذات خير دليل على دحض ادعاءات الآخر بانغلاق الذات وتقوقعها على نفسها.

الغرب ليس كتلة صماء

بيّن التحليل حرص الخطاب على ألا يضع الآخر (الغرب) كله في سلة واحدة، ففي الوقت الذي أثيرت فيه قضية الرسوم المسيئة ووصف الخطاب الذين قاموا بذلك بصفات بالغة السلبية إلا أنه حرص على تأكيد أن هذا ليس هو الرأي الحقيقي السائد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الغرب، وأشار الخطاب إلى أن كثيرا من مفكري الغرب وقفوا إجلالا للإسلام وأنصفوه، مثل: توماس أرنولد، وبرناردشو، وزيجريد هونكة، وآن ماري شميل، ومايكل هارت وغيرهم.

ملاحظات الدراسة

إضافة إلى الإيجابيات التي أشارت إليها الدراسة في معالجة خطاب «الوعي الإسلامي» لصورة الذات والآخر، فقد ذكرت بعض الملاحظات على الخطاب، منها أن الباحث أشار إلى تراجع اهتمام خطاب «الوعي الإسلامي» بالموضوعات الخاصة بقضايا الإصلاح والديموقراطية في إطار الحديث عن الموضوعات المتعلقة بصورة «الذات»، رغم غلبة هذه القضايا في الخطابات السياسية والثقافية في الدول العربية.

ورصد انخفاض نسبة حضور السمات الإيجابية للآخر في خطاب «الوعي الإسلامي»، وأرجع الباحث ذلك إلى سيطرة نبرة «الصراع» كإطار إعلامي بارز على معالجات خطاب المجلة للمضامين المتعلقة بصورة الآخر.

وأخذ الباحث على «الوعي الإسلامي» عدم اهتمامها بفن الكاريكاتير رغم أهميته في مجال الصحافة المعاصرة كفن ذي تأثير قوي على القارئ من خلال تخطي حاجز اللغة والمستوى التعليمي للقارئ فضلا عن سرعة تأثيره، ويذكر أنه لم تنشر المجلة أي كاريكاتير طوال فترة الدراسة (ثلاث سنوات) رغم أنها شهدت أحداثا ساخنة على المستويين العربي والإسلامي.

الخطاب الإسلامي المعاصر بين التجديد والجمود

التجديد الحضاري سنة كونية فطر الله، سبحانه وتعالى، الكون عليها منذ زمن الخليقة الأولى، وهو جوهر الرسالات السماوية جميعا وسبيل نهضة الأمم والشعوب ومقياس نهضتها ورقيها، والأمم التي تجري في عروق أبنائها دماء التغيير والتجديد أمم فاعلة مؤثرة في سلم الحضارة الانسانية مهما كانت هويتها أو جنسيتها، وأما الأمم التي سمحت لنفسها بأن تعيش في شرنقة التحجر والجمود والانغلاق فقد كتبت على نفسها التخلف والتبعية والعيش في مؤخرة الركب الحضاري.

إن أمتنا المسلمة التي صنعت في الماضي حضارة متكاملة جمعت بين علوم الدين والدنيا وبلغت ما بلغت من تقدم ورفعة ومنعة على مدار قرون عديدة، بحاجة ماسة إلى تجديد حضاري في كل شأن من شؤون حياتها، في الفكر والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها، بحيث تجعله رائدها وهدفها الأول، وهذا لن يتحقق إلا من خلال رسم معالم التجديد القائمة على ثوابتها الأصيلة، ومتغيرات العصر والواقع، لتزاوج بين الجانبين وفق أطر واضحة المعالم لا لبس فيها مما سيسمح لطائر التجديد الحضاري بأن ينطلق نحو هدفه بكل سلام وطمأنينة مستشرفا المستقبل، بعيدا عن دائرة الجمود والتقليد.

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين ايدي إخوتنا القراء وأخواتنا القارئات أن نسلط الضوء على قضية التخلف الحضاري ومدى حاجة أمتنا للتجديد والنهوض من خلال عدد من الموضوعات، والقضية بحاجة الى مزيد من البحث والتمحيص، والله الهادي الى سواء السبيل.

إعداد : تمام الصباغ

الوسطية هي الحل

سيد عبدالحليم الشوربجي

تعدد الخطاب الإسلامي ليس عيبا في حد ذاته لكن العيب في رفض كل خطاب للآخر.

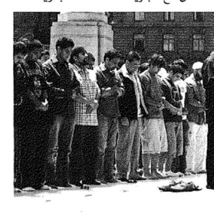
حينما رفعت تيارات الصحوة شعار الإسلام هو الحل.. كان الهدف من الشعار هو مواجهة الأفكار التي تنادي بالتخلي عن الدين كمحرك لعجلة الحياة، واللجوء إلى الأفكار الغربية المعاصرة كحل للقضايا والمشكلات التي تعاني منها البلدان العربية والإسلامية- على اعتبار أن الدين يمثل عائقا أمام نهضة الأمة في نظرها- لتلحق بركب المجتمع المعاصر الذي في مجموعه تخلى عن الدين، ويصبح العالم منظومة واحدة في التفكير والتوجه، ويحدث حالة من التوحد مع الواقع المعاصر.

رفع هذا الشعار حينها؛ ليوقف خطورة هذه الأفكار، وليبرز في نفس الوقت عظمة الإسلام وقيمته العقدية والتشريعية والفكرية، وقدرته على التأقلم مع الواقع دون التخلي عن الثوابت.

ولكن حدثت حالة من التجاذب والتصارع في الاستئثار بهذا الشعار، فظهرت تيارات متعددة وتنوعت وتشعبت، بل إنها تصارعت وتقاتلت من أجل الفوز بهذا الشعار والاستئثار به دون سواها من التيارات العاملة في الحقل الإسلامي، مما أوقع الأمة بأكملها في مأزق، والغريب في الأمر هو ظهور تيارات حسبت على الإسلام وحملت الشعار وأحدثت أضرارا كثيرة باستئثارها به، فلجأت بعض التيارات إلى تبني منهج العنف الذي تسبب في إرباك الأمة بمجموعها ووضع الحل الإسلامي في مأزق، وأخرى فرضت حصارا على تراثنا الإسلامي وأوقفته عند فترة زمنية لا ينبغي تعديها، بل أغلقت باب الاجتهاد حتى صار الاجتهاد في نظرها نوعا من الابتداع، وثالثة ورابعة.. الخ، فأصبحت الأمة بمجموعها أمام إشكالية كبرى، من هو المتحدث الرسمي باسم الإسلام؟ وكل طرف يحسب في نفسه أنه الأولى دون غيره بحمل الإسلام والتحدث باسمه حتى تعددد المتحدثون باسم الإسلام، ومن ثم تعدد الخطاب الإسلامي، والتعدد في حد ذاته ليس عيبا. ولكن العيب والمشكلة في أن كل خطاب من هؤلاء يرفض الخطاب الآخر، ولا يعترف به أساسا، فضلا عن محاربته ومحاولة إقصائه، ويقف المسلم العادي حائرا بين تيارات متصارعة متجاذبة، كما يقف العدو منها موقف تشفٍّ، بل تشجيع في أحيان كثيرة، وهذه إشكالية كبرى وقعت فيها الأمة في حاجة ماسة إلى الوحدة العضوية والفكرية في آن واحد.

فالأمة لم تجن من هذا التجاذب والتصارع الحاصل إلا مزيدا من التشتت والتمزق، وعدم السير في طريق موحد تصل فيه إلى نهاية، أو على الأقل تجد نفسها قد قطعت شوطا فيه.

من هنا كان شعار الوسطية هو الحل.. هو الذي ينبغي أن يرفع ليوحد الأمة على كلمة سواء، وينطوي تحت لواء الوسطية كل الأطراف والأطياف الإسلامية، ليلتقي الجميع عند نقطة الوسط لحل هذه الإشكالات والمشكلات الكثيرة التي تواجه الأمة، فالأمة تحتاج إلى وسطية المنهج، ووسطية الفكرة، ووسطية العمل، ووسطية التعامل مع مجريات الأحداث الجارية.





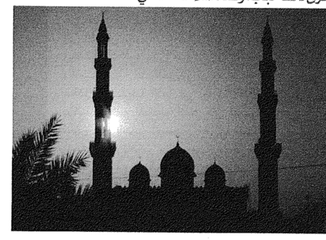

نحو حوار بنّاء بين الحضارات

مبادئ الخطاب الإسلامي المعاصر في التعامل مع الحضارة الغربية

فهمي هويدي

مهم للغاية أن نسعى لانجاح حوار الحضارات والإسهام فيه، ومهم بذات القدر أن نتفق على مبادئ الخطاب الإسلامي التي ننطلق منها في التعامل مع الحضارة الغربية، لكن الأمر ليس سهلا ولا الطريق معبدا، ذلك أن ثمة ملاحظات سبع يتعين الانتباه إليها قبل الدخول في الموضوع وطرق ذلك الباب، وهذه الملاحظات هي:

■ **الأولى:** إن اعترافنا بأهمية الحوار بين الحضارات، لا ينبغي أن يتجاهل حقيقة أن الملف الخاص بذلك الحوار تراجع على نحو ملحوظ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كما أنه مرشح لأن يواصل تراجعه، ذلك أن التطورات التي أعقبت ما جرى في سبتمبر، خاصة ما تعلق منها بإعادة النظر في الاستراتيجية الأميركية وتنامي قوة التيار الداعي إلى بسط هيمنة الامبراطورية الأميركية، الأمر الذي استصحب تراجعًا نسبيًا للدور الأوروبي في دائرة القرار، ذلك كله أسهم في تغيير أجندة المجتمع الدولي، حيث لم تعد الولايات المتحدة تعنى بمسألة حوار الحضارات ولا بالتعددية، وإنما أصبح عنوان «الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب» يحتل الأولوية القصوى، بل إن الميزانية التي خصصت لحوار الحضارات في الولايات المتحدة حولت إلى ما يسمى بمشروع «الدبلوماسية الشعبية ومبادرة الديموقراطية والتنمية»، الذي استهدفت به الولايات المتحدة تحسين صورتها في العالم العربي والإسلامي، ومعالجة بذور الكراهية المفترضة للسياسة الأميركية، وهو المجرى الذي يصب في النهاية في وعاء تجفيف منابع الإرهاب، ولعلي لا أبالغ اذا قلت إن حوار الحضارات في المفهوم الأميركي أصبح عنوانًا لتطلعات مرحلة ما بعد انهيار سور برلين ونهاية الحرب الباردة، أما مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر فلها عناوين جديدة، ليس الحوار بينها، وإنما الإملاء جوهرها، بحيث أصبح المطروح الآن بقوة هو كيفية تطويع الأفكار في العالم العربي والإسلامي، لكي تصبح أكثر تجاوبًا وملاءمة للتصورات الغربية والأميركية بوجه أخص.



■ **الثانية:** إنني ألحظ في خطابنا العام اهتماما كبيرا بالحضارة الغربية دون الشرقية، ولست هنا بصدد الإقلال من شأن الأولى، التي لست بحاجة لأن أعدد إنجازاتها، لكنني ادعو إلى موقف متوازن لا يتجاهل الحضارات الشرقية أو الآسيوية، وفي المقدمة منها الهندية والصينية، التي هي حافلة بالقيم الإيجابية التي نحن أحوج ما نكون إلى الإفادة منها وتمثلها. وأذكر بأن الحضارة الغربية بالنسبة لنا هي جهد إنساني رائع في التقدم، لا هو نموذج أو مثل أعلى لنا، ولا هو الوحيد في الكرة الأرضية، وإنما هو أحد النماذج- أهمها في الواقع- لكنه ككل تجربة انسانية، لها نجاحاتها واخفاقاتها.

■ **الملاحظة الثالثة:** إنني اسجل تحفظا شديدا عن فكرة ان ما يحتاج إلى تصويب ومراجعة كله في الجانب المتعلق بنا، ولا شيء مطلوبا، في المقابل، من الطرف الغربي، ذلك اننا ونحن نعترف بأن لدينا سلبيات كثيرة تستدعي المراجعة وتوجبها، إلا ان الطرف الغربي يحتاج بدوره لأن يراجع سياساته، فضلا عن حساباته ومنظومة قيمه، إذن ليس صحيحا ان الغربيين يقفون منا موقف المعلم الذي يوجه تلاميذه، وما على الآخرين إلا السمع والطاعة، لكن الصحيح اننا جميعًا تلاميذ في ذات الصف، وكل ما حدث انهم تفوقوا وصاروا الأوائل، ونحن تخلفنا، كثيرًا حقًا، لكننا لم نشهر إفلاسنا، ولدينا الكثير الذي يمكن ان نقدمه لهم، على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي والإيماني على الأقل.

■ **الملاحظة الرابعة:** إنه من الخطأ البيّن ان يظن أن مجتمعاتنا وحدها هي التي تعاني من التطرف والأصولية، وإنما ازعم أن أمثال تلك الآفات موجودة في كل مجتمع انساني، وانها في العالم العربي والإسلامي اضعف منها في أقطار أخرى، ورغم الصدمة التي حدثت من جراء احداث



سبتمبر، إلا انني اذكر بأن في اسرائيل حكومة أصولية فعلت بالفلسطينيين أضعاف ما فعلته أحداث سبتمبر بالأميركيين، من حيث عدد الضحايا وكمية الدمار على الأقل، كما أن الأصولية المسيحية المتحالفة مع الصهيونية تتحكم الآن في القرار السياسي الأميركي، وتقف وراء مخططات هيمنة الامبراطورية الأميركية، وتفكيك وإعادة تركيب خريطة الشرق الأوسط، وهو ما يدعونا إلى القول بأن أفعال تلك الأصوليات أشد وطأة وأبعد أثرا وأشد خطرا، على الاقل من حيث إنها هناك في موقع اتخاذ القرار، وهو ما لم تبلغه الأصولية في عالمنا العربي والإسلامي، خصوصا بعد انهيار نظام «طالبان» في افغانستان.

■ **الملاحظة الخامسة:** إنني أرجو ألا تغيب عنا حقيقة ان النموذج الذي نقدمه في ممارساتنا وحياتنا العملية سيظل وحده الذي يمكن ان يقنع الآخرين برقي مشروعنا وايجابية تعاليمنا وسمو شريعتنا، ويجب ان ندرك اننا مهما قلنا في مديح الإسلام وتبيان تفوق تعاليمه وانجازات حضارته، فإن الذين يتلقون ما نقوله سيضربون صفحا عن كل ذلك، ثم ينظرون إلى أحوالنا ويصدرون في ضوئها حكمهم النهائي، فإذا وجدوا في أحوالنا ما يؤيد كلامنا قبلوه، واذا وجدوا تفاوتا بين الاثنين أو تناقضًا، صدقوا أحوالنا وكذبوا كلامنا.

■ **الملاحظة السادسة:** لا ينبغي ولا يعقل ان نجري حوارا مع الحضارات الأخرى بينما

لا يعقل أن نجري حوارًا مع الحضارات الأخرى وحوارنا مع أبناء جلدتنا مقطوع

حوارنا مقطوع مع أهلنا وبني جلدتنا وأبناء حضارتنا، ولعلي لا أبالغ اذا قلت إن حوارنا مع الحوارات الأخرى لن يكلل بالنجاح إلا اذا حققنا نجاحًا، ولو نسبيًا، في حوارنا مع أنفسنا وإخوتنا، ومع كل الساكنين في بيتنا العربي والإسلامي الكبير.

■ **الملاحظة السابعة** والأخيرة: أهم ما يعنينا في الأمر كله ان نكون أوفياء لديننا وصادقين مع أنفسنا ومع الله، فنحن لا نسعى ولا نتجمل في عيون الغرب، ورضا الله عندنا أهم من رضا الغرب وأهله ومن لف لفهم، وحين نحاول أن نستخلص المبادئ التي تعيننا على التعايش والتفاعل الإيجابي مع الغرب، فسعينا يستهدف إزالة التشوهات التي لحقت بصورة الإسلام وتعاليمه وروجت لها دوائر تعددت أهدافها، بأكثر مما يستهدف نيل ذلك الرضا من الغربيين. اننا نوضح التباسًا ولا نطلب عفوا أو اجازة من أي أحد، كما اننا بذات القدر لا نقدم اعتذارا لأحد.

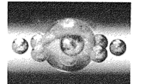
اننا إذا أردنا أن ندخل إلى صلب موضوعنا فأرجو أن نتفق في البداية على أن القيم الدينية يمكن أن توظف لتحقيق الأهداف النبيلة والخيّرة، كما يمكن ان توظف في خدمة الأهداف الشريرة، ويصبح السؤال المهم للغاية هو: لماذا يتجه الناس حينا إلى الأهداف الأولى؟ ولماذا يتجمعون في حين آخر إلى الأهداف الثانية؟ وكلمة «لماذا» هنا تنصب على مجمل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أفرزت هذا الموقف أو ذاك.

في القرن التاسع عشر كان الاعتقاد الشائع بين المثقفين الأوروبيين أن الكاثوليكية والديموقراطية لا يجتمعان، وتبين لاحقًا ان ذلك اعتقاد خاطئ، لأن الديموقراطية الغربية تعايشت مع الكاثوليكية على النحو الذي يلمسه الجميع، في حين خرجت «محاكم التفتيش» من عباءة الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر، وفي أوائل القرن الماضي أشاع بعض الاقتصاديين إلى أن النجاح الاقتصادي الذي حققته دول شمال أوروبا راجع إلى الأخلاق البروتستانتية، في حين تنبأوا بأن الجنوب الكاثوليكي سيظل فقيرا، لكن ما ان انتصف القرن حتى تبين خطأ ذلك الادعاء، حيث نمت ايطاليا وفرنسا- في الجنوب- بوتيرة أوسع من أوروبا البروتستانتية، وفي وقت لاحق أرجع بعض الباحثين الازدهار الذي عاشت في ظله دول جنوب شرق آسيا إلى كون «الكنفوشية» تساعد على الحيوية الاقتصادية، لكن الأزمات التي واجهتها بعض تلك الدول دعت زعماء تلك الدول إلى القول بأن القيم الآسيوية تنطوي على خصائص سلبية.

بوسعنا والأمر كذلك، ان نضيف أن المجتمعات الإسلامية التي تعاني من التخلف الآن هي ذاتها التي عاشت في ظل نهضة عظيمة في طور سابق، الأمر الذي يبرئ ساحة التعاليم من المسؤولية عن الأوضاع البائسة التي يعيش في ظلها العالم العربي الإسلامي.

لقد استشهد كاتب اسرائيلي ببعض المعلومات التي ذكرتها توا لكي يدحض المقولة التي يروجها البعض عن تعذر اجتماع الديموقراطية مع الإسلام، وكان الكاتب شلومو افنيري، استاذ العلوم السياسية بالجامعة العبرية، يعلق بما كتبه على نتائج الانتخابات التركية الأخيرة التي نجح فيها حزب العدالة والتنمية ذو الجذور الإسلامية، وخلص في مقالته المنشورة في ٢٢/١٢ إلى ان المشكلة ليست

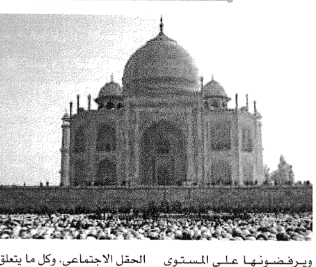




في الإسلام ولكنها في غيبة الديموقراطية، التي إذا توافرت فإن الإسلام سوف يتعايش معها، كما تعايشت أوروبا مع الديموقراطية.

هذا المعنى ردده أيضا فريد ذكريا، رئيس تحرير مجلة «نيوزويك» الأميركية، الذي كتب مقالة نشرتها مجلة السياسة الخارجية (فورين بوليسي عدد نوفمبر وديسمبر)، الذي خلص فيه إلى تخطئة الباحثين والكتاب الغربيين الذين ذهبوا في تشهيرهم بالإسلام إلى حد اعتباره عدوا للتقدم، ومن ثم استسهلوا اتهامه بالمسؤولية عن تدهور الأوضاع في الدول الإسلامية، متجاهلين مسؤولية الخرائط السياسية والأداء السيئ في العالم الإسلامي عن تدهور تلك الأوضاع، وقال في هذا الصدد: إن الذين يروجون لفكرة تعارض الإسلام مع الحداثة يقفون في ذات المربع الذي يقوده المتطرفون الذين يرفضون الحداثة والديموقراطية بحجة تعارضها مع الإسلام.

ما ذكره الكاتبان صحيح من حيث المبدأ، لكن أحد المشكلات التي تثار في هذا الصدد ان النخبة الغربية لا تكتفي بموقف التلاقي بين الإسلام والحداثة، ولكنها تريده تعاطيا مع الحداثة كما يفهمها الغربيون، وهو ما يمكن ان يعبر عنه بالحداثة «المستنسخة»، الأمر الذي يضعنا أمام مفارقة لها تأثيرها البالغ على العلاقة بين الإسلام والغرب، وتتمثل تلك المفارقة في ان الغربيين الذين يتبنون شعارات الليبرالية والتعددية والتعايش مع الآخر، يقبلون بهذه القيم على الصعيد الوطني



ويرفضونها على المستوى العالمي، بمعنى أنهم إذا قبلوا بالتعددية الحزبية والسياسية فإنهم يرفضونها على الصعيد الحضاري، ويقبلون بالآخر المختلف سياسيًا وفكريًا، لكنهم غير قادرين على استيعاب فكرة ان يختلف الآخر حضاريا، وتلك اشكالية لا سبيل إلى حلها في الجانب المتعلق بالمسلمين، الذين من حقهم ان يكون لهم نموذجهم الحضاري الذي يختلف في مقاصده ومنظومة قيمه، وليس هناك ما يجبرهم على الالتحاق أو الانسحاق أمام النموذج الحضاري الغربي، ولا مفر هنا من الإشارة إلى ان شعور الغربيين بتفوقهم، وبكونهم الجنس الحضاري الغربي، وعدم وجود أي منافس لهم على وجه البسيطة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

إن بعضًا مما يعتبره الغربيون عداء من جانب المسلمين للحداثة، هو في حقيقة الأمر «اختلاف» لم يحتملوه ويرفضون استمراره، انطلاقًا من تحفظهم عن مبدأ «المغايرة» واصرارا من جانبهم على ان يكون الآخرون استنساخًا لهم، آية ذلك ان الحقل الاجتماعي، وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية وعلاقة الجنسين ببعضهما، اصبحت تتخلله اختلافات كثيرة بين النموذجين الغربي والإسلامي، ولعلي أشير هنا إلى ما طرأ على مفهوم الأسرة من تطور، والمحاولات اللحوحة من جانب المنظمات الغربية لإدخال زواج المثليّين، مثلا، ضمن نطاق الأسر الجديدة، واعتبار ذلك من قبيل «الحداثة» التي بلغتها بعض المجتمعات الغربية، وهو ما يؤدي إلى اتهام المجتمعات الإسلامية بالتخلف ورفض الحداثة في تجلياتها المختلفة.

يجرنا الحديث عن الاختلاف في النموذج الحضاري والمفارقة في تعاطي قيمه التعددية إلى حديث آخر عن مفارقة أخرى تتهم السلوك الغربي بالكيل بمكيالين فيما يخص حقوق الإنسان، وحق تقرير المصير بوجه أخص، وما الحاصل من قهر يومي للفلسطينيين إلا نموذج لذلك السلوك الذي يفتقد إلى العدل والانصاف، ويتعارض مع ابسط مبادئ حقوق الانسان، ومن أسف أن الموقف الغربي بشكل عام والأميركي بوجه أخص يقف في هذه القضية في صف المعتدي والغاصب، والمنكر على المظلوم حقه في أن يدافع عن نفسه.

إن السجل حافل بالملفات التي تندرج تحت ذات العنوان، وليس غائبا عن أذهاننا الدور الذي لعبته الدول الغربية في الدفاع عن حق سكان تيمور الشرقية في الاستقلال عن اندونيسيا، ثم انكار تلك الدول ذات الحق على الشيشانيين والكوسوفيين في البلقان، وتجاهلهم لتطلعات مسلمي كشمير في الهند وسينكيانج في الصين وزنزبار في تنزانيا.

إذا أضفت إلى ما سبق تلك المعاملة التي تتسم بالتمييز والتعسف التي يلقاها المسلمون في الولايات المتحدة وفي بعض الدول الغربية، التي اصبحت تنظر إلى المسلمين جميعا باعتبارهم مشبوهين أو متهمين، فإن المشهد في جملته يستدعي السؤال التالي: هل يمكن أن يتعامل المسلم باطمئنان وثقة مع السلوك الغربي في حين تثقل ضميره تلك الهموم والأحزان، التي يرى الغرب إما ضالعا فيها أو مسؤولا عنها؟

ثمة سؤال آخر متصل بما سبق هو: ألا يعد ذلك السلوك الغربي تطرفا من شأنه ان يعبئ المشاعر الإسلامية بالغضب، الأمر الذي يهيئ الفرصة لتفريخ تطرف آخر على الجانب المقابل، يمثل رد فعل تصعب السيطرة عليه؟

إن من حقائق الواقع لها تأثيرها القوي في تشكيل المواقف، على نحو ينعكس سلبا على مفعول التعاليم، واذا كان قد قيل «ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع



بالقرآن»، فتلك اشارة إلى أن التعاليم وحدها لا تكفي في صياغة سلوك الناس، اللهم إلا إذا كانوا قد ربوا عليها منذ نعومة أظفارهم وعاشوا في ظلالها طول الوقت، بحيث تظل الظروف مواتية لها، وهذه الاوضاع النموذجية تشكل استثناء في الواقع المعاش، من ثم فإن التعاليم تظل حدا أقصى لما يجب ان يكون عليه السلوك، يحتذيه الناس قدر الإمكان ويتطلعون إلى بلوغ مرتبته، فضلا عن انها تظل المرجعية التي يسترشد بها ويحتكم إليها في تقييم سلوك الأفراد أو المجتمعات.

إن الموقف الفكري الإسلامي من الآخر، غربيًا كان أم شرقيًا، تحدده الضوابط التالية:

■ فالناس في المفهوم الإسلامي خلقوا من نفس واحدة، من أب واحد وأم واحدة، من ثم فعلاقة النسب تربط بينهم: ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء -١).

■ ليس ذلك فحسب، وإنما في كل انسان نفخة من روح الله: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر-٢٩)، من ثم فلكل انسان كرامته التي ينبغي ان تصان، بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو دينه، بمعنى ان استحقاق الكرامة مترتب على حقيقة واحدة، أنه انسان: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء- ٧٠).

■ ثم إن الاختلاف بين الناس شأن أراده الله لحكمة قدرها، وهو الخالق القدير الذي كان بوسعه ان يخلق الناس أمة واحدة، كما اطلقهم من نفس واحدة: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ (هود-١١٨)، ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس -٩٩).

إن الذين يروّجون لفكرة تعارض الإسلام مع الحداثة يقفون في ذات المربع الذي يقوده المتطرفون

■ والأصل أن يتعاون الناس في البر والخير، وذلك أحد مبررات الاختلاف الذي هو سنة من سنن الله في الكون: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات-١٣).

■ وطالما ان الآخر له شرعيته في المفهوم الإسلامي، وأن المطلوب هو التعارف والتعاون في البر والخير، فمن الطبيعي ان تكون المسالمة هي الأصل الذي يتيح للتعاون المنشود ان يحقق المراد منه، وفي النداء القرآني: ﴿ يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ (البقرة-٢٠٨)، و﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ (الممتحنة-٨)، ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة -١٩٠).

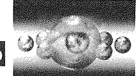
هذه الآيات التي أوردناها تحث على مسالمة الجميع وتنهى عن العدوان عليهم، لكنها تعلق ذلك على شرط واحد هو رعاية حقوق المسلمين والكف عن مقاتلتهم أو فتنتهم في دينهم، أي ان المسلمين في منظومتهم الفكرية لا يبدأون أحدا بعدوان، ولكنهم يمدون يد التعايش والتعاون مع الجميع، إلا إذا اعتدى اولئك على كرامة المسلمين وحرماتهم، وفي هذه الحالة فمن حقهم ان يردوا العدوان وان يذودوا عن كرامتهم، في هذه الحالة وحدها تصبح الجبهة المعتدية (دار حرب)، يجري عليها ما يجري على دار الحرب من احكام، ويظل مصطلح دار الحرب عنواناً استثنائيًا لحالة يعتدي فيها الآخرون على المسلمين، في حين ان العنوان الأصلي لعلاقة المسلمين بالعالم الخارجي أنه دار السلام أو أمة الدعوة.

هل يتعامل المسلمون مع الآخر انطلاقا من هذه المفاهيم؟

ردي على السؤال في شقين: الأول، اننا يجب ان نعترف بأن ثمة اتجاهات في العالم العربي والإسلامي التبست عليها المفاهيم فأساءت التعبير عن الرؤية الإسلامية، وكان سوء التعبير مقدمة لسوء التصرف، الأمر الذي يدعونا إلى ضرورة ترشيد تلك الاتجاهات وتصويب موقفها الفكري.

أما الشق الثاني فيتمثل في أن الانحرافات الفكرية التي نعاني منها هي من تجليات خلل في البيئة السياسية والثقافية في الداخل، وقهر وظلم يمارس من الخارج، فالطغاة والمستبدون يهيئون أجواء مواتية لغيبة التسامح وانطلاق العنف، ولا ينبغي ان نتوقع من الذين يجلدون الناس ويذلونهم، أن يستقبلهم الناس بالبشاشة والورود، أما القوى الكبرى التي تمارس العدوان على بلاد المسلمين أو تتضامن مع المعتدين وتزودهم بالمال والسلاح فينبغي ألا تفاجأ إذا رد الناس على ظلمهم بتصنيفهم ضمن دار الحرب، وتعددت اجتهاداتهم في صد تلك الحرب وردع المعتدين.

والأمر كذلك، فإنني أحسب ان المشكلة ليست في اعتدال المسلمين أو تطرفهم، وإنما هي- بالدرجة الأولى- في وطأة الظلم الذي يقلص تلقائيًا من مساحة الاعتدال، ويغذي طاقات التطرف بغير حدود.

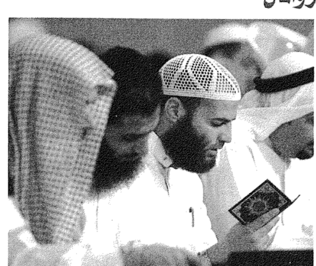


تجديد الفقه والفكر الإسلامي

المنشأ والمسار والمآل

د. عمار علي حسن

ينحدر التجديد لغة من الجديد وهو ما لا عهد لنا به؛ لأنه خلاف القديم الذي نعرفه، أما اصطلاحا فإنه أمر مرتبط بالاجتهاد والتحديث والإبداع، يقوم على مزاولة نشاط ذهني ونفسي وميداني خلاق، من أجل التصدي للأمور العظيمة والمهمة من النوازل والحوادث، وقد ولد هذا الاصطلاح من رحم الفقه والفكر الإسلامي حتى بات مقرونا بهما.



لكن درجة التجديد ومستواه تفاوتت من مفكر إلى آخر، ومن فقيه إلى نظيره، وتدرجت حسب تصور كل من هؤلاء عن مدى التجديد وجدواه، فهناك من شدد على أن التجديد يكون في المسلمين لا في الإسلام، وهناك من ضيق في المفهوم والقائمين عليه وحصرهم في رموز إسلامية خالصة، وعلى العكس هناك من تحدث عن «تجديد الإسلام» وتوسع في ذكر من جددوه، حتى ضم إليهم بعض من يعتبرهم السلفيون مجدفين بالدين أو حتى أعداء للإسلام.

وفي كتابه «التجديد في المسلمين لا في الإسلام» يطرح عمر فروخ تصورا محافظا إلى درجة أن يبدأ بالقول: الجديد من كل شيء هو القديم الذي يظل على الدهر جديدا»، ثم يؤكد أن التغير يطرأ على فروع الأحكام ولا يمتد إلى أصولها، وأن عمل المصلحين يقتصر على تقريب تعاليم الدين من أذهان الناس، على طبقاتهم، لا أن يجعل من الدين نفسه حقل اختبار، كأنه بذلك ينشر على الناس في كل يوم دينا جديدا.

وهذا يعني أن التجديد ينصب على المعاملات والصلات الاجتماعية بين البشر التي تتغير بتغير الزمان والمكان، أما العبادات فإن الدين نفسه قد جعل لها نطاقا من الرُّخص التي يلجأ إليها المؤمن بحسب الأحوال التي نص عليها الدين نفسه، أما العقائد فهي الأسس التي تجعل من كل دين مختلفا عن الدين الآخر من حيث أصوله وانطباقه على الحياة.

ويعزز الباحث التونسي نور الدين الخادمي هذه الرؤية بقوله: «تجديد الدين معناه تقديم الإسلام كما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ أيام نزول الرسالة، ومن مقتضيات هذا التجديد إرجاع الفهم والتطبيق الإسلاميين إلى الأصول والمصادر الشرعية المعتبرة، ونفي ما علق بالدين من زوائد وإخلال وبدع وحيل وأساطير وغير ذلك. ولا ينبغي أن يفهم من تجديد الدين استبدال الإسلام بدين آخر، أو تغيير بعض الأحكام القطعية الثابتة، أو إحداث أمور في الفهم أو التطبيق مخالفة للدين وقواعده ومقاصده... وبذلك يبقى التجديد هو نفي ما ليس من الإسلام في شيء، والرد إلى الله والرسول عند الفهم والاستنباط، وعند الاختلاف والتنازع، والاستجابة لمستلزمات المسايرة والمعاصرة بإرادة قوية، وعلم نافع، واجتهاد أصيل... ومن هنا يتحدد التجديد حسب المحتوى والمضمون، فإن كان المراد به الإحياء والتفعيل والإعمال والدفع فلا بأس، أما إذا كان يراد بالتجديد لدى البعض التغيير والتبديل والتبطيل فمن المحتمل أن يصرف هذا إلى دعوى تبديل الأصول والقواطع، وتعطيل الثوابت والروابط، وتبطيل الإسلام جملة وتفصيلا تحت هذه التعلة والدعوى».

وهناك من يحرك هذا التصور خطوة قليلة إلى الأمام فينتقد من أساءوا فهم التجديد على أنه مجرد إظهار أضابير الكتب والمخطوطات الإسلامية التي أخرجتها عقول الفقهاء والمفكرين الإسلاميين في الزمن القديم من دون أي محاولة للاستفادة منها في أحوال معاشنا الراهن بصورة أو بأخرى، وكأنهم يكتفون بأن يكون إحياء التراث هو عامل استنفار انفعالي- فحسب- يحفزنا إلى العمل، كالأغاني القومية وموسيقى المناسبات.

ثم يدفع أمين الخولي المفهوم خطوات أوسع بحديثه عن أسس التطور في الإسلام، منطلقا من أن الرسالة الخاتمة هي دين ونظام اجتماعي عملي، تحمل أسسا للتطور



تهيئه لذلك، وتعدُّه لتحقيقه في يسر ومن دون مصادمة لشيء من تطور الدنيا حوله نظريا وعمليا ليحدد هذه الأسس في:

١- امتداد دعوة الإسلام وحياته رأسيا في الأزمنة، وأفقيا في الأمكنة، لتستهدف شعوبا وقبائل وأجيالا متعاقبة وأصحاب ثقافات متنوعة وأجناس شتى.

٢- اقتصاد دعوة الإسلام في الغيبيات وإجماله لها وتحديده للإيمان بها ونهيه عن التفكير في دقائقها، وهذا جعل العقيدة الإسلامية تصرف ما توفر لها من طاقة كبيرة إلى التفكير الحر الملائم لكل جديد من خفايا الكون تعرفه الحياة ويقدره العلم على مدى الأيام من دون أن تحتاج إلى تفاصيل أو بيانات جزئية لم تعد تناسب الحياة.

٣ - بعد تيسيره الحياة الاعتقادية اقتصر الإسلام في شؤون العبادات على الأمور الكلية والأصول العامة الشاملة، ليفتح الباب أمام اجتهادات حول الصلاة والزكاة والصيام والحج، يتغير بعضها بتغير الأحوال، وهي مسألة ظاهرة في تاريخ الفقه الإسلامي ومحتواه.

٤- عدم ذكر الإسلام في نصه المؤسس (القرآن الكريم) تفاصيل حول نشأة الكون والحياة والإنسان وعمر وجوده على الأرض، ومساره ومصيره، وذات الله وصفاته، وهذا لم يجعل الإسلام في مواجهة أبدا مع الاكتشافات العلمية للكون، كما حدث مع أديان أخرى، لكن المسلمين شغلوا



الإسلام جعل الاجتهاد أساساً للحياة بما يفي بحاجاتها المتغيرة والمتقدمة

أنفسهم بهذه القضايا وبحثوا عما يجيب عن أسئلتهم حولها في الإسرائيليات، ونحتاج في الوقت الحالي إلى التخلص من هذه الدخائل الأجنبية، التي تسربت إلى أحاديث منسوبة إلى الرسول الكريم ﷺ من مرويات الآحاد، وإلى بعض تفاسير القرآن.

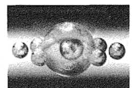
٥ - عدم التوسع في شيء من التفاصيل حول تاريخ الأمم والرسل التي عرض القرآن أحوالها جملة أو مع بعض التفصيل، بيانا لسنن الاجتماع في حياة الرسل، ومن هنا لا يخشى الإسلام من الرواية المادية للتاريخ التي يقصها علينا العلم عبر علم الحفريات والآثار، بل يستطيع أن يطور عرضه لتدينه مع هذا العلم المتقدم.

٦- جعل الإسلام الاجتهاد أساسا للحياة بما يفي بحاجاتها المتغيرة والمتقدمة، ومن هنا أقر الفقهاء أن الحياة لا تخلو من مجتهد، وطلبوا بأن يتوفر للناس في كل عصر من المجتهدين عدد التواتر.

وهذه الأسس الستة جعلت الخولي يدخل بجرأة إلى الحديث عن تطوير العقائد والعبادات والمعاملات، قاصدا بهذا التطوير طبيعة الخلافات التي نشأت طيلة التاريخ الإسلامي حول هذه الأعمدة الثلاثة، فالخلاف حول العقائد امتد إلى ذات الله وصفاته، وطبيعة القرآن، مخلوق أم لا، وتنازع أهل السنة والمعتزلة حول السببية وأفعال العباد، أما العبادات فإن اختلاف المذاهب الفقهية العملية لا يخفى على المتابعين والتابعين، وهناك اجتهادات لا تنتهي حول أركان الإسلام العملية الأربعة، الصلاة والزكاة والصيام والحج، بما يلائم احتياجات الواقع المتطور بلا هوادة، والأمر في المعاملات أهون وأيسر، وتطور العرض فيها واضح عيانا بيانا.

وينتهي الخولي من هذا إلى القول: «التجديد الديني هو تطور، والتطور الديني هو نهاية الاجتهاد الحقيقي»، لكنه لا يعني بالتطور مفارقة أصل الدين، وإيجاد دين جديد، بل يربط التجديد بالعودة إلى الأصل، لأن كل ما دخل على العقائد من جدل لا ينتهي إلا إذا نحيناه جانبا، ورجعنا لإيمان الفطرة، وتجنبنا الخوض في مسائل الغيب التي لا يمكن لعقل أن يبلغها، ولا طائل من الاحتراب حولها، أما العبادات فأحكامها وتفاصيلها عرضة لتطور دائم، ويتسع النطاق في المعاملات، وهذا من صميم الإسلام. لكن الخولي في رؤيته هذه يفكك الكثير من التركيبات التراثية المغلقة بفعل جمود الفقه، ويشكك في العديد من المسلَّمات التي ركدت في أذهان المسلمين جراء غلق باب الاجتهاد أو تضييقه حتى صار مجرد ثقب إبرة.

لكن عبد المتعال الصعيدي حاول أن يثبت في كتابه «المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر» أن التجديد لا يجب إن يقتصر على الأمور المعنوية والرمزية بل يمتد إلى المسائل المادية، أي أن من الإجحاف أن تقتصر نظرتنا إلى المجددين على أنهم العلماء والفقهاء والمصلحون الاجتماعيون فقط، بل يجب أن تشمل الحركيين، ممن سعوا إلى تطبيق الإسلام، وتطوير الشرع، وإيجاد إجراءات تواكب الواقع المتغير باستمرار. ومن هنا فإن تاريخ التجديد في الإسلام بالنسبة له هو «تاريخ نهوض المسلمين في أمور دنياهم، قبل أن يكون تاريخ

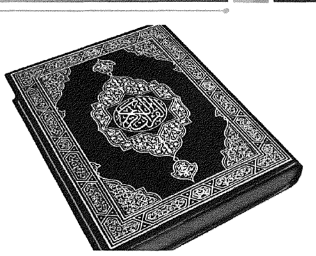


نهوضهم في أمور أخراهم. ولا يجب أن نذكر فيه من المجددين إلا من يعمل لهذه الغاية، ولا نكتفي فيهم بما اكتفوا به فيهم من مجرد الشهرة في العلم».

ولا يعني هذا أن الصعيدي يتفق مع كل هؤلاء في جميع ما قالوه وفعلوه، بل هو يحرص على تخصيص مواضع ينتقد فيها بعضهم، ويفند فيها آراءهم ومواقفهم، لكنه اعتبر كل هؤلاء من المجددين باعتبار أن ما طرحوه، سواء وافق رأي جمهور العلماء أو خالفه، لاقى هوى الأغلبية الكاسحة من الناس أو خالفه، فإنه كان بمثابة الحجر الذي ألقي في بحيرة الفقه الراكد فمنعها من التعفن، وجعل باب الاجتهاد مفتوحا، وخلق حالة من التحدي أمام العقل المسلم جعلته يتوقد ويتفوق على نفسه أحيانا في سبيل تحصيل إجابات على الأسئلة التي طرحها المجددون.

ويشدد الصعيدي على أن التجديد عملية مستمرة لا نهاية لها إلا بقيام الساعة، ثم يدعو إلى إنهاء الأسباب التي حالت دون تدفق عملية التجديد واستقوائها، وقدرتها على مواكبة واقع يتغير باستمرار، ومنها الاستبداد السياسي، وعدم تشجيع الحكام لحركات الإصلاح، وقلة عدد المصلحين، وميل أغلب الناس إلى المقلدين والجامدين، ومحاربة أعداء الإسلام لحركة التجديد، حتى يصعب على المسلمين أن يستعيدوا مجدهم الضائع.

ولم يقتصر الحديث عن التجديد على المنتجين



مصطلح التجديد عاد إلى الخلف خطوات عديدة ليرتكز حول «تجديد الخطاب الديني»

للمعرفة الإسلامية وخطابها، بل كان شغلا لكثير من الكتاب والمفكرين العرب، قوميين وليبراليين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، هاهو زكي نجيب محمود ينشغل بقضية «تجديد الفكر العربي» ويتحدث عن «قيم من التراث» و«المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري» بعد سنوات أمضاها في التتيم بالفكر والفلسفة الغربية، وكان يعتقد أن سواها لا يستحق النظر أو التقدير، فلما أتيح له أن يطلع على قسط وافر من التراث العربي-الإسلامي، وجد أن فيه ما يجب الالتفات إليه، والعناية به، بغية تجديده ليكون ملائما لواقعنا المعيش، وراح يدلي بدلوه في هذا الأمر، ويعطيه ما يكافئه من التفكير والإنتاج المعرفي.

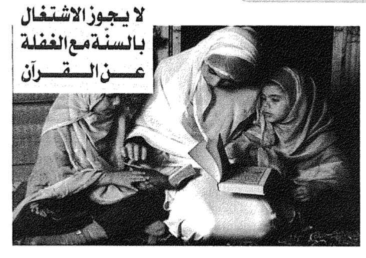
لكن مصطلح التجديد عاد في تجليه الأخير إلى الخلف خطوات عديدة ليتركز حول «تجديد الخطاب الديني»، وإن كان هذا الرجوع لا يخص إلا فريقا، ولا يغلق الباب أبدا أمام من يرفعون سقف التجديد إلى مستويات أعلى، كما فعل الخولي والصعيدي والبنا، وقد نشطت المؤسسات الدينية الرسمية إثر تبني السلطات العربية لهذه القضية استجابة لضغوط الولايات المتحدة عقب حدث ١١ سبتمبر، وصدرت كتب عدة في وقت قصير منها «تجديد الخطاب الديني» لسالم عبدالجليل، و«تجديد الخطاب الديني الفكري والدعوي» للسعيد محمد علي، و«دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني» لعدد من العلماء والشيوخ والباحثين.

وحسب وجهة نظر محمد عمارة فإن الأهداف المعلنة لهذا التوجه كانت تتمثل في إعادة تشكيل وعي المسلم وفهمه وتصوراته ورؤاه وفق الوحي والعقل معا لإعادة بعث النموذج الإسلامي المفقود وفق مقتضيات الحاضر ومتطلبات الأمة، واستلهام سنن التغير والتطور من التاريخ الإسلامي، وإنزال الفقه على الواقع، وإفساح مجال الاجتهاد، وتعليم الناس جوهر الدين وحقيقته بعد أن حادوا عنه، واختلت لديهم الموازين فجعلوا الفرض نافلة، والنافلة واجبا، وإبراز الوسطية الإسلامية، وتنقية التراث.

مع هذا فإن تلك العودة إلى الوراء لم تكن سلبية خالصة لأمرين أساسيين، الأول أن من طالبوا بالتجديد وقفوا إما عند المفاتيح أو المبادئ الأولية، وإما أخفقوا في إعادة تركيب ما فككوه، وتقديم بناء نظري متماسك يكافئ الطموحات التي طرحوها حول التجديد، ولذا أعطوا فرصة لمنتقديهم أن يطلقوا عليهم لقب «المبددين» وليس «المجددين». والثاني أن الطور الأخير للتجديد بدا واسعا ومتنوعا وشاركت فيه جماعات علمية ومجموعات بحثية متنوعة المشارب والمناهل والتوجهات العلمية، حيث لم تقف عند حدود المهتمين بعلوم الدين، بل امتدت إلى علماء الاجتماع والسياسة والفلسفة والتربية والأدب والتاريخ، سواء كانوا مسلمين أم مستشرقين. لكن هذا الجهد لا يزال يقع تحت طائلة رد الفعل على مطالبة الغرب لنا بتجديد خطابنا، ما ينال من قوته وتأثيره كثيرا، ويفتح الباب أمام التشكيك في مقصده ومآله.

أخطاء فهم السنّة بمعزل عن القرآن في رؤية الشيخ محمّد الغزالي

د. عبدالكريم واحدي



لا يجوز الاشتغال بالسنّة مع الغفلة عن القرآن

من القضايا التي شغلت بال الفقهاء والمحدّثين قديما وحديثا، السنّة النبوية الشريفة من خلال تدوينها وجمعها وشرحها وبيان صحيحها من سقيمها، واستخراج ما فيها من أحكام عقدية وخلقية وفقهية، ومع الكمّ الهائل من الكتب والمؤلفات التي عالجت موضوع السنّة إلا أنّ سوء الفهم، وأخطاء التأويل، وقصر النّظر، بقيت ملازمة له إلى اليوم، ويرجع ذلك إلى غياب المنهج السليم في التعامل مع السنّة، ومن أكثر الأخطاء شيوعا التعامل مع السنّة بمعزل عن معاني القرآن وروحه ومقاصده، مما يؤدي إلى سوء الفهم إلى حدّ التناقض بين معاني القرآن والسنّة، ومن العلماء الذي أدركوا هذا التناقض الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- إذ عالج هذا الوضع بدقّة متناهية، وبفطنة بالغة، وبمنهج علمي سليم، أرشد جمهور المسلمين عامة، والمختصّين خاصّة، بما يترتب على فهم السنّة مقطوعة عن القرآن من انحراف في التأويل، وسوء في الفهم والتنزيل.

وفي هذا الموضع بيان لتلك المعالم والضوابط التي لابدّ منها للتعامل مع السنّة وفق روح القرآن ومعانيه وهداياته.

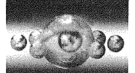
ومن آثار علمه بالقرآن وتأثّره به، نطق بالسنن الرّاشدة والأحاديث الهادية فكانت هي الأخرى حكما ينفع بها الناس، وهدى يشدّهم إلى الصراط المستقيم، وقد امتّن الله عليه بهذا الوحي المبارك فقال: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (١) ومع احترامنا للحشد الكبير من السنن المروية عن رسول الله، وحفاوتنا بالدّراسات الحسنة التي تناولتها في القديم والحديث، فنحن نلفت النّظر أنّ السنة منزلة ثانوية بعد القرآن نفسه، وأنّ العالم الأصيل بالإسلام إنما تقوم ثروته العلمية أوّلا بمدى فقهه في الكتاب العزيز، وبصره بمعانيه ومغازيه، ولمحه لدلالته القريبة والبعيدة، وأن الصورة المتقنة للإسلام إنما تعرف أبعادها وملامحها البارزة من القرآن أوّلا، ثم يجئ دور السنّة في الإيضاح والتفصيل بعد أن تمهدت الحدود وعرفت الضوابط، ولذلك نحن نرفض أن يشتغل بالسنة رجل فقير في القرآن، ونرفض أن يستخرج أحكامها رجل قصير الباع في فقه الكتاب واستظهار أحكامه، فإنّ ذلك قلب للأوضاع، ومزلقة للخطأ في تصورّ حقائق الدين، وفي ترتيب صغراها وكبراها».

السنّة تالية للقرآن

يؤكد الشيخ محمد الغزالي على ضرورة فهم الكتاب أولا والاستفادة منه، واستنباط أحكامه ومعرفة معانيه ودلالاته، ثم تأتي السنّة تالية له ومكملة، فلا يجوز لرجل قصير الباع في معاني القرآني ودلالاته الاشتغال بالسنة والغفلة عن القرآن، فإن ذلك يجر إلى أخطاء كثيرة، يقول: «لاخلاف بين المسلمين في أن القرآن الكريم أساس الإسلام، ولباب دعوته، ومناط تشريعه، وأنه الينبوع الأول لشتى تعاليمه في أحوال المعاش والمعاد جميعا، وأنه برهان النبوة، ودليل صدقها، ومعجزتها الكبرى، وأنه مجلي الوحي الأعلى، وملتقى الحقائق السماوية التي نزلت من عند الله خالصة من كل شائبة، مبرأة من كل لبس، إنه- بهذا القرآن- أصبح محمد ﷺ مبلغا عن الله، مبينا عنه مراده، وقد انتقل هو به انتقالا نفسيا عاليا وصعد به في مرقى الكمال البشري إلى أوج بعيد، فكانت كل آية تهبط عليه نورا يتألق به باطنه، وكشفا تشرب به بصيرته.

لا تعارض بين القرآن والسنة

ويؤكد الشيخ التكامل بين نصوص الوحي قرآنا وسنة، وأن ما يبدو من تعارض ناشئ من سوء الفهم، فقال: «لا يتعارض حديث مع كتاب الله أبدا، وما يبدو حينا من تعارض هو من سوء الفهم، لا من طبيعة الواقع، وذلك مثل حديث : «لن يدخل أحد الجنّة بعمله» (البخاري) وقوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ (النحل : ٣٢) الفهم الصحيح للموضع كله، أنه لابد من عمل ينال به المرء رضا ربه ويستحق رحمته، فالجنة ليست للكسالى والأراذل، بيد أن العمل المقبول



هو المقرون بالتواضع لله وإنكار الذات، والقلق من أن يرفض رب العالمين العمل المتقرب به، لأن عيوبه لا تخفى عليه، أو لأنه دون حقه، أو لأي سبب آخر، فمن تقدم بعمل وهو شامخ الأنف، ليس في حسابه إلا أنه قدم العمل المطلوب للجنة، وعلى الله أن يسلم له المفاتيح ليدخلها بعدما امتلكها بعمله، هذا المغرور لا يقبل منه شيء، ولا مكان له في الجنة، أما من جاء خاشعا خفيض الجناح، شاعرا بالانكسار لأنه لم يقدّم ما الله أهل له، فإنه يدخل الجنّة بعمله، والدلائل على هذا المعنى كثيرة، وما يعقلها إلا العالمون» (١).

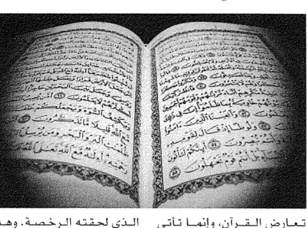
لا ترد السنّة اكتفاء بالقرآن

كما حذر الشيخ من رد السنة النبوية بدعوى أن ما في القرآن كاف في العمل والتشريع، بل يجب الأخذ بهما معا، وبيّن أن فهم الإسلام والعمل به لا يتم إلا بالجمع بين القرآن والسنة التي جاءت بيانا وتفسيرا له، وأن الاكتفاء بالقرآن وحده بدعة خطيرة، وليس لأحد حق تمحيص السنن ودراسة أسانيدها إلا من أهله، فالسنة جزء من الوحي ما تواتر منها وما لم يتواتر، يقول: «إذا صح أن رسول الله ﷺ أمر بشيء أو نهى عن شيء، فإن طاعته واجبة، وهي من طاعة الله. وما يجوز لمؤمن أن يستبيح لنفسه التجاوز عن أمر للرسول فيه حكم ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء :٨٠) ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾(الأحزاب: ٣٦).

وظيفة السنّة مع القرآن

ويبين الشيخ أن السنة لا تعارض القرآن، وإنما تأتي إما مقررة لأحكامه، أو مبينة وشارحة لمجمله، أو مخصصة لعمومه، أو مقيدة لمطلقه، وغير ذلك من طرق البيان (٢)، وأنه لا يوجد حديث واحد يعارض القرآن أو قواعده العامة، يقول: « لقد كنت عندما أحب الاستشهاد بالكتاب والسنة في موضوع ما، ألاحظ هذه الحقيقة وأجد طائفة كبيرة من الأحاديث تطابق في معانيها وأهدافها ما تضمن القرآن الكريم من معان وأهداف، وأن هذه الأحاديث قد تقرر المعنى نفسه، الذي احتوته الآية، أو تقرر معنى آخر يدور في فلكه وينتظم معه في اتجاه واحد، وإن بدا للعين المجردة أن الصلة بينهما بعيدة.

وقد جاءت السنّة بأحكام يسّرت بعض العزائم التي أمر الكتاب العزيز بها، فالقرآن مثلا يأمر بغسل القدمين، ويعد ذلك ركنا في الوضوء، وتنظيف الرجلين أمر لابد منه في صحة الصلاة ، وقد بّين رسول الله ﷺ أن الرجل إذا أدخل قدميه طاهرتين في خفيه أو جوربيه (البخاري ومسلم)، فليس بضروري أن يعيد غسلهما كلّما أراد الوضوء، وبحسبه أن يمسح على ظاهرهما- فوق الحذاء أو الجوارب- إشارة إلي الركن



الذي لحقته الرخصة. وهذا الذي صنعه الرسول ﷺ وأمر به ليس هوى جنح إليه: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى﴾(النجم: ٢-٣) إنما هو إرشاد الله له، وهو عمل يتسق مع قاعدة الإسلام الأولى من السماحة والتيسير، وليس فيه أي تناقض مع تعاليم القرآن، ونستطيع أن نقول: إنه ليست هناك سنة تعارض حكما قرآنيا ما، بل إنه من المستحيل أن يوجد حديث يعارض أحكام القرآن، أو قواعده العامة» (٣).

أسباب تقديم القرآن على السنة

ويوضح الشيخ أن تقديم القرآن على السنة ثابت بإجماع، وأن ذلك دعت إليه جملة من الأسباب الموضوعية والمعقولة، تأبى أن تقبل سنة بمعزل عن فهم كتاب الله أولا، من ذلك أن السنة تستمد شرعيتها وقوتها من القرآن، والقرآن كله قطعي الثبوت بخلاف السنة منها الظني وهو الغالب ومنها القطعي، والقرآن حفظ بكامله في السطور والصدور بخلاف السنة تأخر تدوينها ودخل فيها ما ليس منها، يقول: «وقد أجمع المسلمون على أن الكتاب هو الأصل الأول في التشريع (٤)، وأن السنة تجيء من بعده في المرتبة للأسباب الآتية:

- ذلك أن هذا السنن من أقوال وأفعال وأحكام وتقريرات إنما تبنى على الدّعائم الممهّدة من كلام الله جلّ شأنه، وتمتدّ في اتجاهها وترتكز عليها، فهي أشبه بالتوابع الفلكية مع أمهاتها من الكواكب الكبرى.

- أن السنّة اعتبرت أدلة شرعية بشهادة القرآن لها، فهي تستمد قوتها كمصدر للأحكام من أمر القرآن بذلك في مثل قوله عزّ وجل : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ (النساء: ٥٩) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء: ٨٠) وبهذا احتج ابن مسعود عندما جادلته امرأة في حديثه عن لعن النساء المتبرّجات بتزوير الخلقة، زاعمة أن ذلك ليس في القرآن، فقد روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقالت له امرأة في ذلك- أي اعترضته- فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله، وهو في كتاب الله؟ قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾» (الحشر: ٧) (البخاري).

- ثم إن القرآن يقيني الثبوت، فهو متواتر جملة وتفصيلا، أما السنة فإن منها المتواتر، وأكثرها أخبار آحاد، وروايات الآحاد تفيد الظن العلمي لا القطع الجازم، والأحكام الشرعية المهمة تعتمد على اليقينيات لا الظنيات.

- ومن المسلم أن القرآن الكريم وصل إلينا كاملا، لم ينقص منه حرف واحد، تظاهرت الكتابة والحفظ من أول يوم على صيانته وضبطه،



مما لم يؤثر ألبتة عن كتاب في الأولين والآخرين، أما السنن فقد تأخر تدوينها، والتحق بها ما ليس منها، فاجتهد الأئمة في غربلتها، ونقد طرقها ومتونها، واختلفت أنظارهم في ذلك بين التصحيح والتضعيف والقبول والرد، ولاشك أنهم وضعوا قواعد للنقد العلمي تستحق كل احترام، وجردوا تراث النبوة مما قد يعلق به من أوهام، بيد أن جملة السنن التي وصلت إلينا بعد ذلك الجهد لا يمكن القطع بأنها كل ما قاله رسول الله، وأن الرواة أحصوا في سجلاتهم كلام النبي ﷺ كله، لم يسقط منه شيء، وذلك على عكس القرآن الكريم، فإن ثبوته كله يجعل هيمنته على مصادر التشريع لا تقبل جدلا.

ومعاذ الله أن نغمط السنة حقها، فهي ضميمة إلى القرآن لابد منها، ونحن نعلم أن معالجة التطبيق العملي للمبادئ والأسس العامة تتطلب فيضا من التفصيلات والتفريعات المنوعة، وقد قامت السنة بهذه الوظيفة بالنسبة إلى القرآن، وعندما نلقي نظرة عجلى على مجتمعنا مثلا، نرى هذه التعليمات الفرعية تملأ كل أفق، فاللوائح الداخلية والتشريعات التجارية والمدنية والجنائية والاقتصادية تقوم بعملها الخطير في تنظيم الحياة العلمية، وهو عمل لا يمكن تجاهله، لكن لا يمكن أيضا الذهاب به فوق قدره بالنسبة إلى الدستور المشرف على كل شيء، والمهيمن على تقعيد القواعد وإنجاز الفروع، بل الذي تبطل القوانين إذا جافت نصه أو روحه، وكذلك القرآن بالنسبة إلى السنن المروية كلها، إنها تسير في هداه وتنطلق إلى مداه، وما يسوغ لفقيه مسلم أن يفهم غير هذا، ولا لمجتمع مسلم أن يحيا على غيرها، وقد رأيت نفرا من المتدينين يخوض في السنن وبضاعته في القرآن قليلة، وبصره إلى الآيات كليل، فأنكرت ذلك وأيقنت أن معالم الإسلام لن تكون صريحة في ذهنه» (٥).

أخطاء فهم السنن مقطوعة عن القرآن

ويؤكد الشيخ ضرورة الاهتمام بالقرآن وفهم معانيه، ثم تنزيل السنة وفق تلك المعاني، فإن القرآن هو المرجع الأعلى في فهم قوانين الكون وسنن الحياة، وهو مصدر الحقائق الكبرى، وما السنة إلا فهم للقرآن، فلا يجوز الإعراض عنه والاستمساك بالسنن، لأن ذلك قلب للموازين، قد يوقع صاحبه في ترك آيات من القرآن زعما أن الحديث جاء بخلافها، وكان الأولى ترك الحديث لأنه جاء مخالفا لما في القرآن، وقد وقع الكثير من الدارسين للسنة في أخطاء بسبب الاقتصار عليها دون الرّجوع إلى القرآن.

بطلان الحديث إذا خالف ظاهر القرآن

ويقرّر الشيخ بهذه القاعدة بطلان أيّ حديث يخالف القرآن نصّا ومعنى، والحكم ببطلانه آت من كون السنّة لا تأتي إلا بما يوافق القرآن، مؤكّدة ومقرّرة، أو مفسّرة وشارحة، أو مخصّصة ومقيّدة، أو مستقلة بأحكام وفق أغراضه ومعانيه، فكيف يقبل حديث يعارض القرآن؟ فإذا تحقّقت المعارضة وجب ترك الحديث، لأنّ المظنون لا يقوى على معارضة المقطوع، ولأنّ الحديث قد يكون معلول المتن ولو كان صحيح السنّد، يقول: «إن أيّ حديث يخالف روح القرآن أو نصّه فهو باطل من تلقاء نفسه».

والدّليل الظنّي متى خالف القطعي سقط اعتباره على الإطلاق، كما أورد البخاري وغيره من الحفّاظ حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: ﴿خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدّواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، (ذكره البخاري في التاريخ الكبير ومسلم في المقدمة) ومع أن الحديث في صحيح مسلم قد أغفله الحفاظ لكونه مخالفا لما جاء في القرآن، من أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لا سبعة، فقالوا: هو من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، ولا يمكن أن يكون من قول الرسول، لأن قوله ﷺ لا يتعارض مع القرآن بل يكون شارحا له، ومفسرا لآياته.. فالسنة هي الركن الثاني في الدين، ولكن السنة بحاجة إلى من يعرف أسانيدها ومتونها معرفة حسنة، ومن يعرف- قبل ذلك وبعده- الكتاب العزيز، ويقف على معانيه ومراميه» (٦).

ويؤكد الشيخ على وجوب عرض معاني الحديث على نصوص القرآن، حتى لا تتعارض فيما بينها، فلا يقبل حديث إذا عارض معناه ظاهر القرآن، ولو كان صحيح السند، وهو دأب الفقهاء كأبي حنيفة ومالك، إذ كانوا يتوقفون في أحاديث صحيحة لكونها مخالفة لظاهر القرآن.

ويؤكد على هذه المعاني بقوله: «كلّ ما نحرص نحن عليه شدّ الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجملة غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شؤون أخرى تعجزهم عن تشرّب الوحي، والفقهاء المحقّقون إذا أرادوا بحث قضية ما جمعوا كلّ ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة، وحاكموا المظنون إلى المقطوع، وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة، أما اختطاف الحكم من حديث عابر، والإعراض عما ورد في الموضوع من آثار أخرى فليس عمل العلماء، وقد كان الفقهاء على امتداد تاريخنا العلمي هم القادة الموثقون للأمة، الذين أسلمت لهم زمامها عن رضا وطمأنينة، وقنع أهل الحديث بتقديم ما يتناقلون من آثار كما تقدّم مواد البناء للمهندس الذي يبني الدار، ويرفع الشرفات، والواقع أن كلا الفريقين يحتاج إلى الآخر، فلا فقه بلا سنة، ولا سنة بلا فقه، وعظمة الإسلام تتم بهذا التعاون، والمحنة تقع في اغترار أحدهما بما عنده، وتزداد مع الإصرار وضعف البصيرة» (٧).

الهوامش

١- مائة سؤال عن الإسلام- مرجع سابق- ص:١٧٧

٢- انظر أنواع بيان السنة للقرآن في كتاب علم أصول الفقه لخلاف، ص:٣٩، وأصول الفقه الإسلامي لشلبي، ص:١٢٦ فما بعدها.

٣- ليس من الإسلام- ص: ٣٠،٣١،٣٢

٤- انظر: تقديم القرآن على السنة في كتاب أصول الفقه الإسلامي لمصطفى شلبي، ص:١٦٠

٥- نظرات في القرآن- ص: ١٦٧،١٦٨،١٦٩

٦- هذا ديننا- ص: ٢١٢،٢١٣

٧- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث- مرجع سابق - ص:٢٥





فلسفة الحضارة في التجديد لدى مالك بن نبي

د. مصطفى محمد طه



يعتبر مالك بن نبي (١٣٢٣-١٣٩٣هـ = ١٩٠٥-١٩٧٣م)، أبرز مجدد إسلامي عرفه العصر الحديث، وتأتي فرادة مالك بن نبي بين مجددي العصور من منطلق أنه قد ولد في نفس العام الذي مات فيه الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ= ١٨٤٩-١٩٠٥م).

وكأن الأقدار أرادت لسلسلة المجددين ألا تنقطع في عالم الإسلام المتراحب، هذا فضلاً عن أن مالك بن نبي قد بز جميع من سبقه من مجددي العصور الإسلامية وتفوق عليهم من حيث انفتاحه على حضارة العصر في مركز من أبرز مراكز إشعاعها، فجمع بذلك بين الأصالة الإسلامية والمدنية الغربية، واستطاع عبر طروحاته الفكرية الثرية، بشأن التجديد الحضاري الشامل، أن يساهم إسهامًا حيويًا في أن يقدم ملامح مشروع فكري على طريق حل هذه المعادلة الصعبة، التي مازال عالم الإسلام يسعى جاهدا إلى إيجاد الحل الامثل لها، وذلك حتى يتسنى له اللحاق بحضارة العصر، عبر المشاركة الفعلية فيها بنصيب وافر، بدلا من ان يكتفي بالاستيراد او «التكدس الشيئي» على حد تعبير مالك بن نبي.

وعند دراسة المعطيات التجديدية التي جعلت من مالك بن نبي فيلسوفا للحضارة الإسلامية المعاصرة، فضلا عن كونه رائدا من رواد التجديد الحضاري في واقعنا الثقافي المعاصر، فإنه لابد من دراسة المحاور التالية:

التقهقر والانحطاط

نظر مالك بن نبي إلى فلسفة الحضارة على أنها بمنزلة العامل الحيوي، الذي في إمكانه مساعدة مسلم اليوم الذي يترنح آيلا للسقوط حضاريا، ولاسيما منذ عصر ما بعد الموحدين - وفقا لتعبير مالك بن نبي- وذلك من منطلق نظرته لدورات الحضارة الإسلامية، التي مرت- وفقا لتصوره- بهذه الدورات الثلاث، الدورة الأولى هي دورة الروح، الدورة الثانية هي دورة العقل، الدورة الثالثة هي دورة السقوط (إنسان ما بعد الموحدين).

ويرى مالك بن نبي أن أهمية هذه النظرة تأتي من منطلق أنها تتيح لنا الوقوف على عوامل التقهقر والانحطاط، أي على قوى الجمود داخل الحضارة إلى جانب شرائط النمو والتقدم، فهي تتيح لنا أن نجمع كلا لا تتجزأ مراحله، ومن الملاحظ أن التعارض الداخلي بين أسباب الحياة والموت في أية عملية حيوية (بيولوجية)، هو الذي يؤدي بالكائن إلى قمة نموه ثم إلى نهاية تحلله، أما في المجال الاجتماعي فإن هذه الحتمية محدودة بل مشروطة، لأن اتجاه التطور وأجله يخضعان لعوامل نفسية زمنية، يمكن للمجتمع المنظم أن يعمل في نطاقها حين يعدل حياته، ويسعى نحو غاياته في صورة متجانسة منسجمة (١).

«إن هذه الملاحظات - يقول مالك بن نبي- هي التي تدفعنا إلى أن ننتقد مسلك بعض الباحثين حين ينظرون إلى ظاهرة الحضارة منفصلة عن ظاهرة الانحطاط، وإن العالم الإسلامي لفي مسيس الحاجة في هذه النقطة إلى أفكار واضحة تهدي سعيه نحو النهضة ولهذا فإن ما يهمنا في المقام الأول هو أن نتأمل الأسباب البعيدة التي حتمت تقهقره وانحطاطه» (٢).

وذلك حتى يتسنى له التخلص من تداعيات حقبة السقوط الحضاري التي طال أمدها، وينطلق بخطى وثابة نحو دورة تاريخية جديدة عنوانها التجديد الحضاري الشامل.

مشكلة حضارية

وعلى الرغم من أن مالك بن نبي قد تمثل فلسفات الحضارة الحديثة تمثلا عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين، فإن ابن خلدون (٧٣٢ -٨٠٨هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦م)، بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الأكبر، وفيما يتصل بنظرة مالك بن نبي إلى فلسفة الحضارة، فإنه يذهب إلى «أن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات وتهدمها» (٣).



وإذا كان البحث في فلسفة الحضارة، يعني الوقوف على الأسباب والمقومات التي تحدد سبل نهضة المسلم المعاصر، وبالتالي يكون في مقدوره الخروج من كبوة التخلف الحضاري، الذي كان بمنزلة الإفراز النكد لحقبة السيطرة الاستعمارية والتغريبية بكل صورها العسكرية، والسياسية، والفكرية، والثقافية، فإن العقل المسلم قد ساهم بنصيب وافر وبجهد واضح في مسألة الحضارة وفقه التاريخ، وقوانين حركته، وذلك بأساليب منهجية تقترب أو تبتعد عن البحث في المسألة الحضارية بالشكل الاصطلاحي الدقيق، إلا أنها أكدت، وما زالت تؤكد، أن كل إسهام فكري في فلسفة الحضارة، من شأنه تأكيد الهوية الإسلامية لثقافة الأمة- هذا فضلا عن تقديمه الأسس النظرية للمشروع الحضاري الإسلامي البديل، وذلك مادام التزم قيم ومبادئ وأسس الإسلام الصحيح من خلال معطيات القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة. فالقضية لم تقف عند منظّر يجعل القضية همه الأكبر مثل مالك بن نبي، أو عند تلامذته المتأثرين به تأثرا مباشرا، والمنتشرين على امتداد الساحة العربية- من الماء إلى الماء- نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عمار الطالبي (الجزائر)، محمود محمد سفر (السعودية)، عماد الدين خليل (العراق)، جودت سعيد، وجماعة «ندوة مالك بن نبي» في لبنان وسوريا (٤).

التمازج بين النظرية والتطبيق

ولعل أهم ملمح بارز يعطي مالك بن نبي دورا فريدا بين

التجديد عند مالك بن نبي عملية بنائية تستهدف إقامة حضارة على أسس اجتماعية

مجددي العصور في عالم الإسلام على مدار الأعصار المتطاولة، منذ انبثاق فجر الإسلام الخالد وحتى هذه اللحظة التاريخية الراهنة التي نحياها، هو أنه لم يكن فقط مجرد منظّر حضاري للتجديد، بل إنه قد جمع بين طرفي المعادلة اللازمة لأي نهوض أو تجديد، ونعني بها التمازج بين «النظرية والتطبيق». وفي هذا السياق التجديدي يقول: «وبالمثل نجد أن عوامل التعجيل بالحركة الطبيعية بدأت تؤدي دورها الكامل في دراسات الاجتماع، كما هو مشاهد في التجربة الخالدة لليابان، فمن عام ١٨٦٨م إلى ١٩٠٥م انتقلت اليابان من مرحلة العصور الوسطى- أو ما سبق أن أطلقت عليه «بادرة الحضارة»- إلى الحضارة الحديثة.

فالعالم الإسلامي يريد أن يجتاز المرحلة نفسها، بمعنى أنه يريد إنجاز مهمة تركيب الحضارة في زمن معين، ولذا يجب عليه أن يقتبس من الكيميائي طريقته، فهو يحلل أولا المنتجات التي يريد أن يجري عليها بعد ذلك عملية التركيب، فإذا سلكنا هنا هذا المسلك قررنا ان كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية الآتية: ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت، ففي المصباح مثلا يوجد الانسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعد المصباح ثمرتها، والتراب في عناصره من موصل وعازل، وهو يتدخل بعنصره الأول في نشأة الإنسان العضوية، والوقت «مناط» يبرز في جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية، وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين: الإنسان والتراب» (٥).

ولم يكتف مالك بن نبي بما ذكر، وهو بصدد رسم معالم الطريق لمسلم اليوم، لتحقيق انطلاقة حضارية راشدة تساعده على انجاز البناء الحضاري المعاصر، فيواصل تحليله لهذه الصيغة الرياضية، فيقول: «فالصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب طريقة الجمع المستخدمة، فسننتهي حتما إلى ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية: حضارة = إنسان +تراب + وقت. وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت. فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها» (٦).

الفكرة والواقع

إن من أبرز المحاور التي يمكن الدخول من خلالها إلى منهج البحث في فلسفة الحضارة- كمدخل للتجديد- عند مالك بن نبي، إنما هو صياغته للعلاقة بين الفكر والواقع، هذا فضلا عن دراسة علاقة الوسائل التي يملكها المجتمع بالغايات التي حددها هدفا له، وهو ما يمكن أن نعثر عليه عند مالك بن نبي، من خلال طرحه لمصطلح الفعالية الحضارية (او التجديد الحضاري) وهو بحث في العلاقة المتبادلة بين العناصر الثقافية التي تؤثر في البنية الحضارية، وفي مدى ملاءمة القيم والأفكار للغايات التي تسعى الحضارة لتأصيلها في محيط الإنسان الاجتماعي، وفي علاقات هذه الحضارة بالكيانات الحضارية الأخرى» (٧).

وفي هذا السياق يمكن القول بأن التجديد عند مالك بن نبي انما هو على الحقيقة بمنزلة عملية بنائية تستهدف اقامة حضارة بواسطة نظام من العلاقات الاجتماعية، أو هو تحويل الواقع الاجتماعي المتخلف إلى تركيب حضاري، عن طريق




ابن خلدون الملهم الأكبر لمالك بن نبي في تفسير فلسفة الحضارة

شبكة العلاقات الاجتماعية.

فالتغيير الاجتماعي بالضرورة هو من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعا، ولابد من توفر صلات ضرورية بين هذه العناصر كي يؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته ويتحقق الوصول بالمجتمع إلى الحضارة، إن هذه الصلات هي شبكة العلاقات الاجتماعية، والأشياء التي تنشأ نتيجة التفاعل بني العناصر الثلاثة الأولى، الأشخاص والأشياء والأفكار، وترابطها في كيان عام من أجل عمل مشترك هو تحقيق الحضارة (٨).

التغيير الاجتماعي

وفي ضوء هذا المنظور النسقي للتجديد الحضاري المنبثق عن فلسفة حضارية واعية، يبدو مالك بن نبي - كمفكر اجتماعي ومجدد إسلامي أصيل- يقترب في كثير من موضوعاته ومنهجيته ومعالجاته من دائرة العلم الاجتماعي، فنراه يتعرض لظاهرة التغيير الاجتماعي- كما سبق أن ألمحنا- وحركة الحضارات، وتشغل نظريته في هذا الصدد جانبا هاما من أعماله، بما ينبثق عنها من أفكار ومعالجات، كتعريفه للمجتمع، وتمييزه بين أنواع المجتمعات، ومعالجاته لقضايا الثقافة والبناء الاجتماعي، وقد امتاز في كل ذلك برؤية سوسيولوجية خاصة، وخصوصية منهجية فرضها وعيه المتميز والمبكر، بضرورة أن يكون هناك علم اجتماع خاص بالعالم الإسلامي (٩).

ولم يكتف مالك بن نبي بهذا التنظير حول ضرورة التجديد الحضاري في عالم الإسلام، بل إنه ينتقل بنا إلى رصد الواقع الحضاري العالمي، على المستويين الغربي ممثلا في الحضارة الغربية، والإسلامي ممثلا في العالم الإسلامي، وذلك من خلال تحليله لواقع الحضارة الغربية، لكي يبين لنا عناصر الأزمة التي يحياها الإنسان الغربي، وذلك لكي يوضح لنا أن أسباب أزمة التخلف الحضاري في عالم الإسلام، إنما هي ناتجة عن تخلي المسلمين عن قيمهم العقدية، وانبهارهم الأجوف بفلسفات ومذاهب الغرب التي بيّن لنا مالك بن نبي مدى خوائها، هذا فضلا عن عناصر الأزمة الكامنة في الكيان الغربي، ويترتب على هذا الربط المنهجي بين واقع غربي متأزم، وبين عالم إسلامي متخلف، الضرورة التي يفرضها الفهم الصحيح للإسلام على أنه بجانب كونه عقيدة خالدة، فهو أيضا شريعة قادرة على احتواء الأزمة الحضارية للمسلم المعاصر، والعودة بمنحنيات الانكسار في الحضارة الإسلامية إلى مسارها الذي أراده لها الحق تبارك وتعالى كخير حضارة تفطر عنها قلب التاريخ، لأن أمتها هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهدي البشرية الحائر ة إلى استقامة المنهج وصدق الرسالة، وفق قيم الجمال والحق والخير والعدل (١٠).

الانسان محور التغيير الحضاري

إن مسلم اليوم إذا كان فعلا جادا في تبني خيار التجديد الحضاري، فعليه أن يتلمس العودة لإشعال جذوة الإيمان من جديد، وتقوية تكوينه العقدي والأخلاقي، وذلك بنفس معيار الطاقة والفعالية التي اتسم بها مجتمع التوحيد الأول، وذلك لأن معركة الصراع الحضاري التي تدور رحاها في العالم المعاصر، سوف تأتي بنتائجها السيئة على البقية الباقية من الكيان الإسلامي المتدهور، والتاريخ الحضاري للبشرية يؤكد لنا بأن كل عملية تقدم لا يمكن أن تتحقق إلا إذا ارتبطت بوجود قوى اجتاعية تصنع هذا التقدم- أو التجديد- وأهم هذه القوى- بل محورها- الإنسان الذي يعد محور الفعالية في حركة الحضارة، وذلك من خلال إمكانات التغييرالنفسي التي بمقتضاها يتسطيع الإنسان أن يسهم في بناء الحضارة وإفراز التقدم، والحيوية الحضارية في شروطها الأولى، وعي بقضايا التخلف وإرادة صلبة لتجاوزه، والنهضة الحضارية هي اصطدام بعناصر ذلك التخلف (١١).

من هنا يمكن القول بأن التجديد الحضاري، كما يراه مالك بن نبي، لن يتحقق في أرض الواقع إلا بفعل ديناميكي يحركه، وتفسير ذلك هو أننا نجد في بداية كل حضارة ثمة الفكرة الفاعلة القادرة على تغيير ما بالنفس، ومن ثم تغيير ما بالعقل، وذلك من أجل الإقلاع الحضاري نحو التجديد، إنها الفكرة المشحونة بالرؤية الكونية وبالوقود العلوي وبالمسؤولية الإنسانية الشاملة، إنها الطريق الشرعي والفطري لصناعة الحضارة الإنسانية والتقدم (١٢).

وفي التحليل الأخير، فإن ثمة تساؤلًا حيويًا يفرض نفسه على الباحث، مفاده: ماذا يمكن للمفكر الإسلامي المعاصر أن يستفيد من مفهوم مالك بن نبي لفلسفة الحضارة؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، نقول إن المفهوم الإصلاحي للحضارة وفلسفتها عند مالك يؤكد على ضرورة الاتجاه إلى بناء المسلم المعاصر على أسس روحية مستمدة من مفاهيم الفكر الإسلامي الصحيح، كما يؤكد ايضا على ضرورة الإبداع الذاتي في عالم



الفكر وعدم الاعتماد على الفكر الغربي كلية، وذلك لأن هذا الفكر وليد بيئته الخاصة، ووليد روح انسانية لها سمتها الخاصة بها، كما ان هذا الإبداع سيساهم في التحرر بشكل او بآخر من سيطرة الغرب علينا.

كما يمكن أن نستفيد من هذا المفهوم في ضرورة استثمار التراب الإسلامي بفعالية، وذلك حتى يمكننا الاستفادة منه على أكمل وجه، وبالتالي لا نفرط فيه بسهولة، وغير خاف على أحد بأن أفضل استثمار لهذا التراب إنما يتم عن طريق العمل الدائم بتأثير مجموعة من التصورات الفكرية، التي تصور لنا كيف يتم استثمار هذا التراب لبناء حضارة جديدة، ولعل أهم عامل لبناء هذه الحضارة المنشودة بجانب التراب، هو الإنسان، ولن يكتمل ذلك إلا بالعمل على بث روح الإدراك الصحيح لأهمية الوقت ودوره في بناء الحضارة- كما سبق أن ألمحنا- ولاسيما بعد إعطاء هذا الوقت قيمة عظيمة بدلا من كونه عدما. إن ذلكم هو مفهوم مالك بن نبي لفلسفة الحضارة، ونحن نعتقد جازمين ان محاولته هذه تحوي الكثير من عناصر الابداع الفكري التي تجعله على قدم المساواة مع مفكرين غربيين في فلسفة التاريخ والحضارة، ولذا فإننا نتفق مع البعض الذي يذهب إلى القول بأن مالك بن نبي هو ابن خلدون القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) (١٣).

فلسفة الحضارة وفلسفة التاريخ

تلك كانت هي أهم ملامح رؤية مالك بن نبي لفلسفة الحضارة ودورها البارز في تحقيق التجديد عبر رسم معالم المشروع الحضاري البديل، الذي يعتبر مالك بن نبي أحد أبرز منظريه في عالم الإسلام، ولا ريب في أن فلسفة الحضارة قد انبثقت من رحم فلسفة التاريخ، ولهذا فهي ترتبط بها ارتباطا عضويا حيا، ومن هنا يمكن اعتبارهما وجهين لعملة واحدة، هي الابداع الحضاري للانسان في كل زمان ومكان، وفي هذا ما لعله يجعل من مالك بن نبي واسطة العقد بين مجددي العصور على مستوى عالم الإسلام قاطبة، بل هو من أبرز مفكري الإسلام المعاصرين، الذين اهتموا بالفكر الحضاري منذ أن طويت آخر صفحات ابن خلدون راحلا عن عالمنا الزائل إلى العالم الآخر.

إن المعطيات الفكرية لمالك بن نبي في إطار فلسفة الحضارة، تجعله فيلسوفا ذا نزعة تقدمية، كما كان من قبل ابن خلدون، مما يعني أن الفكر الإسلامي قد شهد على مدار التاريخ من يقول بفلسفة الحضارة، وفقا للتصور الإسلامي الذي يؤكد على ان فلسفة الحضارة رافد اساسي للتجديد الحضاري الذي لابد أن يكون شاملا لجميع مناحي الحياة الإسلامية، سواء كانت بشرية أم مادية، والدليل الحيوي على مدى صحة ذلك التصور، هو ان فلسفة الحضارة كانت واضحة وضوح الشمس على خارطة النتاج الفكري لفيلسوفنا، وقد جاءت طروحاته في هذا السياق متباينة بطبيعة الحال عن طروحات مفكري الغرب، ومرجع هذا هو أن المنابع الفكرية التي امتاح منها مالك معطياته، انما هي مصادر الثقافة الإسلامية في الأساس- قبل ثقافة الغرب- ويأتي في مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعطاء التراث الحضاري الإسلامي.

التجديد الحضاري لن يتحقق في أرض الواقع إلا بفعل ديناميكي

وفي بداية التحليل ونهايته، يمكن تفسير مدى اهتمام مالك بن نبي بفلسفة الحضارة من خلال ذلك العنوان الدال الذي حملته جميع مؤلفاته ونعني به «مشكلات الحضارة»، وتشي القراءة العلمية الدقيقة لهذه المؤلفات جميعا بأن مالك بن نبي قد توصل إلى أن فلسفة الحضارة إنما تهدف ضمن مما تهدف إلى زرع بذور التقدم في التربة الإسلامية الخصبة، ما يعني ان مجددنا علامة فارقة ليس فقط في الفضاء الثقافي الإسلامي فحسب، بل في الفضاء الثقافي الكوني قاطبة.

الهوامش

١- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبدالصبور شاهين، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٨٢.

٢- مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص٨٢-٩٢.

٣- د. فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩، ص٠١٤.

٤- د. سليمان الخطيب: المرجع السابق، ص ٤٦ -٧٤.

٥- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين، سلسلة مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٩٤.

٦- مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص ٠٥.

٧- د. سلميان الخطيب: المرجع السابق، ص ١٥١.

٨- د. نورة خالد السعد: المرجع السابق، ص٦٠١.

٩- د. علي القريشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، ص ٦٩٢.

١٠- د. سليمان الخطيب: المرجع السابق، ص ١٨٦-٧٨١.

١١- د. سليمان الخطيب: المرجع نفسه، ص٤٣٢.

١٢- د. عبدالحليم عويس: الوظيفة الحضارية لأفكار مالك بن نبي، مجلة الفيصل، العدد ٩٦، دار الفيصل الثقافية، الرياض شوال ١٤١٣هـ- ابريل (نيسان) ١٩٩٣م، ص ٢٤.

١٣- د. أحمد محمد سالم البربري: نحو مفهوم جديد للحضارة عند مالك بن نبي، مجلة الفكر العربي، العدد السادس والسبعون، معهد الإنماء العربي، بيروت، السنة الخامسة عشرة (٢)، ربيع ١٩٩٤م، ص ١١٨ -٩١١.

كلمات في نهاية كتاب

د. عبدالمنعم عبدالله حسن

تمثل الكلمات الأخيرة في فصول الكتاب- عند المبدعين- مشهد الختام ولقطة النهاية، بما يحمل هذا المشهد، وتحوي هذه اللقطة دفقات شعورية مكثفة، تجسم خلاصة الأحداث، وتجمع خيوط المواقف، وتصب عصارة العمل الإبداعي في حروف قصيرة أخيرة وكلمات قليلة يسيرة، ولكنها عند التأمل والتدبر، والنظر والتفكر، والتدقيق والتحقيق، مجمع لأفكار كثيرة، وصفحات غزيرة، تسع الكتاب المعروض كله.

ولست تشعر بذلك في أي كتاب، ولا عند أي كاتب، فإنها موهبة وإلهام، يذكيها صدق وإخلاص.

قرأت كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، وتجاوزت فصوله وسطوره، ووجدتني أمام آخر كلماته التي أعدت قراءتها مرات، ورأيت في حروفها مغزى الكتاب كله، وهدفه أجمعه، وخلاصته كاملة، وألفيتني أضعها أمام عيني، وفي نفسي تجاهها مشاعر أثارتها الكلمات، وأحاسيس أيقظتها الحروف، وخواطر بعثتها هذه الرسائل المختصرة التي تشبه لغة الإبراق العاجل التي تغني فيه الإشارة عن العبارة.

يقرأ القارئ كتابا في التاريخ المحمدي كهذا الكتاب فيحسب انه ألم بحياة صاحبه محمد ﷺ ووقف على جوانبها، وأقام من هذه المعرفة التاريخية صلة بهذا النبي الكامل ﷺ فإذا بهذه الكلمات تدفع هذا الظن، وتصحح هذا الفهم، وتقوم ذاك الزعم، ثم ترسم الطريق السوي لمن أراد فقها لسيرة النبي، أو صلة به ﷺ.

كلمات.. في نهاية كتاب «فقه السيرة» تحمل لقراءة التاريخ المحمدي أصولا، وتضع له منهجا، وتؤسس دعائم لتتحول القراءة إلى سلوك، وتترجم المعرفة الى عمل، وتغدو الثقافة نبلا وعطاء، وصلة وانتماء.

وبهذا تكون قراءة التاريخ وعيا، لا سردا، وإدراكا لا عرضا، واتباعا لا متابعة، وتكون فعلا فقها.

لقد جاءت الكلمات في نهاية الكتاب أعمدة سامقة تحمل مشاعل مشرقة على طريق قراء السيرة لتقول لمن يسير على هذا الدرب، بعد أن وصل الى نهايته: «قد تظن أنك درست حياة محمد ﷺ إذا تابعت تاريخه من المولد الى الوفاة، وهذا خطأ بالغ، إنك لن تفقه السيرة حقا، إلا إذا درست القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبقدر ما تنال من ذلك، تكون صلتك بنبي الإسلام» (١).

إن هناك إذن فرقا بين المتابعة والدراسة، فالمتابعة عرض سطحي، أما الدراسة فاستبطان وتعمق، واستنتاج وتبحر، ووعي واستضاءة، إنها فقه، بما تحمل هذه الكلمة من ظلال لغوية، وجلال شرعي.

ودراسة حياة محمد ﷺ وفقه سيرته بحق مقرونان بدراسة القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

القرآن منهج هذه الحياة، ونبراس تلك السيرة، وأصول هذه المسيرة، إنه مفتاح الشخصية لتاريخ النبي ﷺ .. القرآن الكريم بما حوى من تشريع وأحكام، وفروض وحدود وقيم ومثل، وأخلاق وآداب، وقصص وعبر، وآيات وبصائر، وأوامر ونواه.

إنه مصدر التأييد الإلهي، والدعم الرباني للنبي ﷺ ومن ثم كان سلوكه قرآنا، ونطقه قرآنا، وهديه قرآنا، وكان خلقه القرآن.

ثم السنة المطهرة.. التفصيل لما أجمله هذا الكتاب، والبيان، لما عممه، والتطبيق السلوكي لما حث عليه، والتوضيح لما أشار إليه.

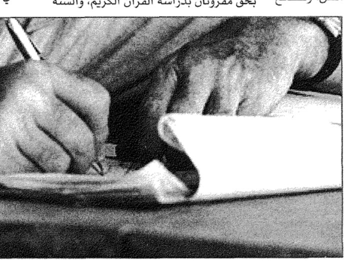
وإن الاتباع الصادق لما جاء به الكتاب الكريم، والتحلي الحقيقي بما دعت إليه السنة المطهرة لهما الفقه الحق لتاريخ النبي محمد ﷺ الذي نزل عليه القرآن الكريم، وأكد هداه ونشر ضياه.

وإن هذا الاتباع لهو أمارة الصلة، وبرهان القرب، ودليل الانتماء، للنبي محمد ﷺ.

والتفاوت في درجات الاتباع، ومنازل التحلي، مواز لتفاوت الصلة والقرب من النبي ﷺ، فمن أراد أن يعرف موقعه من هذه الصلة، فلينظر موقعه من الاتباع والاقتداء والتحلي بما جاء به القرآن الكريم، ودعت إليه السنة النبوية المطهرة.

فإن مقدار النهل من هذين المعينين يحدد مكانة الناهل من هذا النور المحمدي.

وعندئذ تكون صلتك بنبي الإسلام، بقدر ما تنال من ذلك.



هوامش

(١) فقه السيرة - الشيخ محمد الغزالي ص ٤٦٢.

صناعة المثقف

د.فاتح ممدوح عبدالحليم

حفزني لكتابة هذه المادة برنامج تبثه إحدى القنوات الفضائية.. إنه بعنوان «صناعة الموت»، مما جعلني أؤكد أن حياة الآخر مستهدفة من قبل بعضهم، بدليل إصرارهم على كل ما يسيء إليها أو يغتالها.

وكما أن الماء هو مصدر الحياة، وأن الصناعة هي عصبها، فبقناعتي أن الثقافة الإنسانية الحقيقية هي محركها ودماغها بكل تأكيد، ولو دققت بهذا المصطلح لوجدت أن نتاج الثقافة الحقيقية هو إنسان مثقف لا يقبل أبدا أن يستغله الآخرون ليصنع الموت، أو ليكرس ثقافته لأجل إحداثه والترويج له بأساليب عديدة خسيسة ودنيئة في أغلبها.

إذن هناك ثقافة عدوانية تكمن وراء تلك الصناعة، أعني صناعة الموت، ولا ننسى حقيقة أن هؤلاء الصناع تستقطبهم في أحيان كثيرة أنظمة قذرة لا تهدف إلا إلى الهيمنة والسيطرة، تدعمهم أيضا منظمات أو جهات لها أهداف وغايات مشبوهة.

أعود إلى الثقافة المنشودة وتحديدا إلى ثالوثها الذي يستند أو يرتكز عليه البرنامج الثقافي أو المادة الثقافية الحقيقية الإبداعية والسياسة الثقافية وصانع الثقافة، ولعل ما أريده هو التأكيد على نوعية المادة الثقافية، فالمادة الهابطة لا تصنع مثقفا، والسياسة الثقافية المشبوهة لها أثر كبير في احتضان مثقفين غير حقيقيين، واما صناع ثقافة الأنظمة التي تتبع ذلك النوع من السياسة الثقافية فهم في حقيقتهم ليسوا أكثر من أبواق لأنظمتهم، وتمكنوا من صناعة مثقفين سلطويين مؤطرين لا يمكن الاعتماد عليهم أبدا في التأسيس لصناعة المثقف الحقيقي، هذه الصناعة التي غدونا اليوم بأمس الحاجة إليها، وباتت مطلبا ملحا إذا كنا فعلا نريد الحياة أو العيش الآمن الهادئ البعيد عن العنف والظلم والقهر والاستبداد.

وحتى لا يعتقد بعضهم بأني أستهدف أو ألمح إلى شخص محدد أشير بصراحة ووضوح إلى الوجوه المألوفة لدينا، أعني تحديدا العابثة في ساحتنا الثقافية وأؤكد بأنه علينا الا نعلق على أصحابها الآمال فيما نرغب فيه من صناعة، وبالتالي هم القادرون على الإجابة عن سؤال أوجهه لهم «هل باستطاعتكم انتشال مركب ثقافتنا من مستنقعه الآسن إلى بحر حقيقي لا يستطيع أن يصل إلى شاطئه الآخر إلا المثقف المبدع الذي هو بالأساس صناعة ثقافة غير وهمية؟».

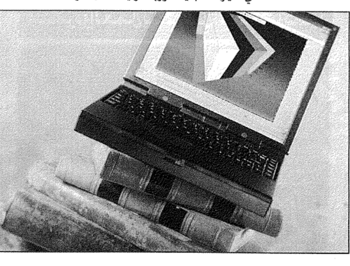
وطبعا مثل هذا السؤال محرج للكثيرين، وقد ينجح بعضهم في الهرب بحنكة من الإجابة عنه متذرعين بأن ذلك يحتاج إلى زلزال ثقافي، لابد من أن يحدث كي نصنع مثقفا حقيقيا، زلزال يطيح بمن يدّعون الثقافة، وبمن خادعوا أو أوهموا، زلزال يؤسس جيلا جديدا من المثقفين ننتظرهم بفارغ الصبر، لأنهم الوحيدون القادرون على تطوير ثقافتنا التي كثيرا ما بكينا، وربما رثينا حالها أو ما وصلت إليه اليوم.

مثل هذا الكلام بالتأكيد يغضب بعضهم، أو لا ينال منهم الرضا والاستحسان، متذرعين بعبارة «ثقافتنا بخير»، فلهؤلاء أقول: لقد سمعناها منذ عقود ولم تزدنا إلا تراجعا وتخلفا وانحطاطا، أي أنها ثقافة طغيان وعنجهية، ثقافة تدميرية أصلت فيكم الانتهازية والوصولية، واستهدفت كل طير يغرد، وكل زهرة تفوح عطرا متميزا، واجتثت جذور كل شجرة مكللة بثمار يانعة شهية.

حقا كنت أتمنى أن تصمتوا، فقد يقنعني صمتكم بشيء لا أستطيع ذكره أو البوح به الآن، أو على الأقل أن تستعدوا وتتهيأوا لمواجهة ذلك الزلزال الذي لن يبقي غير الصفوة التي وحدها ستكون الأمل بصناعة مثقف لوحته الإبداع، ورايته التفوق، لا الزيف والدجل والنفاق.

لا أخفي أني أشارك أولئك المثقفين المخدوعين حزنهم، وبالمناسبة أريد أن أخفف مصابهم، ولهذا حرصت على أن أقول لهم: لا أنكر أنكم بذلتم جهودا معينة، سهرتم وتعبتم، لكن كل ذلك في اتجاه لا يخدم الثقافة الحقيقية النوعية التي نتطلع إليها، وهي مناسبة فقط لصناعة المتخلف الصدئ المتعفن العقل والمشلول التفكير.

وختاما يقيني كبير أن هذه المكاشفة قد وضعت النقاط على الحروف لنقيم مسيرتنا الثقافية، ولنحدد بدقة الدرجة أو المرحلة التي وصلنا إليها، وإذا افترضنا أننا سنصل يوما إلى الثقافة الحلم فيتوجب علينا احتضان من خرجوا من رحمها، فهؤلاء نتاج صناعتهم من جهة، ومن جهة أخرى سيولدون مثقفين فاعلين، يبنون الوطن بكل الصدق والإخاء والرأفة والمحبة والتسامح.



أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم وأثرها في بناء الشخصية واتزانها

(٣/٣)

د. أحمد بن معمَر شرشال

اعتنى علماء التربية والتعليم في الكليات والمعاهد ومدارس تكوين المعلمين بقواعد التربية وعلم النفس اعتناء كبيرا، فكتبوا في ذلك كتبا كثيرة وأبحاثا جمة.

وإن مما يدعو للدهشة والاستغراب أنهم نقلوا فيها عن علماء التربية الغربية كل طارف وتالد، واقتبسوا أصولهم وفروعهم وتجاربهم وإذا كنا نقدر مدى أهمية الاستفادة من عمل الآخرين بعد تصفيته وغربلته مما يتعارض مع أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن الكريم، ومع مبادئنا وقيمنا الحضارية، فإن الذي نعيبه على كثير من علماء التربية وأساتذتها ومدرسيها هو تغافلهم، وعدم التفاتهم إلى ما يزخر به القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق علوم التربية والتعليم أصولا وفروعا.

سابعا: من فوائد هذه الأصول وأثرها تكامل الموضوع

إن الطالب والدارس الذي يتفقه في القرآن وعلومه يمر على جميع الآيات القرآنية، فيكتمل الموضوع لديه، لأن موضوع الآيات ومقاصدها ليست منسقة ولا مجموعة في موضع واحد وليست في سياق واحد، فتجد أن الآية أو الآيات مفصولة عن الأولى بجملة من الآيات الأخرى وهي ليست في نفس الموضوع- في نظرنا القاصر- فقد يأتي ما يكملها أو يوضحها أو يبينها أو يقيدها أو ينسخها في آيات أخرى وفي سور أخرى، فيحتاج الأمر إلى جمع هذه الآيات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، وهذا يحتاج إليه في التفسير التحليلي.

ثامنا: من فوائد وثمرات هذه الأصول التربوية وحدة التقارب

ومن أهم ما يثمره الاشتغال بالتفقه في القرآن وعلومه وتفسيره الوحدة بين جميع المسلمين، وحدة في الإحساس والشعور، ووحدة في الوجدان والتفكير ووحدة في السلوك والعمل، فتتقارب النفوس وتستقيم، وإن تعددت ونوازعها ومشاربها وتصوراتها وألوانها لصدورها عن أصل واحد ونبع واحد وهو التفقه في القرآن وعلومه، فيزدادون صلة وودا ومحبة ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ (مريم:٩٦).

ولذلك كان أهل القرون الفاضلة إخوة متماسكين يحب بعضهم بعضا، ولم يكن بينهم هذا التباعد وهذا الجفاء وهذا الانفصال الذي نراه اليوم بين الناس والعلماء فيما بينهم.

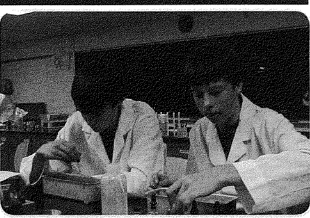
تاسعا: من فوائد هذه الأصول تحقيق صفة الربانية

من أهم ما يثمره هذا المنهج التربوي الفريد الذي رسمه القرآن تحقيق صفة الربانية، وقد أخذنا هذا المعنى من قوله تعالى ﴿كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩).

الطالب الذي يلتزم بهذه الأصول التعليمية يكون ربانيا، والباء في الآية سببية فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة في كتاب الله توجب أن يكون الإنسان ربانيا.

فبعلم الكتاب والتفقه فيه،

علم الكتاب والتفقه فيه وتعليمه للناس ونشره والعمل به يجعل الإنسان ربانيًا



تعليم الصبيان القرآن .. أصل من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة والحكمة

وتعليمه للناس ونشره والعمل به يكون الإنسان ربانيا مرضيا عند الله.

الشذوذ الفكري عند بعض الناس وسببه

ومن السمات البارزة الظاهرة عند بعض الناس أنهم لا يفسرون القرآن كله، ولا يتتبعونه آية آية، لأنهم إن فعلوا يصطدمون بآياته المحكمات التي تناقض مذهبهم وهواهم، فيسلكون مسلك الانتقاء والاختيار، ومن فسر القرآن كله منهم – وهم قلة – فإنهم يوجهون الآيات التي تصادم مذهبهم بالتأويل، ويسلكون في سبيل ذلك كل مسلك انتصارا لمعتقداتهم.

والله عز وجل يخبر رسوله ﷺ أنه ليس من هؤلاء الذين يفرقون دين الله، قال تعالى ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾ (الأنعام:١٥٩).

قرأ الجماعة «فرَّقوا» من التفريق، وهو الفصل بين أجزاء الشيء الواحد وجعله فرقا، وأبعاضا، وقرأ حمزة والكسائي: «فارقوا» من المفارقة للشيء وهو تركه والانفصال عنه، وإن تفريق الدين قد يستلزم مفارقته، لأنه واحد لا يتجزأ. ومن التفريق الإيمان ببعض الكتاب دون بعض، ولو بالتأويل وترك العمل.

أهمية مادة القرآن الكريم في المراحل الابتدائية

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وصوره في أحسن صورة، وجعله من عنصرين: الجسد والروح.

وإن الجسد أصله من التراب، لذا كان غذاؤه كله يعود إلى التراب، وأما الروح فمن الله وحده ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ (السجدة: ٩).

وغذاء هذه الروح كله من وحي الله، وهو القرآن الكريم، فإذا مات الإنسان رجع ما كان من التراب إلى التراب، وصعدت الروح إلى بارئها ﴿يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨).

والله سبحانه وتعالى هيأ الغذاء النافع بتيسير أسبابه لكل من هذين العنصرين، فجعل غذاء الجسد من التراب، وجعل غذاء الروح من الوحي، ونزل به الروح الأمين، فإذا أهمل الإنسان غذاء الروح أو غذاها بالغذاء البشري اعتلت وتردت وهلكت.

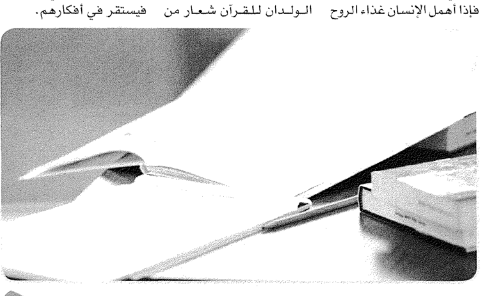
ولا غذاء للروح إلا بالقرآن، به تحيا، وبه قوام حياتها، اسمع ماذا يقول رب العزة والجلال ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال:٢٤)، هذا النداء وهذا الخطاب غريب وعجيب، كيف يدعوهم للاستجابة لما يحييهم وهم أحياء، فدل هذا الخطاب الرباني أن الاستجابة للقرآن حياة أخرى من نوع آخر.

قال الحافظ السيوطي: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة وتسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال».

وقال ابن خلدون: «تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات».

فائدة اختيار جزء «عم» من القرآن الكريم

إن اختيار الجزء الأخير الذي يبتدئ من سورة «عم يتساءلون» لمقرر مادة القرآن الكريم للمرحلة الابتدائية لينسجم تماما مع أطفال هذه المرحلة، فالقرآن الكريم بغناته ومدوده وصفات حروفه وتناسب مقاطع رؤوس آياته، له تأثير كبير على النفوس البشرية عامة يهزها ويجذبها، وكلما اشتدت النفس صفاء كلما ازدادت تأثرا، والأطفال أقوى الناس صفاء، وفطرتهم مازالت نقية فتسري روح القرآن في قلوبهم ونوره في مداركهم فيستقر في أفكارهم.



التفقه في القرآن يثمر الوحدة في الإحساس والوجدان والتفكير والسلوك .. فتتقارب النفوس وتستقيم

والأمر العجيب- وهو بيت القصيد- إذا تأملنا الآيات المكية والمقررة على المراحل الابتدائية وجدناها قصيرة تتناسب تماما مع نفس الأطفال القصيرة، وتنسجم معهم لفظا ومعنى في غير إرهاق، فهي قصيرة، وتقع في جمل قصيرة وتقع في المفصل، فلا تضيق بها نفس الطفل الصغير فيلتئم نظم القرآن على لسانه، وينساب انسياب الماء في الحدور، فلا يجد له جهدا ولا مشقة، فيثبت أثره في نفسه، وصدق الله وعده إذ يقول ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (القمر:١٧).

الله عز وجل يسر وسهل كل أسباب الحفظ والفهم والتلاوة لعباده، فيسر كتابه للذكر، ويسر ألفاظه للحفظ، ويسر معانيه للفهم، ويسر أوامره ونواهيه للامتثال.

الأهداف التربوية لمقرر جزء «عم» من القرآن الكريم

إن مقرر جزء «عم» يحقق أهدافا جمة وفوائد عظيمة، فضلا عن كونه مطلبا شرعيا لا تقوم العبادة إلا به، وقد تضمن أصولا شرعية، ويمكن أن نوجز الأهداف التربوية لتدريس الجزء الأخير من القرآن الكريم للمراحل الابتدائية على النحو التالي:

أولا: الجانب التربوي في الأداء

أثبتت التجارب العملية من ممارستنا لعملية التربية والتعليم أن تلاوة القرآن الكريم تساعد كثيرا على النطق السليم الصحيح، فإن تكرار تلاوة القرآن، تصقل مخارج الحروف وتمرنها وتروضها، فيستطيع الولد الصغير التالي لكتاب الله أن يتحكم في لسانه ويوجهه إلى أي مخرج أراد، فيكون لحروفه رونق وجمال.

ثانيا: الجانب التربوي في الوجدان والتأثير

إن تلاوة القرآن تمتاز عن تلاوة أي كلام آخر، فإن لها سلطانا عجيبا على القلوب، وتؤثر في نفوس الناس جميعا، حتى على الذين لا يعرفون العربية.

ثالثا: الجانب التربوي في المعرفة

القرآن الكريم حوى من ضروب المعرفة والقواعد التربوية والأخلاقية والأصول العلمية والتشريعية ما يجعلنا نستغني به عن جميع النظريات البشرية، قال الشيخ الشنقيطي: «قلت: لقد اشتمل كتاب الله على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها» (٣٠).

رابعا: الجانب التربوي في السلوك

لقد أثبت الله لكتابه الاستقامة والإحكام، ونفى عنه العوج، ولتأكيد هذين الوصفين جمع بينهما في قوله ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين ...﴾ (الكهف:١-٢).

وإذا كان شأن كتابه كما ذكر، وكانت صفة هذا الكتاب العزيز الاستقامة والإحكام في مبناه ومعناه، فإن من يسترشد به حفظا وعلما وتفقها وسلوكا يكون سويا معتدلا وعلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا فسوق ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء:٩).

يهدي القرآن لأقوم الطرق وأوضح السبل الموصلة إلى النجاة والفلاح. فيحدث القرآن في نفوس أطفال المدرسة الابتدائية والناس جميعا عظة وعبرة، ويكسبهم علما وشرفا واستواء واعتدالا ورقة في جميع الجوانب، ويزكيهم ظاهرا وباطنا ويدعوهم إلى العمل بالعلم.



لغة وأدب

النقد والتأريخ.. حياة الآداب والفنون

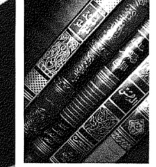
لا خلود لعلم من العلوم أو فن من الفنون أو أدب من الآداب إلا باثنتين، الأولى حركة نقدية تسايره، تصفيه وتهذبه، وتقوِّم عوجه، والأخرى حركة تأريخية تسجل بضبط وإتقان ما نتج عن هذه التصفية وذلك التهذيب، وتشير الى ما سقط منها من باب الوقوف على الأخطاء لتجاوزها والاتعاظ بها، ولا تلبث تلك الأعمال الركيكة الواهية أن تمحى من ذاكرة الأمم، وهذه هي سنة الله عز وجل في الأمور كلها ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

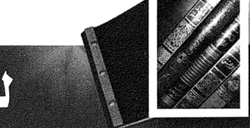
أما الأولى فإن الآداب العربية اليوم ظمئة لها، إلى الحد الذي دفع واحدا من الأكاديميين اللغويين والمهتمين بالأدب إلى أن يقول في لقاء على إحدى الفضائيات «النقاد الموجودون على الساحة الآن لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة» وقد صدق الرجل إلى حد كبير، فالمتتبع للحركة النقدية يلحظ أن كثيرا من نتاجها تحكمه أمور أخرى غير معايير الفن الأصيل، فضلا عن ميوله إلى الذاتية وانصرافه عن الموضوعية.

وأما الأخرى فإنها ليست بأحسن حالا من الأولى، فما يقال عن الذاتية والموضوعية في الأولى يقال في الأخرى، غير أن خطورة الأمر هنا تكمن في أن التأريخ للآداب الركيكة والساقطة والانصراف عن الآداب الرصينة قد يميت هذه الآداب، ومن ثم تسقط الأمة كلها، وكم من علوم ضاعت! وفنون تلاشت! وآداب مزقت! لمّا لم تجد من يصونها ويحفظها.

إننا بحاجة الى إذكاء روح النقد البناء القائم على أسس علمية بعيدة عن الذاتية، والنفخ في نار الآداب الرصينة والتأريخ لها، وإلا نفعل تكن طامة كبرى لا أحد، إلا الله، يعلم الى أين تسير بنا!

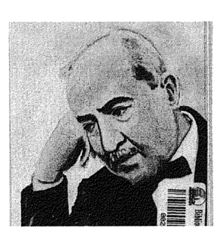
المحرر





النزعة الوحدوية في شعر شوقي

د. محمد عبدالهادي رمضان *



لعبت الفصحى دورا بالغ الأهمية في تقريب وجهات النظر العربية ومن ثم توحيد الصف العربي عقب الحرب العظمى الأولى، وقد كان لشعر شوقي أثر كبير في ذلك. فقبل نهاية الحرب لم يكن يظهر على الأدب المصري أي اهتمام بالقضية العربية، بل يمكننا القول: إنه كان لا ينظر إليها بعين الرضا. وكانت مصر تتطلع إلى أن تنال بعد الحرب استقلالها التام، والتخلص من الاحتلال البريطاني، كما كان القائمون بالثورة العربية خارج الديار المصرية يعللون النفس بالتحرر من تركيا وتأسيس دولة أو دول عربية ذات سيادة، لكن الحرب لم تسفر إلا عن خيبة في الرجاء، فسلطة الاحتلال عززت إقامتها في وادي النيل، والثورة العربية لم تنل بعد الانفصال عن تركيا غير الانتداب الأجنبي البغيض، وهكذا نشأ في مصر وسائر بلدان الوطن العربي شعور مشترك بما أصابهم جميعا من إجحاف وبلاء، وبتأثير هذا الشعور أخذ الشعر المصري يتحول عن نفوره من القضية العربية، ويقترب أكثر فأكثر منها، مشاركا شعوبها في كل بلد في سرائهم وضرائهم وآمالهم وآلامهم، وقد عبر عن ذلك شوقي في قصيدته التي ألقاها على العرب يوم مهرجانه عام ١٩٢٧ إذ يقول:

رب جار تلفتت مصر توليه
سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتني معزيا بمآقي
وطني أو مهنئا بلسانه
كان شعري الغناء في فرح الشوق
وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح
وأن نلتقي على أشجانه
كلما أنّ بالعراق جريح لمس
الشرق جنبه في عمانه
وعلينا كما عليكم حديد
تتنزى الليوث في قضبانه
نحن في الفقر بالديار سواء
كلنا مشفق على أوطانه

هذا الشعور العربي المشترك أهاج كوامن شاعرية أمير الشعراء فتدفقت من يراعه في بضع قصائد رائعة ومنها قصيدتاه في دمشق «النونية والقافية» قال الأولى عام ١٩٢٥ في المجمع العلمي اللغوي بدمشق ومطلعها:

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم أحداث وأزمان

وفيها يبرز دور دمشق وأثره في ازدهار طليطلة وبغداد حاضرة العباسيين وتأثره بتغيير مسجده الكبير الحزين:

لولا دمشق لما كانت طليطلة
ولا زهت ببني العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون أسأله
هل في المصلى أو المحراب «مروان»
تغير المسجد المحزون واختلفت
على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان أذان في منارته
إذا تعالى، ولا الآذان آذان

ويختم القصيدة بنصيحة تتضمن نزعته الوحدوية بقوله:

نصيحة ملؤها الإخلاص، صادقة
والنصح خالصة دين وإيمان
والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة، فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والآلام إخوان

أما القصيدة الثانية فقد ألقاها عقب ما أصاب دمشق من الفرنسيين إبان الثورة السورية عام ١٩٢٦ ومطلعها:

سلام من صبا بردى أرق
ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومنها:

لحاها الله أنباء توالت
على سمع الولي بما يشق
تكاد لروعة الأحداث فيه
تخال من الخرافة وهي صدق

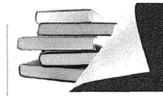
إلى قوله:

رباع الخلد ويحك ما دهاها
أحق أنها درست أحق؟
وللمستعمرين وإن ألانوا
قلوب كالحجارة لا ترق

ثم يلتفت إلى ساسة سورية محذرا إياهم من الاختلاف والتنازع طمعا في الحكم والسيادة فيقول:

بني سورية اطرحوا الأماني
وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خدع السياسة أن تغروا
بألقاب الإمارة وهي رق
نصحت ونحن مختلفون دارا
ولكن كلنا في الهم شرق

* أستاذ اللغة في جامعة قطر



ويجمعنا إذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق

ولشوقي من هذا الباب قصيدة في ذكرى استقلال سورية وذكرى شهدائها في «ميسلون» ومطلعها:

حياة ما نريد لها زيالا
ودينا لا نود له انتقالا

وفيها يعزي سورية في شهدائها ويشيد بأبطالها ويقوي بشعره من الرابطة العربية فيقول:

بني البلد الشقيق، عزاء جار
أهاب بدمعه شجن فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقا
وأضحى اليوم بالشهداء غالى
يعظم كل جهد عبقري
أكان السلم أم كان القتالا
وما زلنا إذا دهت الرزايا
كأرحم ما يكون البيت آلا
وقد أنسى الإساءة من حسود
ولا أنسى الصنيعة والفعالا

ثم يقول مشجعا السوريين على المضي في تعاونهم والتحامهم والتئامهم كالبنيان المرصوص:

بني سورية، التئموا ليوم
خرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرية الزهراء عن
اوعنكم: هل أذاقتنا الوصالا؟
وهل نلنا كلانا اليوم إلا
عراقيب المواعد والمطالا؟
عرفتم مهرها فمهرتموها
دما صبغ السباسب والدغالا

ومن هذا القبيل رثاؤه الملك حسين (شريف مكة السابق وموقد الثورة العربية على الأتراك) وكان المصريون عموما إبان تلك الثورة يندددون بعمل الحسين ويعدون هذا العمل خيانة لأمير المؤمنين (السلطان العثماني)، وقد تدفق يراع شوقي قبيل الحرب العظمى الأولى بشعر يستصرخ فيه السلطان طالبا معاقبة الحسين لما يعتقده من سوء معاملته للحُجاج يقول فيه:

ضج الحجيج وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها في مكة الأمم
قد مسها في حماك الضر فاقض له
اخليفة الله- أنت السيد الحكم
لك الربوع التي ريع الحجيج بها
أللشريف عليها أم لك العلم
أدبه أدب أمير المؤمنين فما
في العفو عن فاسق فضل ولا كرم

على أن هذه اللهجة الساخنة على الشريف حسين لم تلبث أن خبت بعدئذ وحل محلها شعور بإخاء عربي عام، وهاهو شوقي نفسه يرثي الحسين بقصيدة في عام ١٩٣١ مطلعها:

لك في الأرض والسماء مأتم
قام فيها أبو الملائك هاشم

ومنها- ذاكرا الأسى الذي أصاب البلدان العربية جمعاء لفقده:

المناحات في ممالك أبنائك
بدرية العزاء قوائم

أي إن حزنهم عليك كحزن المسلمين أيام رسولنا الكريم على صرعى موقعة بدر الشهيرة:

تلك بغداد في الدموع وعمّان
وراء السواد والشام واجم
والحجاز النبيل ربع مُصَلٍّ
من ربوع الهدى وآخر صائم
واشتركنا فمصر عبرى ولبنان
سكوب العيون باكي الحمائم

ويسأل الحسين في هذه المرثاة أن يحدث الناس عن نتائج الحرب التي اندفع فيها العرب بقيادته إلى مساعدة جيوش الحلفاء، أملا في الحصول على حرياتهم واستقلالهم، ولكن لم يكن منها سوى خيبة الأمل:

قد رجونا من المغانم حظًا
ووردنا الوغى فكنا المغانم
قد بعثت القضية اليوم ميتا
رب عظم أتى الأمور العظائم
أنت كالحق ألف الناس يقظان
وزاد ائتلافهم وهو نائم

في نفس العام ١٩٣١ أعدم شيخ شهداء المسلمين والعرب، بطل طرابلس الغرب، عمر المختار، الذي قاتل الطليان قتالا مريرا ذودا عن حياض وطنه وقومه، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا، وأشيع حينذاك أنهم سلكوا في إعدامه سبلا بشعة، ولم يرحموا سنه التي نيفت على التسعين. في هذا الصدد نظم شوقي قصيدة مطلعها:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء
يستنهض الوادي صباح مساء

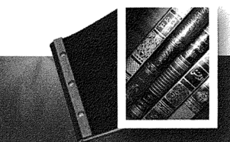
وفيها يقول منددًا بالحضارة الغربية التى جاوزت الحق فهدمته:

إنى رأيت يد الحضارة أولعت
بالحق هدمًا تارة وبناء
شرعت حقوق الناس فى أوطانهم
إلا أباة الضيم والضعفاء

وفيها يخاطب الشعب الليبي بقوله:

يأيها الشعب القريب، أسامع
فأصوغ من عمر الشهيد رثاء؟
أم ألجمت فاك الخطوب وصرحت
أذنيك حين تخاطب الإصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باق خالد
فانقد رجالك، واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى
واحمل على فتيانك الأعباء

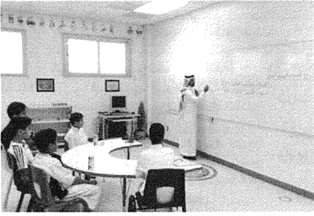
هذا الشعور بالظلم المشترك الذي أخذ عقب الحرب يتحرك في نفوس أبناء العربية على اختلاف أمصارهم وبيئاتهم كان من أهم العوامل النفسية التي قربت بعضهم من بعض، ودفعتهم إلى التآخي والتآلف في ظل جامعة قومية مهما كان وراء تكوين هذه الجامعة من مصالح سياسية خاصة، وإذا كانت المصالح الإقليمية والنزعات الشخصية قد أحدثت وهنا شديدا في بنيان الجامعة القومي، فإن الأدب العربي عموما- ولاسيما الشعر منه- ظل وفيًا لهدفها الرئيسي، ولما يدعو إليه من الإخاء والتعاون والتضامن.



اللغة الذبيحة

محمد فتحي النادي

قليل من لغات العالم تلك التي كُتب لها أن تكون لغة عالمية يتواصل بها الناس. وتكون لغة العلم والفنون والآداب. وهناك أسباب عديدة لذلك. منها أن يكون لأصحاب تلك اللغة سلطة سياسية وعسكرية نافذة على مستوى العالم مما يدفع الناس للسير في ركابهم. ويزيد من سلطة تلك اللغة أن يكون لها مشروع ثقافي مبهر يحوي دررًا من الإبداع تكون نموذجًا يحتذى. أو أن تفرض تلك اللغة فرضًا على الشعوب المغلوبة أو المتبوعة. أو يكون لتلك اللغة سلطة روحية كأن ينزل بها كتاب من عند الله، أو تكون لغة نبي من الأنبياء، مما يجعل لها قداسة عند مستخدميها.



ونتيجة للسلطة السياسية أو الروحية قد تستغني بعض الشعوب عن لغتها كليا، أو تبقي على لغتها من الناحية الصوتية والمعجمية ولكنها تكتبها بأحرف تلك اللغة المسودة، وقد تغير من بعض قواعدها على مقتضى قواعد اللغة الأخرى، أو تكثر من استخدام مفردات من اللغة الأخرى... الخ.

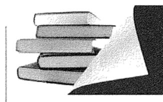
ومن أشهر اللغات التي انطبق عليها ما قدمنا به اللغة العربية التي اختيرت من لدن حكيم عليم لتكون اللغة الحاملة لكتاب الله، ولتكون لسان خاتم النبيين محمد ﷺ وهناك كثير من الآيات تدل على أن اللغة العربية لغة مختارة ومجتباة، وقد قمت بحصر الآيات التي جاء ذكر اللغة العربية فيها فجاءت على هذا النسق، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا﴾ (يوسف: ٢)، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًا﴾ (الرعد: ٣٧)، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِي مُبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣)، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: ١١٣)، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥)، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (الزمر: ٢٨)، ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الشورى: ٧)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣)، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيا﴾ (الأحقاف: ١٢).

ونخرج مما سبق أن هذا إيذان من الله- جل وعلا- لتكون العربية لغة الإسلام(١)، فلم تعد العربية لغة العرب فحسب، بل استخدمتها الشعوب التي دخلت في الإسلام، وجعلتها لغتها الأولى قراءة وكتابة وحديثًا.

ورسول الله ﷺ هو الذي أخرج العربية من كونها عنوانًا على عرق وجنس معين إلى فضاء أوسع ونطاق أرحب، لتكون عنوانًا لأمة، فقال: «يأيها الناس، إن الرب واحد والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان: فمن تكلم بالعربية فهو عربي»(٢).

ولقد كانت اللغة العربية تحتل المكانة العظيمة في قلوب أبنائها على كل المستويات ساسة ومسوسين، حكاما ومحكومين، وقد كان من ثمار هذه المكانة أن قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بـ «تعريب الدواوين، فأصبحت اللغة العربية لغة الإدارة، إضافة إلى كونها لغة العلم والدين والسياسة، وكذلك قام بتعريب النقود محاولا صبغ الدولة بالصبغة العربية (٣)، وكان الحرص على سلامة اللغة العربية من العوامل المهمة التي أدت إلى تعريب الدواوين في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٤)، ولذلك يُعتبر «التعريب من الأحداث الكبيرة والإنجازات الضخمة في المجال الثقافي والسياسي، وقد تمّ وفق خطة مدروسة»(٥).

وقد كان اللحن في اللغة والخطأ فيها سوءة ما بعدها سوءة تقدح فيمن أتى بها، ومما يحكى في شناعة اللحن عند العرب الأوائل ما قيل: إن الحجاج بن يوسف قال ليحيى بن يعمر: أتجدني ألحن؟ قال: الأمير أفصح من ذاك، قال: عزمت عليك لتخبرني، وكانوا يعظمون عزائم الأمر، فقال يحيى بن يعمر: نعم في كتاب الله، قال: ذاك أشنع، ففي أي شيء من كتاب الله؟! قال: قرأت ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا



وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: ٢٤) فرفعت أحب وهو منصوب. قال: إذن لا تسمعني ألحن بعدها، فنفاه إلى خراسان (٦).

هذا كله جعل اللغة العربية لغة عالمية على مدار ما يزيد على ثمانية قرون، ولكن دوام الحال من المحال، فما لبثت اللغة العربية أن زالت عن مكانتها السامقة، ومنزلتها الرفيعة، وليت هذا عن قصور فيها وفي بنيتها وإمكانية تطورها، ولكن ضعف أبنائها وتخلفهم عن الركب الحضاري العالمي أورثها هذه الحال التي يرثى لها.

رَمَوني بعُقم في الشَبابِ وَليتَني
عَقِمتُ فَلَم أَجزَع لِقَولِ عُداتي

وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظاً وَغايَةً
وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ

فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ
وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ

أَرى لِرِجالِ الغَربِ عِزّاً وَمَنعَةً
وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ

أَيُطرِبُكُم مِن جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ
يُنادي بِوَأدي في رَبيعِ حَياتي

أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللَهُ عَنهُمُ
إِلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِل بِرُواةِ(٧)

وفيما تبقى سأقوم برصد بعض صور الانحدار اللغوي وفقدان الهوية على بعض المستويات والأصعدة، والتي تؤكد أننا جنينا على اللغة العربية أكثر مما جنى عليها أعداؤها:

١- الجانب السياسي

ذكرنا فيما سبق اهتمام ساسة المسلمين الأوائل باللغة، وكيف أن الحجاج ساءه أن يلحن في كتاب الله، ولم يطق أن يَرى من لاحظ ذلك، فنفاه إلى خراسان، ولكنّ بعض ساسة اليوم قد استعجم لسانهم، فصارت ثقافتهم أجنبية ولسانهم أجنبيا لا يستقيم على العربية لدقائق، وعند استخدامهم للإنجليزية- مثلا تراهم فصحاء.

من تحدث بالعربية فهو عربي .. ومن لم يفهم وزناً لها فقد أضاع هويته

٢- الجانب الإعلامي

للإعلام دور خطير في توجيه الرأي العام، ونشر الثقافة الموجهة لخدمة أغراض معينة تسعى إليها الحكومات أو الهيئات، وقد لاحظنا أن هناك ضعفًا في الأداء اللغوي بالنسبة للإعلاميين، رغم أن اللغة صنعتهم، ففي الإعلام المرئي- مثلا- نجد المحاور يعالج الحديث باللغة العربية، ويعاني من ذلك أشد المعاناة، ثم يفر هاربًا للحديث باللهجة العامية التي قد لا تكون مفهومة لكثير من المستمعين كونهم من بلدان عربية أخرى، فيترك ما يجتمع عليه الناس ويلجأ إلى ما يسهل على لسانه.

أما الإعلام المقروء فالخطب فيه جلل؛ وذلك لأن الكلمة المكتوبة أبقى أثرًا وأعمق تأثيرا وأطول بقاء، ورغم ذلك تجد أن الكتّاب يوغلون في استخدام لهجاتهم المحلية، بل في كثير من الأحيان يستخدمون العامية الهابطة لجذب الجمهور، فبدلا من رفع الذوق العام وتهذيبه وتقويمه تتم مسايرته على ما هو عليه.

والطامة الكبرى أن يحمل مشعل العامية رؤساء التحرير في الصحف والمجلات الذين يفترض فيهم أنهم تبوأوا أماكنهم نتيجة لحرفيتهم في العمل الصحافي والإعلامي القائم على الكلمة.

٣- الجانب الخدمي

يفترض في الحكومات أن تعمل على تأكيد الهوية الثقافية لشعوبها، والارتقاء بهم في جميع النواحي، وعلى الرغم من تأكيد القانون في بلداننا العربية على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية وهي التي تستخدم في المخاطبات الرسمية، فإننا نجد بعض الوزارات لا تلقي بالا لهذا الأمر، وتستخدم العامية الدارجة في دعاياتها.

ومن مظاهر إعطاء الظهر للغتنا ما يجري اليوم على الشبكة الدولية أثناء التواصل بين الأفراد العرب، حيث نجدهم في حديثهم أو مراسلاتهم يستحدثون لغة توافقية فيما بينهم يستخدمون فيها الحروف الإنجليزية مطعمة بأرقام، وتُقرأ باللغة العربية، فيقوم هؤلاء الشباب والفتيات بتحويل بعض الحروف باللغة العربية إلى رموز وأرقام، فمثلا يتحول حرف الحاء في اللغة العربية إلى الرقم ٧، وحرف العين إلى الرقم ٣، والهمزة إلى الرقم ٢، وتكتب الكلمات العربية بالأحرف الإنجليزية.

وفي هذا السياق يؤكد د.عبد الحميد الفلاح أمين عام مجمع اللغة العربية الأردني أن «لغة التفاهم الدارجة بين الشباب هذه الأيام في مراسلة بعضهم عبر الخلوي والإنترنت لغة هجينة باتت تؤرق أولياء الأمور وعلماء اللغة، وتحتاج إلى ضبط لغوي وسلوكي».

فلماذا لا يتم استخدام اللغة العربية ابتداء بدلا من هذه اللغة المسخ المشوهة؟!

وبعد تلك التطوافة ننادي بأعلى صوتنا في المثقفين وأصحاب القرار أن العربية محتاجة لدعمكم ومجهوداتكم: فاللغة هي الهوية، ومن لم يُقم وزنا للغته فقد أضاع هويته في زمن يؤكد فيه الجميع على هوياتهم.

الهوامش

(١) راجع مقالنا في مجلة «الوعي الإسلامي»: «العربية لغة الإسلام»، العدد (٤٠٧)، السنة السادسة والثلاثون، رجب ١٤٢٠هـ- نوفمبر ١٩٩٩م.

(٢) أخرجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، (٢٤/ ٢٢٤). قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٢/ ٣٢٥): «ضعيف جدا». وقد ذكره ابن تيمية في «الاقتضاء»، من رواية السلفي، ثم قال: «هذا الحديث ضعيف، وكأنه مركب على مالك، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه».

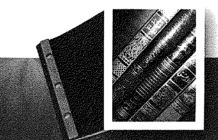
٣-انظر: مقالة للدكتور خالد إسماعيل نايف الحمداني بعنوان: «العلاقة بين أمويي الأندلس والخلافة العباسية»، مجلة التاريخ العربي.

٤- د.علي محمد محمد الصَّلاَّبيّ: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، (٣/ ٣٦).

٥- السابق، (٣/ ٣٨).

٦ - أبو طاهر المقرئ: أخبار النحويين، ص (١٠).

٧- الأبيات للشاعر حافظ إبراهيم من قصيدته المشهورة في وصف اللغة العربية.



لغة وأدب

د.حسين نصار لـ«الوعي الإسلامي»:

الصلة بالتراث قلّت.. والثقافة العربية في تراجع مستمر!

القاهرة - خاص

د.حسين نصار أستاذ اللغويات بآداب القاهرة، والمستشار السابق لكلية البنات بجامعة الرياض، والحائز جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية واللغة العربية لعام ٢٠٠٤، أحد الأصوات الثقافية المهمة على الساحة المصرية والعربية، حصل على جائزة الدولة التقديرية من مصر وجائزة مبارك، وتولى عمادة كلية الآداب، ثم أكاديمية الفنون، ويعمل مستشارًا لمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.. أعماله تشمل كل صنوف التأليف من دراسات أصيلة وترجمات لعدد من أبرز أعمال المستشرقين، تشهد بتمكنه من اللغة الإنجليزية، حيث نقل بعض ما كتب بها في عربية واضحة أنيقة مع الحرص على أمانة النقل، واشتغل بالترجمة في العديد من المؤلفات، إلا أنه لا يكتفي بالترجمة، وإنما يعلق على ما يترجم مضيفا أو مصححًا، في الهامش، من دون تدخل في النص نفسه، بالإضافة إلى تحقيقات لنصوص التزم فيها بالمنهج العقلي القويم، مما يلحقه بكبار المحققين للتراث العربي من أمثال محمود شاكر وعبدالسلام هارون ود.شوقي ضيف، إذ قام بتحقيق ما يربو على ٤٠ كتابًا في العربية أهمها «معجم تيمور» للغة العامية المصرية في ٦ مجلدات، وديوان «سرقة البارقي» وديوان «ظافر بن حداد» وديوان «ابن الرومي.. حياته وشعره» للمستشرق رفون جدت، ومن ثَمَّ كان لـ«الوعي الإسلامي» معه هذا الحوار:

■ **بداية ما رؤيتكم للمشهد الثقافي الحالي؟ وكيف يمكن رفع درجة الوعي الثقافي بشتى أنواعه لدى أبناء الأمة؟**

- أولًا الثقافة العربية في تراجع مستمر، فقد تأخرنا كثيرا، وقد سبب ذلك فجوة كبيرة بيننا وبين الآخرين، وقلت الصلة بالتراث القديم، والصلة بالتراث الأوروبي التي قلت في مصر على وجه الخصوص، لأن هناك بلادًا زادت صلتها بالأدب الأوروبي، أو على الأقل لم تقل، ولكن صلتها بالثقافة العربية القديمة هي التي قلت، والمفترض أن الاتصال بالقديم اتصال معرفة ثم اتصال تعرف على المواطن التي يمكن أن يستلهمها المفكر الحديث في إبداع جديد، ولا أقول تقليدًا وإنما استلهام أو انبعاث، وبالنسبة للمصريين فإن الاتصال بالتراث الأوروبي لديهم اتصال خفيف وسريع، ونرجو أن يكون أكثر عمقًا وأكثر فهمًا وتقديرًا لما يمكن أن ينقل أو لما يمكن أن يستلهم.

■ **بعض الدول الكبرى تحاول فرض ثقافتها على ثقافات الدول الصغيرة، فكيف يمكن التصدي لمثل هذه المحاولات للحفاظ على الهوية والثقافة العربية؟**

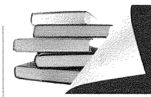
- لا يمكن.. فمن طبيعة الدول جميعا، خاصة في هذا العصر أن تحاول فرض ثقافتها، ونحن في القرنين التاسع عشر والعشرين بالذات جربنا فرض الثقافة الإنجليزية فرضًا كاملًا على العرب، وفرض الثقافة الفرنسية أيضًا، بل وصل الأمر بالفرنسيين إلى محاولة محو الثقافة العربية في المغرب والجزائر وتونس محوًا كاملًا. وليس فرض سلطة فقط، وهذا ديدن الدول القوية دائمًا، أنها تحاول أن تفرض ثقافتها، فأنت صاحب دولة غير قوية ماليا واقتصاديا، لكنها قوية بثقافتها وتستطيع أن تعي كل الثقافات الأخرى وتقدرها.

■ **هذا معناه أننا أغنى ثقافيا من أوروبا؟**

- نعم.. نحن أغنى ثقافيا من أوروبا أو كنا كذلك في الماضي. ومن الممكن إذا أحسنا التأثر بالثقافة الأوروبية وأحسنا الوعي بثقافتنا العربية أن نكون ندًا لها. لكن المهم أن نعي مواطن الإشراق والإلهام في ثقافتنا القديمة.

■ **هل ترون أن المفكر العربي غائب أو مغيب عن المواجهة الحضارية المعاصرة؟**

- ليس مغيبا، وإنما هو المقصود، فكل الدول والثقافات الأجنبية تحاول أن تستولي على هذا المثقف العربي، لكنه لا يدري أين مواطن القوة عنده، ولا أين المواطن التي تقبل من الأجنبي.



فنحن في العصر العباسي ما قبلنا الثقافات اليونانية والهندية والفارسية، ولم نبد ضعفاء أمامها، بل أحسنا فهمها واستخدامها واستثمارها، وهذا الذي أريده في العصر الحديث، وهو أن نحسن فهم الثقافات الأجنبية، لا نعاديها ولا نحاكيها، وإنما نستثمرها استثمار العربي الذي لا يفقد عروبته ولا ثقافته مقابل الثقافة الأجنبية.

■ لم تسلم اللغة العربية من الهجوم والاتهامات بالعجز عند استيعاب حركة العلم والنهضة والتقدم، فهل تعيش عصر انحطاطها؟

- مخطئ من يهاجم اللغة العربية، أو هو «عبيط» كما يقال باللهجة العامية، فليس للغة العربية وجود مجرد، فهي المتكلم العربي، فإذا كانت عاجزة، فسيكون هو نفسه العاجز، فليس هناك لغة موجودة خارج المتكلم، فهي في فكر المتكلم، فإذا كان عاجزًا فستكون عاجزة، وإذا كان قادرًا فستكون قادرة، ولن تصلح اللغة إلا إذا صلح المتكلمون بها، وبلا شك فاللغة العربية تعيش عصر انحطاطها وأكبر صور انحطاطها أن أساتذتها بالجامعات لا يتكلمون لغة عربية سليمة في محاضراتهم، وكبار رجال مصر والدول العربية إذا ما ذهبوا للمحافل الدولية تكلموا بالإنجليزية على الرغم من أنهم يرون الإعلام من جميع الشعوب، يتكلم بلغاتهم، ورغم أن اللغة العربية معترف بها في الأمم المتحدة كخامس لغة بالعالم، وغالبية الشركات المصرية تتعامل مع الشركات الأجنبية باللغة الإنجليزية، والقانون يفرض أن تكون اللغة الأصلية هي اللغة العربية ثم معها الترجمة الإنجليزية، والبعض يتكبر على الكلام بالعربية، ويرى هذا تخلفا، والتعليم ذاته انحط في تدريس العربية، والإذاعة صارت تتساهل في التحدث بها لدرجة الانحلال.

■ هل هناك تعارض بين الذاتية أو الخصوصية والانفتاح والحوار مع الآخر؟

- مادام هناك ثراء فليس هناك وقوف، فإذا وقفت على الثقافة الموجودة في ذهني فقط فسوف أتجمد عندها، وإذا لم أنمها فسوف تموت، والتنمية تكون عن طريق أشياء منها طريق الإبداع، ثم طريق الأخذ والعطاء، فهناك إبداعات عربية مصرية وسعودية ولبنانية وعراقية تترجم الآن، فلماذا تُترجم هذه الإبداعات؟ هل هي أحسن مما عند المترجمين، بالطبع لا.. فهي ليست أحسن مما عندهم، ولكنها غير ما عندهم، فنحن عندما نترجم نترجم غير ما عندنا، وليس أحسن مما عندنا.

■ لماذا تراجع الأدب العربي وتفوقت عليه الآداب العالمية الأخرى؟

- لم نتأخر.. فنحن تأخرنا في العصر العثماني، لكننا، منذ بدأنا في العصر الحديث، مستمرون، صحيح أن هناك هبوطا وصعودا، وهما طبيعيان، فلا أستطيع القول إن بعض أدبائنا، بسبب الجوائز التي حصلوا عليها، أفضل من الذين لم يحصلوا على جوائز، مثل طه حسين والعقاد وأمثالهما، لأنه لم تكن هناك جوائز، ولم تكن هناك إلا جائزة «نوبل» التي كانت لها طبيعة خاصة، ولا يمكن أن يحصل عليها إلا واحد في السنة، والآن الجوائز مقياس، ففي القرن العشرين كان عندنا أدباء رواد، وفي القرن التاسع عشر كان عندنا رواد أيضا، فهناك استمرار في التصاعد.

■ ماذا عن واقع البحث العلمي في مصر والوطن العربي؟ وكيف تشخص المؤسسات التعليمية والمراكز البحثية بهما؟



مخطئ من يهاجم اللغة العربية.. وسلطاتنا ترى الإنفاق على البحث العلمي هدرًا للمال

- البحث العلمي داخل مصر والبلاد العربية، بصفة عامة، ضعيف لسببين أولهما أننا ليست لدينا الموارد المالية التي نستطيع إنفاقها على البحث العلمي، أو ليست لدينا السلطات التي ترى أن الإنفاق على البحث العلمي ليس هدرًا للمال، فلسنا فقراء، ولكن من يتولون السلطة يرون أن الإنفاق في نواح أخرى أهم من الإنفاق في البحث العلمي، والبحث العلمي لا يقوم إلا بأدوات، وهذه الأدوات تحتاج إلى المال، وثانيهما أنه ليس هناك بحث جماعي، فكل فرد يقوم بالبحث بمفرده، والآن الاكتشافات العالمية عمل جماعي في الأساس، فليس لدينا عمل جماعي، لكن لدينا قادرون يمكنهم النجاح والتفوق في شتى المجالات.

■ ما ردكم على بعض الأصوات الجاحدة التي تتهم الحضارة الإسلامية بأنها لم تقدم شيئا للبشرية سوى العنف والتطرف؟

- هل فهموها؟ هل قرأوها؟ هل وضعوا الدين اليهودي، وأركز على الدين ولا أقول الثقافة، وليس الدين التوراة وحدها، وإنما التوراة وما واكبها، هل وضعوه بجوار القرآن وكتب السنة ووازنوا بينهما ليقولوا من الذي يدعو إلى الإرهاب، ومن الذي يرفض الغير، ويدعو إلى استخدام الإرهاب معه؟ أما الدين المسيحي فله طبيعة خاصة فعلًا، ولكن على من يتهم العرب والمسلمين بأنهم أصحاب إرهاب، فليقرأ تاريخ الأديان وتاريخ اليهودية، وليعرف ماذا فعلت في أوروبا على الرغم من أنها لم تكن حاكمة.

القصة القصيرة.. رسالة إنسانية

أ.د. محمد سيد علي بلاسي

يعرف النقاد القصة القصيرة بأنها عرض حادثة، أو مجموعة من الحوادث المترابطة التي مر بها أديب، أو تأثر بها في محيط حياته، فسجلها بعد أن تفاعلت في نفسه، ليعرض من خلالها مشكلة اجتماعية، أو فكرة إنسانية يود أن يوصلها إلى الناس.

وتعد القصة القصيرة واحدة من أقدم الأشكال الأدبية، فقد كتبت قديما منذ نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م على هيئة قصص خيالية قصيرة في مصر، وتعد قصص «ألف ليلة وليلة» أمثلة أخرى للقصة القصيرة.

وفي الأدب العربي ولدت القصة القصيرة مع مطلع القرن العشرين، متأثرة بالقصة الغربية، خاصة قصص الكاتب الروسي تشيخوف والفرنسي جاي دي موباسان، ورغم ذلك فقد كانت تغلب عليها المسحة الرومانسية بحكم البداية والنشأة، إلا أنها تطورت بعد ذلك وأصبحت تعبيرا فنيا جديدا ومكثفا عن أحاسيس ومشاعر البسطاء وآمالهم (١).

ويعد محمد تيمور (١٨٩٢-١٩٢١م) منشئ القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث، وتطورت ونضجت على أيدي محمود تيمور ويحيى حقي ويوسف إدريس، وفي العراق نشأت القصة القصيرة في العشرينيات على يد محمود أحمد السيد (١٩٠١- ١٩٣٧م) الملقب برائد القصة في العراق، واكتملت فنيا في أعمال عبدالملك نوري وفؤاد التكرلي وآخرين.

وخلال النصف الأول من القرن العشرين صدرت عشرات المجموعات القصصية، وجذبت القصة القصيرة إليها كتابا كثيرين، وكانت تتقل بين الرومانسية والواقعية التصويرية، معتمدة على أسلوب السرد التقليدي، لكنها حققت بعد الخمسينيات- على يد كتاب مثل يوسف إدريس ويحيى حقي وزكريا تامر ومحمد زفزاف- تطورا ملموسا في تقنيات السرد والحوار والحبكة والبداية، واستطاعت أن تنفذ إلى الواقع وتعبر عنه بتركيز شديد ولغة قوية لفتت إليها الرأي العام، فأقبل عليها ووجد فيها ضالته التي لم يجدها أحيانا في الشعر بوصفه ديوان العرب والجنس الأدبي المتربع على عرش الثقافة والفنون (٢).

فالقصة اليوم تعد أهم الفنون النثرية وأشهرها، وهي منذ منتصف القرن العشرين أشهر الفنون الأدبية على الإطلاق، فقد تفوقت القصة النثرية على الشعر، بعد وفاة عمالقة الشعراء المحدثين أمثال شوقي، وحافظ إبراهيم وخليل مطران، وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وغيرهم. ولم يستطع الشعر الحديث- حتى الآن- أن ينافس القصة في زعامة الفنون الأدبية، هذا، والقصة عادة ليست للتسلية كما يعتقد الكثيرون، لكنها جنس أدبي متميز يقدم رسالة اجتماعية إنسانية سامية.

ويؤكد هذا عظم حجم القصة في كتاب الله المجيد، فلو نظرنا إلى القرآن الكريم بأجزائه الثلاثين لوجدنا أن القصص فيه يبلغ قرابة الثمانية أجزاء، وقد كان القصص القرآني يهدف إلى تربية الإنسان تربية تضمن له خير المسالك ليتبوأ أفضل المدن والممالك، وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك، وقد تميزت برونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة.

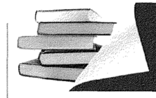
وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (يوسف:١١١).

فالقصة كما قلنا تقدم رسالة اجتماعية إنسانية، لأنها تعالج مشكلة معينة يستمد الكاتب القصصي أحداثها من واقع الحياة، ومما يعانيه الإنسان في حياته اليومية المباشرة، ولهذا يشعر قارئ القصة بأنه يقرأ أحداثا مألوفة لديه، قريبة إلى نفسه، لأن القصة تصور أحداثا معقولة، محتملة الوقوع مع كل فرد من أفراد المجتمع.

المراجع

١- الموسوعة العربية العالمية: ١/١٩٧، ٢٧٧، الطبعة الثانية- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض، سنة ١٤١٩هـ.

٢- المرجع السابق: ١/١٩٧.



خضم المعاني

م. وحيد حامد الدهشان

ومن المعاني كم تجيء معان
إن الحياة حقائق وأمان
أحلامنا عمر جميل في المدى
والحلم للإنسان عمر ثان
بعيونه يصفو ويسمو عالمي
وأرى الذي قد لا يرى ويراني
ترسو على شط الخيال قواربي
وطيوف ما أصبو له تلقاني
تنجاب عن صدري سماجة واقع
أحتار هل أحياه أم يحياني؟
يا قصة صرنا وقود لهيبها
وتسيل منها أدمع الوجدان
والعقل يبحر في خضم حروفها
ويتيه بين الموج والشطآن
وفصولها عبَرٌ تمرُّ كأنها
وهْمٌ يلوح لأعين العميان
لغة الضحية حين غاب بريقها
راج الظلام ومنطق القرصان
وأخو الأمانة لانَ عودًا فانبرى
يطويه كف الفاجر الخوان
ألواننا ولى زمان صفائها
ضر العيون تداخل الألوان
شب الصراع تأججت جمراته
والمشهد المنظور لا إنساني

في كل ناحية تحزَّب شلة
وتأهبوا لتراشق وطعان
سيل الهوى في كل آن جارف
تطفو عليه مراكب البهتان
والإفك ريح ليس يهدأ عصفها
تبغي اقتلاع فسائل البرهان
وثباتها في قلب أشرار الورى
غيظ يزيد ضراوة النيران
في كل ميدان تسيَّد مبغض
والحق عاشقه بلا ميدان
حرب على كل المحاور بينما
دعوى السلام تلوك كل لسان
فمتى يعود الناس صوب رشادهم
وتسود روح الحب لا الأضغان
ومتى نرى وجه الحياة وما به
لون الدما في سمته العدواني
ومتى يعم العدل آفاق الدنا
يسري سناه بسائر البلدان
وهناك وجه الحلم يشرق ناضرا
يرنو لآفاق من الإحسان
وتظل في سمع الزمان مقولتي
إن الحياة حقائق وأمان

فتح الرحمن في تفسير القرآن

إعداد: التحرير

اسم الكتاب: فتح الرحمن في تفسير القرآن
المؤلف: الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العُليمي المقدسي الحنبلي. المولود سنة ٨٦٠ هـ، والمتوفى سنة ٩٢٧هـ رحمه الله تعالى.
وهو من اصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (دولة قطر).
اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: الاستاذ نور الدين طالب الدوماني.
وهو في ٧ مجلدات.

ولما كانت مقاصد القرآن ومعانيه ذات أفانين كثيرة، قصد كل واحد من المفسرين بعض تلك الأفنان، فنحا بعضهم إلى آيات الأحكام، وبعضهم إلى قصص القرآن التي اشتملت على أخبار الأمم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعضهم قصد نكات علوم العربية من البلاغة والأدب وغيرها.

والإمام مجير الدين العليمي الحنبلي، رحمه الله، في تفسير فتح الرحمن قد كان له حظ وافر في كل فن من تلك الأفنان المذكورة، فقد اعتنى فيه، رحمه الله، بذكر القراءات واختلاف القراء فيها وتوجيهها وذكر معانيها، وسرد فيه فقه الأئمة الأربعة وفق منهج قويم، بعيد عن التعصب، واعتمد على الصحيح الراجح من أقوال المفسرين.

المؤلف

هو الإمام المؤرخ المفسر الفقيه القاضي أبو اليمن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن يوسف العليمي العمري مجير الدين المقدسي الحنبلي.

ولد سنة ٨٦٠ هـ بالقدس الشريف.

نور الدين طالب

شيوخه: والده وأبو المعالي محمد بن أبي الشريف المقدسي الشافعي ومحمد السعدي وأبوبكر القرمشندي الشافعي وعلي بن إبراهيم البدرشي وغيرهم.

تصانيفه: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، والدر المنضد.

ثناء العلماء عليه

قال الحافظ السخاوي: أمثل قضاة القدس، حسن السيرة له شهرة بالفضل والإقبال على التاريخ مع خط حسن ونظم.

وقال الغزي: هو الإمام العلامة المسند المؤرخ الفقيه المتفنن في سائر العلوم المتحلي بقلائد المنطوق والمفهوم الخطيب الفقيه المحدث الأثرى.

وكان قد توفي رحمه الله ببيت المقدس سنة ٩٢٨هـ.

وبالجملة فتفسير الإمام العليمي تفسير جليل يشبه تفسير القاضي البيضاوي، كما قال الغزي رحم الله الجميع.

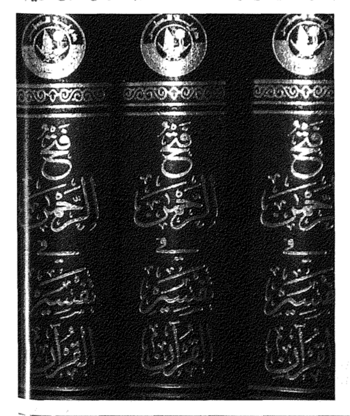
ويصفه العلامة ابن بدران الحنبلي بأنه تفسير متوسط. يذكر فيه القراءات، واذا جاءت مسألة فرعية ذكر أقوال الأئمة الأربعة فيها. وفيه فوائد لطيفة. جزى الله مؤلفه خير الجزاء وأثابه أعظم النوال والعطاء.

وقد بين المحقق الاستاذ نورالدين طالب تحقيق اسم الكتاب وبيان صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

منهج المؤلف في الكتاب

فقد أبان المؤلف، رحمه

المؤلف اعتنى بالقراءات واختلاف القراء فيها وتوجيهها وذكر معانيها وسرد فقه الأئمة الأربعة وفق منهج قويم



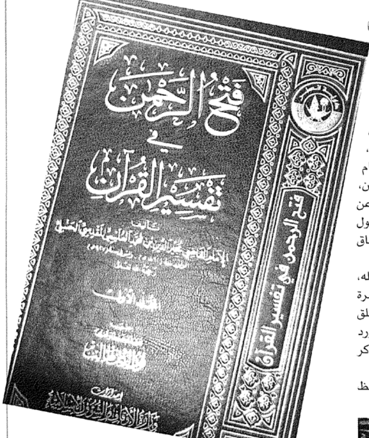
تفسير العليمي يشبه تفسير البيضاوي .. وفيه فوائد لطيفة وأقوال نفيسة

الله، في ديباجة كتابه هذا عن منهجه فيه وما قصد له من تأليفه، فقال: «هذا كتاب لخصته مختصرا، وهذبت لفظه محرراً، يتضمن نبذة من تفسير القرآن العظيم وتأويل ما فيه من الآيات والذكر الحكيم، اعتمدت في نقله على كتب أئمة الاسلام، وانتقيته من فوائد العلماء الأعلام.

ثم قال: وذكرت فيه خلاف القراء العشرة المشهورين الذين تواترت قراءاتهم، واشتهرت روايتهم من طرق الرواة الثقات والأئمة الأثبات، وذكرت فيه أربعة وقوف، التام والكافي والحسن والقبيح».

ثم قال: «وإن كان في الآية الشريفة حكم متفق عليه أو مختلف فيه بين الأئمة الأربعة ذكرته ملخصا، ولم ألتزم استيعاب الأحكام بل أذكر المهم حسب الإمكان، ولم أتعرض لاختيار غيره عن الأئمة المتقدمين، وحيث أقول في الحكم بالاتفاق فالمراد اتفاق الأئمة الأربعة المشار إليهم».

وقد قدم المؤلف، رحمه الله، قبل الشروع في التفسير بعشرة فصول، ضمنها فوائد ما يتعلق بفضائل القرآن العظيم، وما ورد في تفسيره وجمعه وكتابته وذكر الأحرف السبعة وغير ذلك.



وفي تفاصيل الكتاب يلحظ المطالع أموراً عدة من ذلك

١- التزامه بذكر مكي السور ومدنيها، وعدد آيات السورة وكلماتها وحروفها في أول كل سورة يفسرها.

٢- ذكر أسباب النزول عند كل آية.

٣- سرد قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة.

٤- تفسير المفردات من حيث الوضع اللغوي والشرعي.

٥- إيراد الأمثلة الدائرة على ألسنة الناس مما يوافق معنى الآية التي يفسرها.

٦- التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في القرآن العظيم.

٧- تلخيص الآية بعد تفسيرها.

٨- الإتيان بالفوائد واللطائف والإشارات الدقيقة.

موارد المؤلف في الكتاب

أولاً: التفسير وما يتصل به: تفسير ابن جرير الطبري، والبغوي، والزمخشري، والنسفي، وابن العربي، والرازي، وابن الجوزي، والثعلبي، والقرطبي، وابن عطية، والثعالبي، وابن حيان. والقراءات مثل: الشاطبية، والنشر، وايضاح الرموز، والتبيان، وغيرها.

ثانيا: الحديث وما يتصل به: كتب السنة والحديث وشروحها، والشفا، ومثير الغرام، ووفيات الأعيان.

ثالثا: الفقه: المغني، والفتاوى لابن تيمية، والإنصاف للمرداوي، وروضة الطالبين للنووي، ومختصر خليل وغيرها.

الأسواق والشوارع التجارية في العمارة الإسلامية

جادالله فرحات *

الأسواق في المدن الإسلامية تعتبر مظهرا مميزا في العمارة قديما لما تمتاز به من القبوات والعقود الضخمة، ولا تزال بعض المدن الإسلامية محتفظة بطابعها التاريخي القديم في أسواقها الجميلة، ومثال ذلك القاهرة ودمشق وحلب وتونس والمدينة المنورة ومكة المكرمة والكويت والإمارات والمغرب.

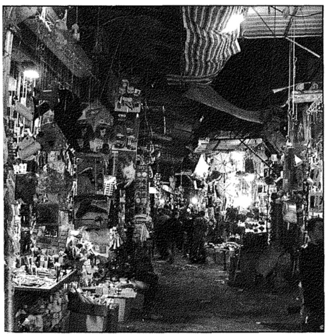
ولما كانت نسبة كبيرة من سكان المدن العربية تعمل بالتجارة نظرا لازدياد النشاط التجاري العابر في هذه المنطقة من العالم، فقد انعكست هذه الظاهرة على العناصر التخطيطية المكونة للمدينة العربية القديمة، فأقيمت الأسواق في مناطق خاصة من المدينة، كما امتد النشاط التجاري على طول الشوارع في مناطق أخرى، وهنا يجدر الفصل بين الأسواق التي تحوي النشاط التجاري الموسمي أو المتنقل، والشوارع التجارية التي تحوي النشاط التجاري الثابت في المحلات التجارية. وقد سميت هذه الأسواق بأسماء السلع التجارية التي كانت تباع فيها.

لقد كانت الشوارع التجارية أو الأسواق من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالسكان في المدينة الإسلامية، إذ لم يتأثر هذا النوع من النشاط الجماعي كثيرا بالبصمات الشخصية التي تركها الحكام الذين تتابعوا عليها في العصور المختلفة، ومن هنا كانت الشوارع التجارية أو الأسواق من أهم العناصر المكونة للتراث الحضاري للمدينة الإسلامية القديمة، لما كان لها من صفة الاستمرار والنمو العضوي.

لقد كانت الأسواق العامة تقع عند ملتقى طرق النقل البرية أو النهرية، كما كان الحال في مدينة الفسطاط عندما ظهرت كثير من المحلات التجارية على ساحل النيل، بينما بنى عبدالعزيز بن مروان بعض المناطق التجارية داخل المدينة نفسها وكانت لها مسمياتها النوعية مثل قيسارية (أي الشارع التجاري) العسل، وقيسارية البز (المنسوجات)، وسوق القناديل.

في هذه الحقبة من التاريخ ازدهرت التجارة الوافدة من بحر الروم (البحر المتوسط) ومن بحر القلزم (البحر الأحمر)، واستمرت هذه الأسواق عامة حتى بناء مدينتي العسكر والقطائع، إذ ارتبطت بهما بعد ذلك.

وتكررت الصورة في مدينة العسكر، ثم في مدينة القطائع التي سميت أسواقها بمسميات شبه نوعية، مثل سوق العيارين، وكان به جميع العطارين والبزازين، وسوق الفاميين، وكان يجمع الجزارين والبقالين، وامتدت الصورة في العصر الفاطمي والعصر الأيوبي إلى أن زادت حركة التجارة الشرقية التي كانت تخترق مصر والشام في طريقها إلى أوروبا في عصر المماليك، الأمر الذي استدعى بناء الخانات أو الفنادق والأسواق، ففي الخانات والفنادق كان ينزل التجار القادمون من الشام بسلعهم ودوابهم ويختزنون بضائعهم في المخازن والحواصل، وتؤدى لهم الأعمال المصرفية، واشتهرت هذه الفترة ببناء كثير من الوكالات والخانات مثل خان مسرور، وخان الخليلي الذي هدمه السلطان الغوري بعد ذلك ليبني مكانه مجموعة من الدكاكين والربوع والوكالات التي هدمت بدورها وأعيد بناء خان الخليلي مرة أخرى.



واستمرت الصورة الغالبة لأسواق القاهرة القديمة في الشوارع التجارية التخصصية التي سميت أسواقها بأسماء السلع والبضائع التي تحويها.

* مهندس معماري في وزارة الأوقاف الكويتية

ومن أهم الأسواق سوق القصبة على طول شارع القصبة الذي كان العمود الفقري لقاهرة المعز، ويمتد من باب الفتوح حتى باب زويلة مارا فيما بين القصرين، وقد سميت أجزاؤه المختلفة بأسماء السلع التي به. وتفرعت من هذا الشارع التجاري الرئيسي فروع من الشوارع التجارية التخصصية، مثل سوق الدواسين وسوق حارة برجوان، وكان من الأسواق النوعية سوق الشماعين وسوق الدجاجية وسوق السلاح وسوق القفصيات وسوق الجوخيين وسوق الحلاويين وسوق السوابين الصاغة وسوق الصنادقيين وسوق الحريريين، ولا تزال آثار هذه الشوارع التجارية أو الأسواق قائمة في المناطق المختلفة من القاهرة القديمة وأهمها سوق الغورية، في أحد أجزاء شارع المعز لدين الله، أو ما كان يسمى بشارع القصبة.

وفي دمشق الأموية تكررت الصورة التي لا تزال آثارها قائمة في الشارع التجاري لسوق الحميدية، ثم تكررت الصورة في مدينة بغداد القديمة، وإن كان سوق بغداد الأول يقع في قرية صغيرة خارج مدينة المنصور، ثم التحم بعد ذلك بالهيكل العام للمدينة ولا تزال آثار الشوارع التجارية قائمة في بغداد في سوق الشرجة وهو مقسم نوعيا إلى شوارع تجارية عدة.

وتكررت صورة الشوارع التجارية النوعية بعد ذلك في مدينة القدس في العصر العثماني، فظهرت الأسواق المسقوفة والمرصوفة بالبلاط الحجري، مثل السوق الطويل وسوق الحلاجين وسوق الغلال وسوق الحرير وسوق البزازين وسوق العطارين وسوق المجوهرات، وتكررت الصورة كذلك في الأسواق القديمة في مدن المغرب مثل مراكش وفاس ومدن المشرق مثل أصفهان وشيراز بإيران.

وهكذا كان الشارع التجاري من أهم العناصر التخطيطية المشتركة في المدن الإسلامية القديمة في المشرق والمغرب، وارتبط بسكانها، وهو بذلك يعتبر مدخلا مهما في تخطيط المناطق التجارية كأحد العناصر المهمة لربط المدينة الإسلامية المعاصرة بتراثها الحضاري.

والقاهرة الفاطمية بوجه خاص تتميز عن سائر المدن الإسلامية ببعض الخصائص منها- كما سبق القول- شارع رئيسي طويل، معروف بالقصبة، يخترقها من الشمال إلى الجنوب، من باب الفتوح إلى باب زويلة، يبلغ عرض الجزء المخصص للمرور منه ثمانية أمتار وتتخلله دخلات تشغلها الأسواق التي تعقد في الشوارع والساحات، وتحف القصبة أبنية فخمة من قصور الخلفاء الفاطميين، تليها منشآت أخرى كالمساجد والمدارس ومدافن السلاطين من المماليك التي أضيفت فيما بعد، كما كانت تشمل أقساما خصص كل منها لنوع من أنواع التجارة كالخيامية والنحاسين والعطارين والمغربلين إلى غير ذلك.

الوكالة

الوكالة، أو الخان، عبارة عن فندق من نوع خاص، وتتكون من طابق أرضي يطل على فناء داخلي كبير مفتوح يحتوي على مخازن منفصلة، ومن طوابق علوية مخصصة للسكن، وتطل على الفناء الداخلي المفتوح، وكانت الوكالات تخصص لإقامة التجار الذين يفدون من مختلف البلاد مع عائلاتهم لقضاء موسم التجارة، حيث تخزن بضائعهم في المخازن لحين انتهائهم من تصريفها ثم يرحلون.

ومن المدهش أن أماكن الإقامة في الوكالة لم تكن مجرد حجرات، ولكنها كانت شققا صغيرة أو وحدات سكنية مستقلة تتكون من طابقين أو ثلاثة، وتتصل هذه الطوابق بسلم داخلي لكل وحدة، وقد نسب الغربيون هذه الفكرة الإسلامية الأصلية لأنفسهم باسم الوحدات السكنية المجمعة «الدوبلكس» «والتربلكس»، كما في عمارة مارسيليا ١٩٤٩/١٩٥١ للمعماري كوربزييه، واتخذت فيما بعد نظرية جديدة من نظريات العمارة الحديثة، ومن أشهر الوكالات وكالة الغوري ووكالة قايتباي.

الربع

وهو صورة مبسطة للوكالة، يخصص أصلا للصناع وأصحاب الحرف ويتكون من دور أرضي يضم وِرَشًا ومحلات، وطابقين علويين عبارة عن شقق منفصلة مكونة من حجرة أو حجرتين، وصالة معيشة ومطبخ ودورة مياه لسكن عائلات الصناع أصحاب هذه المحلات.

وبالنسبة للأسواق حاليا فيوجد خان الخليلي بالقاهرة، والحميدية بدمشق، وأسواق الذهب والبشوت والتمور بالكويت، وسوق الأغذية بالشارقة، وسوق الشمغنة بدبي، وكلها أسواق على الطراز الإسلامي أو الخليجي.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

الدعوة الصامتة

تعيش مجتمعاتنا اليوم حالة من الغرابة في ممارساتها الحياتية ووسائلها المعيشية، فظاهر الصبغة المجتمعية إسلامي حتى النخاع، وواقع الحال سبات حتى الموت.. فأين أثر الدعاة الدائم على أفراد المجتمع المسلم؟ وهل المشكلة في الدعاة أم في العوام؟

المتأمل في حال الحراك الإسلامي يجد أن العمل الدعوي والخيري في ازدياد مطرد، والإقبال على المساجد والملتقيات والمؤتمرات يزداد، ومع ذلك نرى تأخر النصر الرباني في التمكين لشريعته في الأرض.

والحقيقة أن الناس لم يعودوا بحاجة إلى كثرة الكلام بقدر حاجتهم إلى رؤية قرآن يمشي على الأرض، وحاجتهم إلى أناس يعيشون مجتمعاتنا في رخاء وأمن اجتماعي بعيدًا عن النفاق والمكاسب الدنيوية والمصالح الشخصية.

ويمكن القول إن التجارة الرائجة في الوقت الحالي هي القدوة السلوكية الصالحة التي تحكي حقيقة الدين بعفوية وإخلاص، بعيدًا عن مظاهر الرياء، فالتوجيه المباشر إلى فعل ما بالحديث فقط غير مجد في عصر المعلوماتية والواقعية، وهذا ما نراه في آثار الخطب والدروس الدينية التي تلقى على مسامعنا ويذهب تأثرنا بها بعد دقائق معدودة، وتنسى بين مفاتن الحياة.

فلتكن أنت ما تدعو إليه، واجعل من يراك يتمنى أن يكون مثلك، ولا تحدثه عن الإيمان، بل اجعله يستشعره من النور الذي يضيء وجهك، ولا تحثه على العبادة، بل دعه يراها أمام عينيه، ولا تدعه لمكارم الأخلاق، بل اجعله يحبها منك.

ويتعجب المرء عندما يسمع قول الصغار لماذا نصلي ولا نرى أحدا يصلي في المساجد؟ ويدلل هذا المفهوم على أن هناك خللا تربويا كبيرا في حياتنا السلوكية والروحانية، فهل تكون دعوتنا إلى الله صامتة أم نتكلم ونتكلم ولا يسمعنا أحد؟

ولعل المنهج الرباني في القدوة السلوكية، القائم على الآية الكريمة ﴿... وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩) يؤكد طريق الإصلاح والتغيير، ويعتبر تجاوزًا من الدعاة أن يتخطوا هذه الآية إذا انطبقت عليهم الظروف نفسها.

ويستدل أيضا على ذلك بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية التي استأسدت فيها قوى الكفار على جماعة الإيمان فأذاقوهم ألوانًا من العذاب، حتى لما هاجروا إلى الحبشة وكان المنهج آنئذ ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾، وقد قتلت سمية بحربة في قبلها، وكذا زوجها قد قتل شهيدا، ولم يكن يملك الرسول صلى الله عليه وسلم إلا القول «صَبْرًا آلَ يَاسِر فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إلى الْجَنَّة».

وما تحكيه تجربة تركيا الآن يثبت حقيقة الآثار الايجابية المترتبة على هذا المنهج النبوي الفريد، فالمؤسسات التعليمية والدينية والإعلامية والدعوية الضخمة أبرز دليل على نجاح آثار هذه الدعوة الصامتة القائمة على السلوك الحسن، فلا شعارات رنانة، ولا أصوات عالية على المنابر، ولا مظاهرات تأجيجية، ولا صراعات مقيتة، وإنما عمل تنموي يترجم قيماً إسلامية في مجتمع غص بالإلحاد والعلمانية.



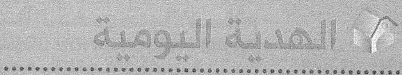
إن الإسلام انتشر في كثير من بلدان الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين، حيث كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على دين الحق، فالقدوة المتحلية بالفضائل العالية تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

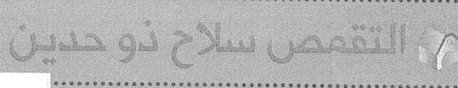
لفتة

■ الروائي علاء الأسواني يقول: إن الفضيلة تؤتى من الأخلاق بعيدا عن التدين مثلما يحدث في دول شرق آسيا.. ونقول: لو كان الأمر كذلك لما حكم الإسلام الأرض قرونا عديدة.

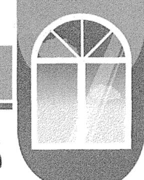
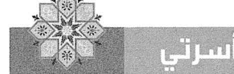
أسرتي









مديرة إدارة الشؤون النسائية في لجنة التعريف بالإسلام وضحة البليس:

تحرير المرأة يعني انسلاخها من إنسانيتها.. والإسلام يصون كرامتها

حوار: منيرة الرشيدي

أكدت مديرة إدارة الشؤون النسائية في لجنة التعريف بالإسلام وضحة البليس أن الفكر العالمي يتجه إلى تحرير المرأة وجعلها سلعة تجارية مجانية، ولكنها أيقنت أخيرا أن هذا يعتبر انسلاخا من إنسانيتها وليس تحريرا لها، فبدأت في البحث عن معنى يصون لها كرامتها.. فوجدت أن الإسلام يكفل ذلك.

وقالت البليس في حوار مع «الوعي الإسلامي» إن لجنة التعريف بالإسلام تساهم في تدريب الدعاة العاملين فيها من جميع الجنسيات على فتح مدونات خاصة على الانترنت حتى يتواصلوا مع أكبر شريحة ممكنة من غير المسلمين وخاصة الطبقة المثقفة والراغبة في التعرف على الإسلام بشكل موسع.

وبيّنت أن وسائل الإعلام لا تغطي نشاط الفقيهات اليوم، ومن ثم يظهر، لمن لا يعرفهن، عدم تواجدهن، بالرغم من أن هناك كثيرا من الفقيهات المتميزات الحريصات على مناقشة كل ما يستجد من أمور المرأة والعصر مع المشايخ والعلماء وطرحه بين أوساط النساء.. واليكم نص الحوار:

■ **نود أن تحدثينا عن أنشطة وبرامج اللجان النسائية في اللجنة؟**

- تسعى لجنة التعريف بالإسلام لنشر الدين الإسلامي بين الجاليات غير المسلمة وتعريفها به، والاهتمام برعاية المهتدين الجدد، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتوعية الجاليات المسلمة، وهذا من منطلق قول الله عز وجل ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل:١٢٥) وقول الرسول ﷺ «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

وتبدأ أول خطوة بالدعوة خارج أسوار اللجنة، وذلك عن طريق نشر الداعيات من مختلف الجنسيات بالأماكن التي يكثر فيها وجود غير المسلمات من مستشفيات وسفارات وصالونات، وحتى المنازل، فيبدأن بتوزيع المنشورات والكتيبات البسيطة أو حتى إلقاء بعض المحاضرات التعريفية بالإسلام، أما الخطوة الثانية فتكون داخل أسوار اللجنة، فنبدأ باستقبال كل الزائرات من مختلف الجنسيات وتتوجه كل واحدة منهن إلى الداعية التي تتكلم بلغتها، وتناقشها وتسألها عن كل الشبهات التي في ذهنها، فإن اقتنعت وتأكدت الداعية من أن المفاهيم الإسلامية قد وصلت إليها بصورة صحيحة دلتها إلى كيفية إشهار إسلامها.

الخطوة المهمة بعد ذلك والتي تستغرق من ٤ إلى ٥ أشهر هي متابعة وضع المهتدية وتعليمها شعائر دينها الجديد من عقيدة وحفظ بعض الآيات البسيطة من القرآن الكريم، وتعليمها أحكام الطهارة والصلاة وسيرة نبيها ﷺ، وغير ذلك من الأمور التي تجعلها مسلمة عارفة بأساسيات دينها.

وإذا أحبت المهتدية بعد ذلك الاستزادة، تستطيع أن تدخل برنامج الفصول الدراسية الذي يقدم من ٦٠ -٧٠ دورة في الفصل الدراسي الواحد، وتتنوع الدورات فيه، حيث تُدرس اللغة العربية وفقا لـ ١٢ مستوى والعلوم القرآنية من حفظ وتلاوة وتفسير وتجويد، وأيضا الفقه والسيرة وغير ذلك.

■ **كيف ترين واقع المرأة المسلمة اليوم؟**

- أراه بين إفراط وتفريط، بين فئة رغباتها لا تتناسب مع آداب وتعاليم ديننا الحنيف، ولا مع عادات وتقاليد المجتمعات الشرقية.. يريدون حقوقا للمرأة لا يملكها الرجل، سواء كانت حقوقا سياسية، أو عسكرية، أو علمية، أو اجتماعية، أو حتى دينية.. يريدون للمرأة أن تنسلخ من لباسها الذي ألبسها إياه الله عز وجل وأن تلبس بدلا منه لباسا ينافي خلقتها، وفئة لا ترى حقوقا لها ألبتة، فهي مهضومة الحق اجتماعيا سواء من زوجها أو والدها أو حتى ابنائها، وفي بعض المجتمعات مازالت المرأة محرومة من التعليم ومن حق الميراث... إلخ، أما الفئة



المتوازنة التي بين هذه وتلك فنسبة وجودها قليلة في المجتمع.

■ **من الملاحظ ازدياد دخول النساء في الإسلام في الأونة الأخيرة. فما أسباب ذلك؟**

- توجُّه الفكر العالمي كله إلى تحرير المرأة جعلها سلعة تجارية مجانية، ولكنها أخيرا أيقنت أن هذا يعتبر انسلاخا من إنسانيتها وليس تحريرا لها، فبدأت في البحث عن معنى يصون لها كرامتها.. فوجدت أن الإسلام يكفل لها ذلك، وأيضا من الأسباب الاجتماعية التي من أجلها دخلت الكثيرات إلى الإسلام الزواج، فحينما تتزوج المرأة من رجل مسلم يكون قصدها مجرد الزواج في البداية، ولكن حين تلمس عن قرب الأسرة المسلمة توقن أن الحقوق والواجبات التي وضعها الإسلام بين أفراد الأسرة هي التي تحفظها وليس غيرها.

■ **ما الوسائل الحديثة المطلوبة للدعوة إلى الله؟**

- أصبح العالم الآن كالقرية الصغيرة عن طريق الفضائيات والإنترنت، حيث تستطيع الوصول لأكبر شريحة ممكنة من الناس ومن مختلف الأعمار، ولن يكلفك ذلك إلا مبالغ مادية قليلة لا تذكر، وقد حرصت لجنة التعريف بالإسلام على إنشاء موقع خاص لها على الشبكة حتى تنتشر أخبار وانجازات اللجنة حول العالم، وأيضا أضافت للموقع منتدى تطرح من خلاله المناقشات والحوارات بيننا وبين العالم الخارجي.

ومن جديد اللجنة أيضا، ومن منطلق حرصها على التواكب مع متطلبات هذا العصر السريع، تدريب الدعاة العاملين فيها من جميع الجنسيات على فتح مدونات خاصة لكل واحد منهم حتى يتواصلوا مع أكبر شريحة ممكنة من غير المسلمين وخاصة الطبقة المثقفة والراغبة في التعرف على الإسلام بشكل موسع.

■ **أين قضية التربية الأسرية في أجندة الداعيات؟**

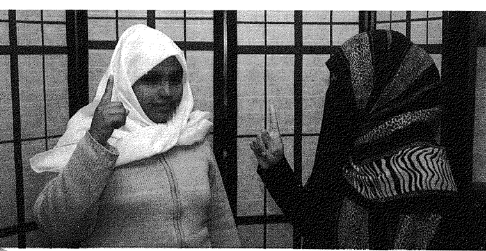
- هي القضية الأولى فيها، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.. وستجد أن معظم الداعيات المتميزات قد تربين في أسرة ملتزمة محافظة حرصت على غرس تعاليم الدين الإسلامي في أبنائها منذ الصغر، والداعية بدورها وَرَّثت هذه التعاليم والصفات لأبنائها.

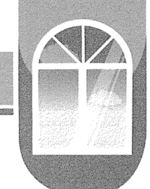
■ **أين الفقيهات اليوم من قضايا المرأة المعاصرة؟**

- إذا كان الإعلام لا يغطي نشاط الفقيهات اليوم فلا يعني هذا عدم وجودهن، فهناك كثيرات من الفقيهات المتميزات الحريصات على مناقشة كل ما يستجد من أمور المرأة والعصر مع المشايخ والعلماء وطرحه بين أوساط النساء.

■ **لماذا لا تستغل الداعيات الفضائيات في نشر الدعوة ومعالجة قضايا المرأة؟**

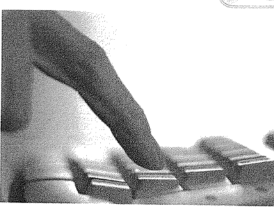
- هذا الخطأ لا يقع على عاتق الداعيات، إنما على الفضائيات أنفسها، ففقد العنصر النسائي الملتزم في الفضائيات الإسلامية يرجع إلى رفض إدارة الفضائية حضور أي امرأة على شاشتها، ولذلك ترى أن القنوات الإسلامية التي ترحب بهذه الفكرة تزخر بالعديد من الداعيات الراغبات في نشر أفكارهن ودعوتهن.. وقد نجحن في ذلك.






ولا متخذات أخدان

منى السعيد الشريف



عالم الشات عالم جديد وغريب وعجيب. يرتاده البعض بدافع الفضول، حيث تطوى المسافات ونلتقي مع مختلف اللهجات والثقافات. والبعض يغوص في أعماقه اطراحا للملل والسأم. خاصة مع ضعف الروابط الأسرية والعائلية. وآخرون لبث الشكوى وتفريغ الأحزان والهروب من الضغوط، ومنهم من يجده فرصة لملء الفراغ العاطفي، خاصة مع الجنس الآخر الذي تحول التقاليد دون اللقاء معه.. فالكثيرون يتسلون بمجرد الحديث مع الجنس الآخر بغض النظر عن موضوع الحديث، فكل ما يهم الرجل أن يسمع صوت أنثى، خاصة إذا كان جميلا رقيقا، وكل ما يهم الأنثى مثل ذلك. فالنساء شقائق الرجال، وعلى أضعف الأحوال يهم كلا منهما أن يحادث الآخر ولو كتابة.

والغالب أننا ندخل هذا العالم بنية ساذجة أو صادقة، ولا يدور في خَلَدنا- ولو للحظة- أنه يمكن أن تنجرف العواطف، وتزل الأقدام، ونقدم على ارتكاب ما لا يمكن أن نتصور أننا قد نفعله في يوم من الأيام من أنواع الآثام، وربما الفواحش، خاصة أن الشيطان يسول لنا أن الإبحار في الإنترنت من البيت ومن الغرفة يجعل صاحبه في مأمن من عبث عابثٍ أو تربُّص مُتربّص، لأنها علاقة مدارها على الكلام، لكن للأسف غالبا ما تتطور- وبدون وعي منا- إلى المواعدة واللقاء في الخفاء!

لذا يتحتم علينا أن نتعرف على طبيعة هذا العالم المثير، ونستكشف سلبياته وإيجابياته، وضوابط التعامل معه، كي نجني الثمرة ولا تحرقنا نار الغدرة والفجرة.

أوضحت إحدى الدراسات لبعض الشباب العربي المثقف من خلال زيارات ميدانية قاموا بها للعديد من برامج الشات والمحادثة أن ٥٪ فقط من غرف المحادثة تتناول موضوعات ذات قيمة فكرية وثقافية هادفة، وقضايا الأمة وأحوالها، يعبر بها الشباب العربي عن ذاته وطموحاته ووجوده، و٨٦٪ من هذه الغرف تعتبر أبواق هدم أخلاقي وثقافي يمارس بشكل منظم وممنهج، خاصة ضد الفتيات، في حين أن ٩٪ من هذه الغرف تتباين في حواراتها وآليات تناولها من جيد إلى سيئ.

إن ديننا العظيم حذرنا أشد تحذير من إقامة العلاقات بين الجنسين خارج نطاق الزواج، وأوصد الباب بشدة أمام مصيبة برامج التعارف التي ذاعت وانتشرت عبر الصحف والمجلات وشبكة الإنترنت، وما ذلك إلا درءًا للفتنة، ومنعًا لحوادث العشق والغرام التي تؤول بأصحابها غالبا إلى الفواحش الخطيرة، وانتهاك حرمات الله، أو تؤدي بهم إلى زيجات فاشلة محفوفة بالشك وفقدان الثقة.

من أفعال الجاهلية

اتخاذ الأخدان من أفعال الجاهلية، قال تعالى ﴿... مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ...﴾ (النساء:٢٥)، قال الألوسي: والأخدان جمع خدن وهو الصاحب، والمراد به هنا من تتخذه المرأة صديقا يزني بها والجمع للمقابلة، والمعنى ولا مسرات الزنا، وكان الزنا في الجاهلية منقسمًا إلى سر وعلانية، وروي عن ابن عباس أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون ما ظهر منه ويقولون: إنه لؤم، ويستحلون ما خفي ويقولون: لا بأس به، ولتحريم القسمين نزل قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام:١٥١). (تفسير الألوسي ٢٢/٤).

لا لحرية الحب

لقد ارتبط في أذهان الكثير من الفتيات أن يمارسن الحب خارج البيوت، وأن ينسجن خيوط العشق وطرائق الغرام بعيدًا عن الزواج الحلال، من باب أن الممنوع مرغوب.. فهل نقبل بما يسمى «حرية الحب» في مجتمعنا الإسلامي؟

إن ما يسمى بالحب الذي تعيشه بعض الفتيات اليوم فيه من الشطط والمعابة ما يجعله لهوًا ولعبًا، فلا ترى له هدفًا، ولا تتلمس له ضوابط ومعايير، بل تراه خفيًا مستترًا أو بارزًا متبجحًا يلتقي مع السراب في كثير من الحالات، لأن حقيقة الإنترنت أنها وسيلة اتصال فقط لا غير، أي لا تواصل ولا تعارف حقيقيا يمكن أن ينبني عليه زواج أو أي علاقة طبيعية، وغالبا يترك هذا الحب جراحًا تدوم إلى الأبد، ونادرًا ما ينتهي بالزواج، وإذا تم الزواج فقد يحدث الطلاق بعد الزواج بسبب كثرة الشكوك بين الزوجين ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (التوبة: ١٠٩)، والحياة الزوجية إن كانت خالية من الثقة بين

الطرفين فهي محكوم عليها بالفشل. ولا يزال الشيطان يعيد تلك الذكريات المحرمة في مخيلة كل واحد منهما، ولا يزال الشيطان يدفعهما لإعادة الكرة، وما المانع وقد فعلاها من قبل؟! هذا إن كان حبًّا عفيفًا وعلاقة شريفة، فما بالك بالحب غير العفيف والعلاقات غير الشريفة.

عزيزتي الفتاة المسلمة:
إن كنت فعلا تقعين تحت ضغوط في بيتك وتفتقدين الحب والعطف والحوار الهادئ مع الأهل، فهل هذا مسوغ ومبرر للبحث عن هذا المفقود خارج المنزل؟ يجيبنا الله تبارك وتعالى عن هذا بقوله في سورة النساء ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ (النساء: ٢٥) قال ابن عباس: يعني أخلاء، وقال الحسن البصري: يعني الصديق (تفسير ابن كثير)، فأين أنت أختي من هذه الآية الصريحة في موضوع اتخاذ الأصحاب والأصدقاء من الرجال؟

إن وجود الصداقة بين الفتاة والشاب لا يخلو من الوقوع في براثن النظرة الحرام، والكلمة الحرام، واللمسة الحرام، والخطوة الحرام، والخلوة الحرام، قال الله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)، وأيضًا ميزان الله تعالى ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢)، وأيضًا زني حالك بميزان. ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣١)، وضعي علاقتك العاطفية على ميزان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حينما قال «لا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما» (رواه أحمد)، فانظري أين تضعين قدمك وأين تذهبين؟ وتأكدي أنه بعد انتهاء هذه العلاقة تذهب اللذات وتبقى الحسرات.

لو ترك الإنسان بلا قيود ولا ضوابط لكان حالنا كحال الحيوانات التي ليس لها ضوابط ولا قيود في علاقاتها، ولقد قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، والضابط والقيد الذي يحمينا حتى من أنفسنا هو ضابط الدين والخوف من الله، فإذا قال لنا الله تعالى ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ فهو أمر من الله بعدم اتخاذ الفتاة والمرأة عمومًا لصديق أو صاحب من غير المحارم، والذي أمرنا بذلك هو أعلم منا بحالنا، ولا يشرع لنا إلا ما يصلحنا وتصلح به حياتنا ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

تستطيعين أن تجلبي المحبة لنفسك بأسهل الطرق.. أخلصي في محبتك لعائلتك، أحبيهم بصدق واجعليهم يشعرون بهذه المحبة، قومي بخدمتهم واجعليهم يشعرون بسعادتك وأنت تخدمينهم..كوني مرحة وبشوشة معهم، وعيشي الحياة ببراءة وأنت حولهم.. احرصي على أن تكوني دائماً مع أهلك ولا تبتعدي عنهم، فوالله لن تجدي أصدق منهم مهما بلغت قسوتهم عليك، فهذا كله نابع من محبتهم لك.

رأي الدين

الإنترنت ولوازمه من المحادثة عبر الشات والماسنجر وسيلة قد تكون سببا في تحصيل الخير، من تبادل العلوم النافعة، والدعوة إلى الله، والتعرف على أحوال المسلمين، وقد تكون سببا للمفاسد والشرور، وذلك حينما تكون بين الرجل والمرأة، ولذلك لا يجوز تكوين صداقات بين الرجال والنساء عبر هذه الوسائل للأسباب التالية:



١- لأن هذا من اتخاذ الأخدان الذي نهى الله عز وجل عنه في كتابه الكريم.

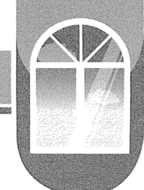
٢- لأنه ذريعة إلى الوقوع في المحظورات بداية من اللغو في الكلام، ومرورا بالكلام في الأمور الجنسية وما شابهها، وختاما بتخريب البيوت، وانتهاك الأعراض، والواقع يشهد بذلك.

٣- لأنه موطن تنعدم فيه الرقابة، ولا توجد فيه متابعة ولا ملاحقة، فيفضي كلا الطرفين إلى صاحبه بما يشاء دون خوف من رقيب ولا حذر من عتيد.

٤- لأنه يستلزم الكذب إن عاجلا أو لاحقا، فإذا دخل الأب على ابنته، وسألها ماذا تصنع، فلا شك في أنها ستلوذ بالكذب، وتقول: إنني أحدث إحدى صديقاتي، وإذا سألها زوجها في المستقبل عما إذا كانت مرت بهذه التجربة فإنها لا شك ستكذب عليه.

٥- لأنه يدعو إلى تعلق القلوب بالخيال والمثالية، حيث يصور كل طرف لصاحبه أنه بصفة كذا وكذا، ويخفي عنه معايبه وقبائحه، حيث الجدران الكثيفة، والحجب المنيعة التي تحول دون معرفة الحقائق، فإذا بالرجل والمرأة وقد تعلق كل منهما بالوهم والخيال، ولا يزال يعقد المقارنات بين الصورة التي طبعت في ذهنه، وبين من يتقدم إلى الزواج بها، وفي هذا ما فيه.

وليس معنى هذا حرمة الحديث بين الجنسين مطلقا عبر هذه الوسائل، ولكننا نتكلم عن تكوين العلاقات والصداقات بين الجنسين، أما ما توجبه الضرورة، أو تستدعيه الحاجة، مثل الحديث بين المراسلين الإخباريين، وبين العالم والمربي ومن يقوم على تربيتهن أو دعوتهن، والحديث الذي تقتضيه دواعي العمل بين الجنسين فليس حراما مادام لم يخرج عن المعروف، ولم يدخل دائرة المنكر، ولم يخرج عما تقتضيه الحاجة وتفرضه الضرورة.





الأسرة المتماسكة

آمال عبدالرحمن محمد

تحرص كل أسرة على تماسك وتقارب أفرادها بعضهم بعضا، ولكن أحيانا تحول الظروف دون هذا التقارب فتتفكك الأسرة وتصبح عبارة عن مجموعة من الأشخاص كل منهم يعيش في واد على الرغم من اقامتهم في بيت واحد، في هذه الحالة تحتاج الأسرة إلى برنامج لإنعاش العلاقة بين أفرادها. وفي ما يلي بعض النصائح لأفراد الأسرة كما يقررها خبراء الصحة النفسية وخاصة المرأة.

- اجعلي لكل دقيقة في حياتك معنى وهدفا، فحتى الفترة التي توصلين فيها أولادك إلى المدرسة يمكنك أن تجعليها مرحلة تواصل وتقارب بينك وبينهم بدلا من اعتبارها مجرد واجب تؤدينه، كما تقول د.لين التي اكتشفت أن ابنتها تعتبر رحلتها إلى المدرسة كل صباح من أهم الفترات في يومها، حيث تنطلق في الحديث مع أمها كما تشاء.

- انتبهي لألفاظك مع أفراد عائلتك وحاولي أن تكون رقيقة وتتسم بالود والحنان، فالصرامة في الحديث والانتقاد المستمر يوجد جوا من عدم الوفاق، كما يرى د.باري كاكوب استاذ الطب النفسي ومؤلف كتاب «دليلك للعطاء العاطفي» الذي ينصح بضرورة الود والاحترام حتى عندما تكونين منزعجة، فالدراسات تؤكد أن هذا يدعم المشاعر بين أفراد العائلة في حين أن الاحتكاك المستمر قد يؤدي إلى التراشق بالألفاظ الذي يصل إلى حد الندم بعد ذلك على القول أو الفعل.

- التلامس بين أفراد الأسرة الواحدة دليل على التقارب العاطفي والحب، فانتهزي كل فرصة لاحتضان أبنائك والتعبير عن الحب لهم واقتربي من زوجك أيضا ولا تنسي أن تمسكي بيد أولادك وزوجك في المتاجر والطرق فكل هذه الوسائل تعبر عن حبك لهم.

- تمهلي قليلا وألقي نظرة على الأنشطة الفردية التي ينشغل بها أفراد أسرتك، ثم خذي قرارا بتقليصها إلى نشاط واحد أو اثنين لكل شخص حتى تستطيعوا مقابلة بعضكم بعضا، وبناء علاقات قوية، فكيف تقتربون بعضكم من بعض وأنتم لا تلتقون.

- خصصي وقتا لقضاء الاجازات أو زيارة الأهل والأصدقاء معا، لأن هذا يساعد على تولد مشاعر مشتركة بين جميع أفراد الأسرة وهي الطريقة المثلى، كما يقول د.جاكوب فيراري أستاذ علم النفس بجامعة شيكاغو لتوطيد العلاقات لأن العلاقات المتقاربة هي التي تبني لنفسها تاريخا وتجعل لنفسها مخزونا تسحب منه خلال الأوقات الصعبة ليعينها على تخطيها.

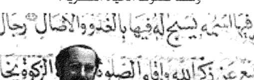
- خصصي وقتا تقضينه مع زوجك، حتى ولو كان لمجرد ساعات في الأسبوع وحافظي على هذا الوقت ودافعي عنه بشراسة فبدون زوج متقارب من الصعب وجود عائلة متقاربة ولا تتركي نفسك لتكوني ضحية لإيقاع الحياة السريع وخصصي يوما في الأسبوع للخروج مع زوجك للمنتزهات وأماكن الراحة ليزداد تقاربكما.

- خصصي وقتا لكل طفل من أطفالك، فكل واحد منهم في حاجة إلى وقت خاص به، خاصة في حالة وجود أكثر من طفل فهذا الوقت يجعل من كل واحد منهم يشعر بمكانته المتميزة وبالتالي لا يكون مضطرا لبذل الجهد من أجل الحصول على اهتمامك، فانفردي بكل طفل من أطفالك لمعرفة رغباته ومشاكله كما فعل أحد خبراء التربية الذي كان يسمح لكل واحد من أبنائه بالسهر معه مرة في الأسبوع ليتبادلا الحديث أو يمارسا بعض الألعاب معا ليشعر الصغير بأهميته في قلب والديه ويأنس بوالده.

- تقديم المساعدة والمساندة عند الحاجة من صفات العائلات المتماسكة والمترابطة.

- وليتحقق هذا في أسرتك كوني القدوة التي تحرص على مشاعر الجميع وتسأل دائما: هل أنت في حاجة إلى مساعدة؟

- اضحكوا معا وتجاذبوا أطراف الحديث، لأن روح الدعابة تقوي العلاقات الشخصية وتهدئ المواقف الصعبة، فالنكتة أو الدعابة يمكن أن تخفف حدة التوتر حتى في أحلك المواقف لأن الضحك له طريقة في ترميم النفوس الحزينة والمتعبة، وهو من أفضل الوسائل للترويح عن النفس، خاصة وسط ضغوط الحياة العصرية.





- التفوا حول المائدة، فاحرصي على تدبير وقت يمكن لجميع أفراد الأسرة فيه تناول وجبة في الأسبوع على الأقل معا لأن تناول الغذاء في جو أسري يفيد في تقوية العلاقات بين الأفراد، وأثبتت الدراسات أن الأطفال الذين يتناولون الغذاء مع العائلة بانتظام يكون لديهم القدرة على تحمل الضغوط الحياتية فيما بعد.

- تسلوا معا، فالمجتمع الذي نعيش فيه اليوم يشجع على الانفصال وليس الترابط، فكل شخص له حياته الخاصة حتى الأطفال كما تقول د.ليسبي، والنتيجة أننا نتجه لأصدقائنا للعب والتسلية بعيدا عن أفراد الأسرة، فاحرصي على توفير ألعاب جماعية يمكن لأفراد الأسرة المشاركة فيها.

- عيشي من أجل مبادئك، نحن نعرف المبادئ التي تريدين توريثها لأبنائك، لكنهم لن يدركوا قيمتها أو يستوعبوها جيدا إلا إذا قدمنا القدوة لهم فإذا كان الإيمان والدين مهمان بالنسبة لك فاحرصي على اصطحاب طفلتك لتصلي معك وإذا كانت مساعدة الآخرين أو التطوع للأعمال الخيرية من أهم أنشطة حياتك فليكن لأبنائك نصيب في هذا النشاط، فمثل هذه الخطوات يقوي العلاقات الأسرية ويولد المشاعر الجميلة بين أفراد الأسرة، ولقد ثبت أن القدوة أقوى أثرا في السلوك.

بهذا يمكن أن نحقق تماسك الأسرة المنشودة والذي يأتي بثمار طيبة يتمتع بها أفراد الأسرة كافة، وخصوصا الأبناء أمل المستقبل ونواة المجتمع الفاضل.

الحب الإلكتروني!

د.ناصر أحمد سنة

لا تكاد تدخل مقهى أو ناديا للإنترنت، فضلاً عن الإنترنت المنزلي، دون أن تجد من هو مستغرق في الدردشة الإلكترونية، فعبر غرفها العديدة ثمة كلمة فصورة فموعد فلقاء، ففراق، فخيبة أمل وصدمة عاطفية، أو زواج ولو على أنقاض أسر كانت مستقرة.. إن لسان حال هؤلاء وأولئك يقول: «نحن في عصر العولمة والإنترنت، والتعرف على شخص من الجنس الآخر بواسطة الإنترنت أمسى أمرا عملياً وواقعياً، بل وأحياناً رومانسياً». ووراء تلك الأمور العملية والرومانسية تجد آخرين وقد تخطوا مرحلة التعارف والدردشة داخل غرفها إلى سرقة زوج أو زوجة من أسرتها، مما يتسبب في تشتتها بعد استقرار، وتعاستها بعد هناء، وتباغضها بعد وفاء.

هي:

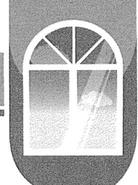
بعد واحد وثلاثين عاما من زواجنا، أكاد أحصي أيامها ولياليها.. خريفها وشتاءها، وقلة ربيعها.. بدأنا معا.. وتحملت أيام الشدة والعسر والحرمان، وساندته، ورزقنا الله تعالى ثلاثة من البنين ومثلهم من الإناث.. وعانيت أيما معاناة في تربيتهم وتعليمهم، فكنت في كثير من الأحيان الأم والأب، وأسر اليوم تعاني من رعاية طفل أو اثنين، فضلا عن تحملي غربته خارج بلده شهورا وسنين.. كي يبني حياته ومستقبل أولادنا الستة، حتى تزوج نصفهم الآن وأنجبوا لنا حفدة فصرنا أجدادا.. نعم أجدادا، ومازلت أرعى نصفهم الآخر، حتى يصلوا إلى بر الأمان كما وصل إخوتهم من قبل.

لقد قدمت الكثير والكثير ليس له فقط، ولكن لأبويه أيضا، إرضاء له، فتحملتهما كبارا، ولسنوات عديدة حتى وفاتهما، وبعد أن أعادني إلى وطني من سنوات أربع، وليتني.. ليتني لم أعد، أحسست بتحوله عنا، كلما تنقل بيننا وبين عمله بالخارج، فقط كان يرسل إلينا نقودا وهدايا «رشوة» عن فراقه لنا، وأخيرا في إجازة له بسبب مرض أبيه الذي توفي فيه.. كدت أجن عندما عثرت على وثيقة زواجه.. نعم لقد تزوج.. تزوج من سيدة أخرى، عقد عليها عشية وفاة أبيه.. صورتها وصورته ماثلتان على الوثائق.. تكبره بثلاث سنوات.. هل كان سيقدم على زواج جديد لولا المال الكثير الذي بات في يده.. عثرت على ساعة ذهبية كان يخفيها، حسبتها هدية لي بعد سفرته الأخيرة، وانتظرتها ليالي لكنها كانت لها.. ولها أيضا اشترى ملبوسات يخجل ابنه الأصغر من ارتدائها.. كيف سيواجه ابنه الأكبر وبناته اللائي تزوجن هذا الأمر مع باقي الأهل؟ سيسرق سعادتهم الوليدة كما سرقت تلك السيدة زوجي.. سرقته مني ومن أولادي ومن أحفادي.. بل من أحلامي، ولم تترك لي سوى آلامي ومعاناتي وعذاباتي ودموعي طوال واحد وثلاثين عاما.

هو:

نعم تزوجنا عن حب ومودة.. ونعم لقد عانيت كثيرا في بداية زواجي بها من شظف العيش، وتقلبت في وظائف عدة، وأنجبنا ونحن في شدة من العيش، فلم أجد عملا لفترات طويلة، فوقفت بجانبي.. وأشكر لها ذلك، إلى أن ذهبت إلى بلد خليجي، وعملت ليل نهار كي أستقدمها وأولادي ليعيشوا معي، ومنّ الله علينا فأصبحنا ميسوري الحال، فلم أبخل عليهم بشيء يريدونه، وأعدتهم إلى الوطن لينتقلوا من شقة صغيرة كانت قد آوتنا لسنوات بداية زواجنا إلى أخرى أرحب في منطقة أفضل، ثم قمنا ببناء قصر منيف، ثم جاء حقي أن أسعد بحياتي الباقية بعدما تحملت كثيرا.. تحملت عدم اهتمامها بي، وتفضيلها للأولاد، وإهمالها في حق نفسها وحقي عليها.. نعم ذقت الحرمان، ومن حقي أن أعوض ذلك الحرمان.. تزوجت ممن تكبرني بسنوات، وأحببتها وأحبتني وتعرفت عليها عبر الإنترنت.. ولها أولاد كبار ومتزوجون أيضا.. ولكن أليس من حق مطلقة مثلها أن تعيش وتسعد بقية أيام حياتها، وفي كنف زوج لها؟، ومع ذلك فلن أطلق أم أولادي إلا إذا رغبت هي في ذلك!!

وبعد.. فكل دقيقتين تقريبا يتعارف شخصان عبر الإنترنت.. وأصبحت الفأرة بديلا عن الخاطبة، لتعدل المثل:«دردشة، فموعد، فلقاء، فزواج».. مثل ربما يصدق على زواج عادي بين شاب وفتاة، ولكن الأمر قد ذهب بزيجات استمرت سنوات عديدات، وأسر ممتدة وكانت مستقرة، وبات استقرارها أمرا في مهب الرياح.. رياح العولمة والإنترنت!





التقمص سلاح ذو حدين

د. محمد الفيومي

لا يقف السلوك الإنساني عند الأنماط التي يدرك الفرد دوافعها وبواعثها، بل يتجه إلى طائفة أخرى من العمليات التي تحدث في أغوار النفس البشرية وبالتحديد في النشاط اللاشعوري للفرد، ومن هذه العمليات التي تحدث في أغوار النفس وتظهر آثارها على السلوك الخارجي عملية التقمص، وهي واحدة من الحيل الدفاعية أو «الميكانيزمات» التي تلجأ إليها الذات لوقاية نفسها من الشعور بالقلق والتوتر والاهانات والتحقير.

عملية التقمص يمكن أن تكون ذات آثار سيئة على الشخصية والسلوك الإنساني، إذ انها قد تلغي هوية الفرد ويذوب في بوتقة من يتقمصه فيتخبط في سلوكه تخبطاً أعمى، فتارة تراه يشير بكلتا يديه رافعاً أحد حاجبيه إلى أعلى وتارة أخرى يشير بأكتافه ثم يحني الرأس وهكذا يتسم سلوكه بالعشوائية معتقداً انه يسير في الطريق الصحيح مادام يتقمص الشخصية التي أثارت اعجابه ويكون الأمر أكثر سوءا على السلوك إذا تقمص الفرد شخصية عدوانية ومن ثم يميل سلوكه الى العدوان ويصبح سلوكه مضادا للمجتمع، وربما دفعه ذلك الى هوة الإجرام ويجرفه تيار الجريمة إذا لم يتدارك أمره ويجد من يرده إلى جادة الصواب.

جوانب مشرقة

أما إذا تقمص الفرد شخصية قيادية أو علمية فان ذلك يدفعه إلى أن يسلك طريق العلم والمعرفة حتى يصبح شخصية نافعة تقدم الخير للمجتمع ويمد يد العون والمساعدة للوطن وبذلك يمكن القول إن عملية التقمص قد توجه الى النفع إذا أحسن توجيه الفرد منذ نعومة أظفاره ووجد القدوة الطيبة والمثل الذي يقتدي به أو يتقمصه ففي عملية التقمص يأخذ الفرد صفات بعض الأفراد الذين يثيرون إعجابه وينسبها إلى نفسه ويعتبرها جزءاً لا يتجزأ من كيانه الشخصي ومن صفاته وممتلكاته، وقد يعتقد البعض أن التقمص هو التقليد ولكنهما عمليتان مختلفتان، فالتقليد عملية شعورية لأن الفرد الذي يقوم بتقليد أصوات المطربين وحركات الممثلين يدرك انه يقلدهم في أصواتهم وفي حركاتهم وقد يتخذ الطفل من أحد أبويه مثالا ومن ثم يقلده في ارتداء ملابسه، فالطفل يقلد الشخص أو



التقمص يلعب دوراً مهماً في تكوين هوية الفرد ورسم شخصيته .. والمؤسسات التربوية مطالبة بتوفير القدوة الحسنة

الشخصية التي يحب صاحبها، أما في حالة التقمص فلا يقتصر الفرد على مجرد نسخ صورة من مثال محبب إليه بل يصبح- ان كان في الخيال والوهم أي في اللاشعور - الشخص نفسه الذي يتقمص شخصيته وتذوب الفوارق بينهما ويصبح وإياه شخصا واحداً، يسعد بسعادته ويسر لنجاحه ويحزن لفشله وفي حالة التوافق العاطفي يحدث اتفاق في الميول والاتجاهات والرغبات والعادات والتقاليد فيحب المتقمص ويكره ما يكره صاحبه، أما عن الأشخاص الذين يميل الطفل الى تقمص شخصيتهم فانه يبدأ حياته بالإعجاب ويتقمص شخصيات من داخل دائرة اسرته فيتقمص شخصية الأب أو الأم وبعد ذلك يتسع مجال تقمصه فيتقمص شخصيات بارزة من المجتمع العام، والشخصيات العامة وخير مجال للتقمص الجماعي هو توحد الفرد مع الوطن الذي يجعل حبنا يصل الى درجة الفداء والتضحية بالنفس في سبيل الذود عن حرمة الوطن ضد أي اعتداء عليه.

القدوة الحسنة

ومن ثم ينبغي على مؤسسات التربية الحديثة أن توفر لطلابها المثال الطيب الذي يحتذيه والقدوة الحسنة من بين معلميها ورجالها وذلك لان الوعظ والإرشاد اللفظي لا يجديان نفعاً إذا لم يؤيدهما الواقع الفعلي والعملي ولقد أشار القرآن الكريم الى ضرورة مطابقة القول للواقع في قوله: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾ (الصف:٢-٣).

ذلك لان عملية التقمص أو التوحد تلعب دوراً مهماً في تكوين هوية الفرد ورسم البنية النهائية للشخصية ومن هنا كانت أهمية توفير البيئة المحلية الصالحة للفرد والنماذج الطيبة حتى تجد عملية التقمص غذاء ثريا من بين أعضاء الأسرة ثم المحيطين بالفرد والقائمين على تربيته في المؤسسات التربوية، كما ينبغي أن تكون الخبرات والعناصر الثقافية التي تؤثر في شخصية الفرد متكاملة ومتناسقة ولا تكون متناثرة أو متعارضة أو متناقضة وان تتكامل كل هذه الخبرات فيما بينها حتى لا يكون الفرد جزءاً من أمه وفي وقت آخر جزءاً من أبيه وفي وقت ثالث جزءاً من معلمه، إذ إن عدم تجانس هذه النماذج يمزق الشخصية ويقسمها الى ادوار متباينة ويجعلها تعاني ما يطلق عليه علماء النفس فوضى الدور، فمثل هذا الخلط في الأدوار ان لم يواجه أو يعالج فإنه يؤدي الى اضطرابات خطيرة في الشخصة، وتشبه عملية التوحد أو التقمص عملية اخرى أطلق عليها فرويد عملية الامتصاص، حيث تتكون الذات العليا في الفرد أو الضمير عن طريق اخذ الطفل وامتصاصه للمعايير الخلقية من الأبوين وتنغمس الذات أو تندمج في الآخرين، كما ان لعملية التقمص أهمية كبرى في حقل التعلم، فإذا أردنا أن نتعرف على الطريقة التي يصل بها الإنسان الى القيام بسلوك معين بطريقة منظمة ودائمة وثابتة فلا بد أن نتعرف على عمليات مثل التقمص، تلك العملية التي يأخذ فيها الفرد سلوك شخص آخر وينسبه لنفسه.

أنماط سلوكية

فمن هذا الطريق يتعلم الطفل الأنماط الحضارية والقيم الأخلاقية في السلوك ويلم بأمهات الثقافة التي ينتمي إليها، وهكذا يصبح الطفل كائناً اجتماعياً يتمتع بقبول الآخرين ورضاهم عن سلوكه، وتساعد أيضا عملية التقمص في سهولة امتثال الفرد للقيم والمعايير السائدة في مجتمعه وتساعد الطفل على تحقيق الاشباع اللازم لدوافعه، فعندما يعتنق مبادئ الأب فإنه يأمن شر التمرد والعصيان على السلطة الأسرية، بالاضافة الى أن الفرد عن طريق التقمص تنمو شخصيته ويحدث تعديلا في السلوك مايساعد في عملية التعلم، وتشارك عملية التقمص كذلك في حدوث عملية تكيف الفرد مع ذاته ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يقتصر التقمص على الصغار فحسب، بل إن الكبار يمارسون عملية التقمص ايضا، ومن هنا يتبين أن عملية التقمص يمكن أن يكون لها آثار سلبية وأخرى ايجابية.

فالسلبية تحدث إذا لم يجد الطفل القدوة الطيبة التي يتخذ منها مثلا له، ومن ثم تكون الفرصة متاحة لأن ينحرف الصغير، وخصوصا وسط جماعة من رفاق السوء، إذ يتخلق بأخلاقهم ويعتنق سلوكياتهم غير الأخلاقية، أما الآثار الايجابية لعملية التقمص فهي المساعدة في تنشئة الفرد تنشئة صالحة وعلى التربية أن تراعي توفير المثل الطيب حتى يكتسب الطفل القيم الدينية والأخلاقية.

وأكثر الناس عرضة لتقمص شخصياتهم هم الشخصيات البارزة من القادة والعلماء ورجال الشرطة.

الأبحاث والدراسات أكدت أن هناك ميلا لدى الكثيرين لتقمص شخصيات أرباب السلطة حتى يشبعوا لدى أنفسهم شعورهم بأنهم من أرباب السلطة والجاه.

المراجع

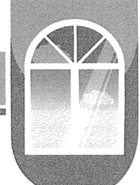
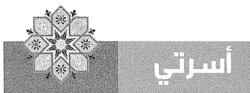
١- حامد زهران- الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب- القاهرة ١٩٨٢ .

١- سعد جلال- المرجع في علم النفس، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٨٤ .

٣- أحمد زكي صالح - علم النفس التربوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥ .

٤- عبدالعزيز القوصي - أسس الصحة النفسية، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٢.

٥- عبدالرحمن عيسوي- العلاج النفسي، دار الفكري الجامعي، اسكندرية ١٩٨٥ .

من النذر الإلهية

هدى الكاشف

خلال العقد الزمني الأخير أطلت علينا بعض الأفكار والسلوكيات الغربية والجديدة على مجتمعاتنا، والتي تخالف تقاليدنا وعاداتنا وما تقتضيه طبائعنا، وتطمئن إليه نفوسنا، وتستريح له ضمائرنا.

لذلك كان طبيعيا ومنطقيا أن يصيبنا ما أصاب غيرنا من الذين لا يتبعون منهجنا أو شريعتنا الإسلامية التي بلغت حد الكمال في التشريع والتطبيق لحاجة كل عصر ومتطلباته.

فلقد حث الإسلام على الترابط الأسري والاجتماعي، والتراحم بين أفراد الأسرة المسلمة، وأعانها على ذلك المولى عز وجل، حينما فرض صيام شهر رمضان من كل عام لتجتمع الأسرة الواحدة على طعام واحد خلال وقتين محددين من كل يوم، وبمشاركة كل الأسر المسلمة، فتتحقق الأخوة الإسلامية، ويظهر التكافل والتعايش، وتفتح أبواب الخير والمودة بينهم.

ولعل من بين الحكم الكثيرة لهذا الشهر اعتياد أفراد الأسرة اجتماعهم- ولو مرة واحدة يوميا- على الطعام طوال العام، ليس كما يحدث الآن لكثير من الأسر، فلا يرى أفرادها بعضهم إلا مصادفة، ولا يجتمعون أيضًا إلا مصادفة أخرى، وتمر بهم الأيام لا يعرف أحد منهم عن الآخر شيئا، مع انتشار سلوك جديد على مجتمعاتنا من طلب الوجبات الجاهزة بما يسمى (دلفري)، فيطلبها كل من أراد الطعام في وقته الخاص به، غير مبالٍ بظروف باقي أفراد الأسرة، فكان ذلك منٍ ضمن الأسباب القوية للتفكك والانعزال والتمزق النفسي لبعض الأسر، وأخيرا الهجوم الشرس للأمراض والأوبئة، فصدق الله العظيم القائل ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم: ٤١).

لذلك يجب علينا أن نقف مع النفس وقفة حساب لنتخلص سريعًا من تلك السلوكات الغربية وعواقبها الوخيمة، حتى لا تنحرف فطرتنا عن المنهج الإلهي وحكمته، فلا نتخبط في الضلالات، ولا تتقاذفنا الأهواء فتغتال قيمنا ومبادئنا السامية، وتستأصل أخلاقيات وآداب أسرنا المسلمة، فيفتقد المسلمون العيش في كنف أسرة مترابطة متحابة، ويتسولون الحب والسعادة تسولا محرمًا خارج جدران بيوتهم، وهم مغيبون وغير مدركين لحكمة الخالق حين قال: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم:٢١)

ولنتعلم من تجارب الأمم السابقة والشعوب حولنا ولنعلم جيدًا، أنه علينا الثبات على شريعتنا وهويتنا حتى لا نتعرض لأزمات اجتماعية يطول علاجها، فنفقد توازننا أمام الأمواج العاتية المتلاحقة للعولمة وتبعاتها، بل حان الوقت لكي ننشر في العالم معالم الحياة الإسلامية، ونذيع ثقافتها في وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، مع التمسك بها دون تفريط أو غض الطرف عن أسسها السليمة المنجية من كل فساد أو أوبئة، والتي هي من النذر الإلهية لخلقه.

كما نتمنى من كل مسؤول كبير أو صغير أن يستشعر أنه مراقب من الله، فيتقيه في خلقه، ويراعي حقهم بكل أمانة وإخلاص، بمتابعة مستمرة مقرونة بعمل دءوب، وإشراف مباشر كل في موقعه، حتى يتم التعامل مع كل فساد أو وباء بفهم سوي، مع تعقب المتربصين والمفسدين المهددين لأمننا واقتصادنا متذكرين قول رسول الله ﷺ «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به».

الطفل وعلاقته الوطيدة بالصور المتحركة

إبراهيم نويري

مما لاريب فيه أن مجال إعلام الطفل، وحاجته إلى الصور المتحركة مجال لا تخفى خطورته على المربين والمراقبين- التعليميين والإعلاميين- وأصحاب المسؤولية والرأي والتوجيه، لصلته المباشرة بتشكيل عقلية الطفل ووجدانه، ومن ثم التأثير في سلوكه وتصرفاته، في نطاق أسرته ومحيطه الاجتماعي والتربوي، ويتضاعف الخطر إذا وضعنا في الحسبان عامل «المستقبل» أي أن الطفل سيكون في المستقبل مسؤولا في الوطن، وصاحب قرار وشأن.

فإذا ما وقفنا على هذه الحقيقة الحساسة الساطعة، فلابد أن تنبثق من الأعماق فريضة التفكير بجد في وضع بديل «مضموني» في هذا المجال، يحل محل أفلام الرسوم المتحركة الغربية تأمينا لأطفالنا - عدة المستقبل - من الغزو الثقافي الحضاري، والاستلاب الإعلامي والفكري الغربي.



وليس هناك من سبيل لتحقيق هذا الهدف إلا ربط الطفل برموز حضارته العربية والإسلامية، وبمضامين القيم في نطاق هذه المنظومة المعرفية والحضارية الإسلامية.. بل بنماذج معينة من هذه المنظومة، حتى يشبّ الطفل في مجتمعاتنا الإسلامية مرتبطا بأرومته الأولى وببني جلدته وأرضه، متمتعا بشخصيته القومية وهُويّته الحضارية.

وفي هذا الصدد يقول المفكر الإسلامي د.رشدي فكار. رحمه الله تعالى: «وأرى أن قضية الطفل حتى عمر الثانية عشرة، ينبغي أن تكون هي تحقيق انتمائه، وأتمنى أن يُمنع منعا باتا إعطاء أطفال هذه الأمة حتى تلك السن، أي انتماء أو نموذج أو قدوة، عدا انتمائه الحضاري كما تفعل ذلك الأمم الأخرى، والدول التي تواجهنا الآن في حلبة الصراع الحضاري».

ثم يضيف قائلاً: «كما أنه ليس من الحكمة أبدا أن نحدّث أطفالنا قبل هذه السن عن سقراط وجان جاك روسو وشكسبير وغوته وسارتر وغاريبالدي ونابليون وغيرهم من رجالات الفكر الغربي والسياسيين الغربيين... فهذا لا يكون إلا بعد أن تنضج كل مدارك الطفل، وتصبح المرجعية الإحالية، أو القيم المرجعية لديه واضحة وثابتة تماما، وبعد أن يفهم قيم رجالاتنا الذين رسّخوا دعائم الإسلام وصنعوا حضارته الباذخة».

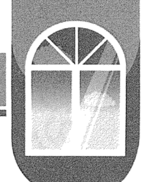
وليس هناك من شك في أن مفكرينا، ورجالات التربية والتوجيه والقادة في العالم العربي والإسلامي يدركون أهمية هذه الرؤية كل الإدراك، بل إن أكثر هؤلاء يعمل جاهدا بإخلاص وتفان من أجل توفير الحصانة الفكرية والتربوية لأطفالنا، وإتاحة المناخ الملائم لبناء شخصياتهم الحضارية المتميزة، وسمتهم الفكري والسلوكي المتفرد.

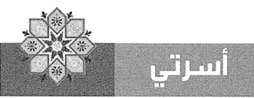
بيد أن الأمر الذي نطمح له جميعا يتمثل في إعداد البدائل المتكاملة، ذات المستوى العلمي والمنهجي العالي والمدروس، في مجالات إعلام الأطفال، وتربية الأطفال، وأدب الأطفال وقراءات الأطفال...الخ.

ولعل نظرة فاحصة في أفلام الرسوم المتحركة المتوافرة لأطفالنا على الصعيد العربي تجعلنا ندرك للوهلة الأولى حقيقة ذلك التقصير في إطار تقديم ذلك الفن، فمن المؤسف أننا لا نزال نعتمد على استيراد الأفلام الكرتونية المقدمة لأطفالنا الواردة إلينا من الدول الغربية. ومن الطبيعي أن تكون هذه الأفلام غربية الهويّة مختلفة الطابع.. بمعنى أنها قد تجسد تلك الجوانب الاجتماعية والأخلاقية لمجتمعات دخيلة على حياتنا وأنساقنا. لذا وجب التعويل من جانبنا على تلك الأفلام النابعة من واقع البيئة العربية الأصيلة.

أما الكتاب والأدباء فينبغي أن يواصلوا أداء واجبهم الشرعي المتمثل في تنبيه المسؤولين وأصحاب القرار، إلى أهمية الميدان الإعلامي ومدى انعكاسات مضامينه على الطفل وسلوكه وفكره، كما ينبغي عليهم أيضا أن يفعّلوا إسهاماتهم في الكتابة للطفل المسلم في شتى المجالات، وتقديم البدائل المناسبة لمنازعه الفطرية، وتوجهاته الحضارية والمعرفية.

وبعد.. فهل ستكون هذه الصرخة ذات صدى مثمر طيّب؟ فقد تعلّمنا من توجيهات الإسلام وتعاليمه الراشدة، أن الكلمة الطيبة لابد أن تينع وتثمر ولو بعد حين. وهل ستكون هذه الكلمة الوجيزة حافزا يجعل المخلصين الواعين من هذه الأمة- وما أكثرهم- يسارعون لإقامة مؤسسات متخصصة في «حضانة» و«حصانة» الطفل المسلم، وإعداد البدائل المنهجية في كل المجالات والميادين، لبنائه بناءً علميا حضاريا، يؤهله لتحديد صورة المستقبل، المنسجم والمتناغم مع مطالب وطنه ومصالح أمته، وخصوصيات شخصيته القومية والحضارية؟ نأمل ذلك، وننصر على الأمل دوما، والله الموفق إلى النفع والخير.





الهدية اليومية

إن أول سورة نزلت من القرآن على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم كانت سورة العلق، وأول كلمة في أول آية منها «اقرأ»، لذا فإن القراءة في الإسلام ضرورة حياتية.

وكان الجيش الإسلامي إذا فتح مدينة تحوَّل الجميع فيه إلى معلمين، وبالتالي محا الإسلام أمية دول العالم في وقت كانت فيه غارقة في الجهل.

سليمان الرومي



ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يبشر كل من طلب القراءة واتجه إليها «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (سنن الترمذي)، أي إن عمله في تحصيل العلم والثقافة كالمجاهد في سبيل الله.

وللقراءة أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، فهي للفرد النافذة التي يطل منها على الفكر الإنساني بمختلف تطلعاته، وهي أداة للثقافات المعاصرة والغابرة، لتعبر به آفاق الوجود الإنساني في ماضيه الحافل بالعبر، وحاضره المليء بالتغير في مجالات الحياة المختلفة، لتعطيه القدرة على التنبؤ بالمستقبل أملا وإشراقا وتطلعا إلى الأفضل.

والقراءة بالنسبة للمجتمع عامل مهم من عوامل التواصل الثقافي الذي يربطه المجتمع، والمجتمع ليؤدي هذا الدور الايجابي في حاجة إلى إنسان يدرك مفاهيم العصر، ويعرف ما عليه من حقوق وما له من واجبات، فالقراءة مهمة جدا في بناء شخصية الإنسان عن طريق تثقيف العقل، واكتساب المعرفة، وتهذيب العواطف والانفعالات.

فمجرد قولنا إننا نحب القراءة ونقدرها لا يجعل ذلك حقيقة، بل يجب أن نثبت ذلك بشكل عملي، فشراؤنا للكتب، وذهابنا إلى المكتبة العامة، وتخصيص وقت للقراءة والتحدث عن الكتب التي نحبها ونستمتع بقراءتها، وإشراك الأطفال في مناقشات حول الكتب، وممارسة بعض النشاطات المتعلقة بالكتب، وغيرها من الممارسات والأعمال، وسائل عملية تثبت لأطفالنا أننا نحب القراءة.

لماذا القراءة لأطفالنا؟

- القراءة لأطفالنا تمنحنا جميعا خبرة مشتركة فيها الكثير من المتعة والسعادة.
- القراءة لأطفالنا تجربة ينمو من خلالها الطفل بفرح وسعادة.
- القراءة لأطفالنا تزيد من حماسهم وحبهم للكتاب المدرسي والقراءة المستقلة.
- القراءة لأطفالنا تمنحهم القدرة على تنمية مهارات القراءة المستقلة.

ماذا نقرأ للأطفال؟

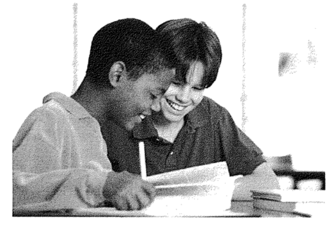
- كل ما يتوافر بين أيدينا من كتب أو قصص أو مجلات مختارة ومناسبة.
- الأناشيد وبعض الأشعار التي نجدها قريبة من مشاعر الأطفال وأفكارهم.
- لمرحلة الطفولة المبكرة، علينا اختيار القصص المصورة المصحوبة برسوم بسيطة واضحة وملونة بألوان مفرحة وجميلة.

مع مراعاة التنويع في القصص والكتب التي نقرأها لأطفالنا، بالإضافة إلى أهمية العودة إلى القصص القديمة، وإحضار قصص وكتب جديدة بين آونة وأخرى، وزيارة معارض الكتب واختيار الكتب المناسبة.

الرياضة والقراءة

- إن الطفل الرياضي يميل أكثر من غيره إلى الابتعاد عن القراءة، لذا علينا أن نفكر فيما يمكن فعله لتحبيب الطفل الرياضي في القراءة، فمثلا يمكننا أن نتبرع باشتراك في مجلة أو مجموعة كتب لفريق الطفل، حتى يجد شيئا يقرأه أثناء انتظاره اللعب، وكذلك نطلب من القائمين على الفريق تشجيع أعضاء الفريق على القراءة، ونوفر كتبا ومجلات عن الرياضة التي يمارسها الطفل، والفريق الذي يشجعه.

وفي الختام نقول: لنعمل معا على تنمية حب الكتاب والقراءة عند أطفالنا، لتكون نشاطا يجمع بين المتعة والفائدة.





همساتي

فجر الكوس

همسة:
افعلي الخير ولا تنتظري الشكر من البشر، بل انتظريه من الله الشاكر والشكور الذي يقبل العمل اليسير ويجزي عليه الثواب العظيم.

همسة:
لا تصحبي الفتاة العاقة والديها، فإن من كانت مع والديها جاحدة ستكون مع غيرهما جاحدة.

همسة:
راقبي تحركات قلبك كي تمسكي زمام ذاتك وتقوديها نحو ما يرضي الله عز وجل.

همسة:
توكلك على الله يثمر
عدم خوفك من المجهول.

همسة:
قولي لي ما همك؟
أقل لك من أنت!

همسة:
لا شيء يرفع الوضيع ويكرم الفقير ويرجح عقل الجاهل مثل صحبة كتاب الله عز وجل.

همسة:
كلما انشغلت بالأمور النافعة عادت عليك بالنفع في دينك ودنياك.

همسة:
استحقار الإنسان لغيره دليل قاطع على عجبه الشديد بنفسه.

همسة:
الغضب سيد الأخلاق الرذيلة فاحذري منه.

همسة:
من استكثر من العلم فقد استكثر من الأدب.

همسة:
تواضعك مع البشر هو السبيل لنيل الرفعة.

هجمة أهل النفاق على الإسلام

د.ربيع خليفة *

لا تزال حلقات الكيد بالمسلمين تتتابع، ومكر المتربصين يتسارع، وقوى الحق والباطل تتصارع ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان:٣١)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام:١١٢).



وتأتي على الأمة الفواجع والزوابع لتظهر دخيلة أهل النفاق والشقاق وسوء طويتهم، وتكشف رداء المدراة، وتمزق ثوب المراوغة، وصدق الله القائل ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ. وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٢٩-٣٠).

ويأتي الهجوم المعلن، والعداء المبطن على الإسلام وعلمائه وأهله وأسسه وثوابته ومناهجه وبلاده من ذوي الفكر المقبوح والتوجه المفضوح، ليؤكد بجلاء أن من بين صفوف الأمة أدعياء أخفياء، كاذبون في الولاء والانتماء، سلكوا مسالك عدائية، وطرحوا في تضاعيف الصحف أفكارا علمانية لا دينية، شمَخ كل واحد منهم بأنف من الجهل طويل، واحتسى من قيح الخبث وقبيح الأباطيل، ونطق بالزور وافترى الأقاويل.

أفكار ضالة مضللة

قومٌ بُهت، دنّسوا وجه ما كتبوا عليه من قرطاس، ولطخوه بعقائد الشك والجحود والوسواس، مقالات شوهاء، وكلمات عرجاء وحماقات خرقاء، تبت يدا من خطها وتب، ما أقبح فعله وما كسب، ألسنة شأنُها الإفك والخطل، وقلوب أفسدها سوء العمل، يريدونها فتنة عمياء، ويبغونها حياة عوجاء، نقد بلا علم، وحوار بلا حلم، ومعالجة بلا فهم، غث فارغ واستخفاف ماكر، أسافل قد علت، لم تعلُ من كرم، وأقزام تطاولت، وأقلام مأجورة تهافتت على الزور وتعاهدت، فكان حقًا على كل مسلم أن يكشف ضلالهم، ويدفع باطلهم.

شرازم قاصرون، وشذاذ أفاكون، جاءوا ببضاعة غريبة اسمها العلمانية، وحقيقتها اللادينية، وهدفها إزاحة الإسلام عن الحياة بالكلية، يدعون أمتهم إلى مذاهب الغرب في الحكم والإدارة، وسلوك مسالكهم في الوضع والتشريع، يعشقون حياة الفجور والفسوق والانحراف، ويبغضون حياة الطهر والعفاف.

ماذا يريدون من المرأة؟

يهاجمون الحجاب والجلباب، ويطالبون بالسفور والاختلاط، وينادون بمساواة الرجل بالمرأة وعمل المرأة وحرية المرأة، فأي مساواة يريدون؟! وأي عمل يقصدون؟ وأي حرية ينشدون؟ أهي المساواة التي تتوافق مع الفطرة وتتناسق مع طبيعة المرأة؟ أم هي مساواة الشذاذ؟

إن المساواة عندهم هي أن تكون المرأة سلعة في يد عباد المادة والمال، مستعبدة في يد الرجل، يستمتع بها ويستذلها ويدنسها ويهين كرامتها وينتهك عرضها وشرفها، ثم يلفظها لفظ النواة، المرأة عندهم عارضة في دور الأزياء، راقصة في دور البغاء، غانية في دور الدعارة والتمثيل، ندٌّ للرجل ومماثلة له ومتصارعة معه ومزاحمة له.. هذه هي المساواة عندهم، ثم هم يريدون أن تكون بيوت المسلمين خربة.

أما المساواة في الإسلام فأرع سمعَك لقول الله عز وجل ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة:٢٢٨)، ولقوله ﷺ «إنما النساء شقائق الرجال» (أخرجه أحمد والترمذي)، فالمرأة شقيقة الرجل، تكمّله ويكمّلها، هو رجلٌ برجولته وقوامَته، وهي امرأة بأنوثتها وعفتها.

المرأة عندهم بغيٌّ من البغايا وأمة من الإماء، والمرأة عندنا أمّ رؤوم وزوجٌ حنون وأختٌ كريمة، طهرٌ وحشمة وعفاف، وحياء وشرف وإباء، مربّية أجيال، وصانعة أبطال، وغارسة فضائل، ومرضعة مكارم، وبانية أمم وأمجاد.

هجمة على الولاء والبراء

وتمتدّ الهجمة الحاقدة من أهل العلمنة والنفاق لتُحارب عقيدة الولاء والبراء التي هي أوثق عُرى الإيمان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

* أستاذ العقيدة في جامعة الأزهر

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «أيّ الإيمان أوثق؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله» (أخرجه الطبراني وله شواهد يقوى بها).

فلماذا يحاربون الولاء والبراء؟ ولمن يريدون أن يكون الولاء والبراء؟ نوالي من؟ ونعادي من؟ نحبُّ مَن؟ ونبغض من؟ إنهم يحاربون الولاء والبراء ليوقعونا في ولاء وبراء آخر، ولاءٌ لمن يحبون، وبراء ممن يكرهون، فلا ولاء حينئذ لمن يحبُّ الله ورسوله، ولا براء ممن يبغضه الله ورسوله، يريدون أن نبرأ من عقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا وتاريخنا وأمجادنا؛ لنوالي عقيدة الكفر والجحود وأخلاقها وقيمها وحياتها.

يلمزون العلماء والصلحاء، ويسخرون ويستهزئون، ويحاربون أهل الحسبة ورجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويلفقون التهمَ ضدَّهم، ويضخِّمون أخطاءهم، وينتهكون أعراضهم، ويكتمون إنجازاتهم، ويسكتون عن حسناتهم، سلمت من ألسنتهم وأقلامهم القنواتُ الفضائية الخليعة والمجلات الهابطة ودور الأفلام والغناء مع أن عدد ضحاياها لا يحصى، وعدد قتلاها لا يستقصى، ولم تسلم منهم كتبُ التوحيد والعقيدة والمواد الشرعيّة، فطالبوا بتقليصها وتقليل نصابها، مع أنه لا يوجد على وجه الأرض مناهج ترعى الحقوق وتحقق الأمن والعدل كما تراه جليًا في مناهجنا المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

من رام هدى في غير الإسلام ضلّ ومن رام إصلاحًا بغير الإسلام زلّ ومن رام عزًا في غير الإسلام ذلّ ومن أراد أمنًا بدون التوحيد ضاع أمنه واختل

المنهزمون في أنفسهم

تخبُّط ظاهر وظلمٌ جائر، وانتكاسة جليّة وحرب عقديّة، يدعون إلى التسامح وهم يسلكون مسالك عدائية، ويطرحون أفكارا تبعث على الإثارة والشحناء، ويكتمون الرأي الآخر ويعادونه ويصادرونه، ويدعون إلى الوسطية بأبشع ما ترى من تطرف وغلو وشذوذ وانحراف وشطط، ينظرون إلى أمتهم بازدراء، وإلى تاريخها باحتقار، وإلى قيمها وأخلاقها بإهانة واستصغار، وذلك يحكي واقع الذلّ والخنوع والانصهار والذوبان الذي يعيشونه مع الغرب، ويريدون أن تعيشه الأمّة مثلهم، يدّعون الصدق والإصلاح والتجديد، ويرمون غيرهم بالرجعية والتعصب والجمود والتطرف والإرهاب ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف:٥). ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة:١٠٧). ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١١-١٢).

أصولهم الخبيثة

لقد زُرعت هذه النّبتة الخبيثة والشّجرة الملعونة في بلاد الإسلام، وامتدّت أغصانها، فماذا كانت النتيجة؟ سوءٌ في الاقتصاد، وتخلّف في التكنولوجيا، وفسادٌ في الإدارة، وانحرافٌ في الإعلام والأجيال، وهزائم متتابعة في ميادين شتى.

هؤلاء هم العلمانيون، وهذه نتائجهم، وتلك ثمارهم، قومٌ مارقون، من جادَل عنهم فقد جادل عن الباطل، ومن أعانهم فقد أعان على هدم الإسلام، فاحذروهم ولا تقعوا في شراكهم وشباكهم، ولا يصدّونكم عن دينكم بشبههم وزخرف قولهم، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: نعم، قلت: هل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: فهل بعد ذلك الخير شر؟ قال: نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يارسول الله، صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» (أخرجه البخاري).

إنّ كلّ من شذ عن دين الله تعالى أو بغى فيه بعناد أو سعى فيه بفساد فهو الشانئ الأبتر والعدو الأصغر والأحقر، أمره إلى وبال وفكره إلى سفال، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨)، ومن سب الله أو سب رسوله ﷺ أو تنقصه أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين، أو استهزأ بالقرآن أو أسقط حرمته فلا يجهل أحدٌ حكم الله فيه، ولا يُرجى منه لأمته خيرٌ ولا صلاح ولا إصلاح.

صلاح الأمة باتباع الكتاب والسنة

إنَّ أيَّ مشروع للإصلاح لا ينبع من عقيدة الأمة وكتاب ربها وسنة نبيها محمد ﷺ وتوجيه أهل العلم والصلاح فيها هو إصلاح موهوم وتغيير مذموم وإفساد معلوم، يقول أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى «إن الله بعث محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد. فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ كان من المفسدين في الأرض».

من رام هدى في غير الإسلام ضلّ، ومن رام إصلاحًا بغير الإسلام زلّ، ومن رام عزّا في غير الإسلام ذلّ، ومن أراد أمنًا بدون التوحيد ضاع أمنه واختل. «نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العزّة في غيره أذلّنا الله».

لن يكون للباطل نماء ولا لأهل الزيغ بقاءٌ ما دُمنا للحق دعاة وللعالم هداة وللخير بناة، ومتى كنّا آمرين بالمعروف صدقًا، ناهين عن المنكر حقًّا فإن الباطل إلى انحدار، وأهله إلى اندثار، والحق إلى ظهور وانتشار ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١).

إن أعداء الإسلام يريدون إبعاد الأمة عن قيمها ومعتقداتها، ولن ينبه الأمة إلا العلماء، فيجب التأكيد على دور العلماء في التصدي للهجمة الشرسة التي تتعرض لها الأمة الإسلامية.

الحرب النفسية في العهد النبوي

عبدالرحمن حمادي *

كانت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة انطلاقة لفن حربي إسلامي بقيادته ﷺ، فقد توالت المعارك والغزوات ضد أعداء الإسلام الذين صاروا يشكلون أكثر من جبهة، إذ ظهرت جبهات قريش واليهود والقبائل العربية المتناثرة في أنحاء شبه الجزيرة العربية، وجبهة الروم.

ومنذ معركة بدر حتى فتح مكة، قاد الرسول ﷺ الجيش الإسلامي على هذه الجبهات كلها محققا للإسلام والمسلمين النصر تلو النصر، بحكمة ومقدرة قيادية مازالت- حتى اليوم- تقدم الدروس العسكرية القيمة.

من هذه الدروس الحرب النفسية التي كانت من أهم الحروب التي خطط لها ونفذها عليه الصلاة والسلام، بل كانت محور عمله العسكري ضد أعدائه، واستطاع من خلال توظيفه للحرب النفسية توظيفا ممتازا أن يحقق النصر في كثير من المواجهات العسكرية التي كانت فيها قوات العدو تبلغ أضعاف قوات المسلمين، كما في غزوة بدر، حيث كان جيش المسلمين يتألف من ٣١٤ مقاتلا فقط، بينما بلغت قوات قريش ١٠٠٠مقاتل، ولكن المسلمين كانوا تحت قيادة حكيمة واعية، وأحد جوانب وعيها توظيف الحرب النفسية توظيفا مثاليا.

إن الحرب النفسية- كما تعرفها العسكرية الحديثة- هي الأعمال التي يقوم بها الخصم ضد الآخر للتأثير فيه، بهدف شل إرادته وتفكيره وقواه المادية والمعنوية. وتعتبر في المناهج العسكرية الحديثة اختصاصا له علمه وفنونه، وتوظف له الإمكانات المادية والتقنية والبشرية، بيد أن الرسول ﷺ سبق هذه المناهج كلها، ورسخ منهجه الذي لخصه بعبارة «نصرت بالرعب»، ويمكن استنتاج بعض الأساليب النفسية التي طبقها الرسول ﷺ في الحرب كما يلي:

إيهام الخصم

وذلك من خلال وضعه أمام تصورات غير واقعية، وخاصة فيما يتعلق بالعتاد والقوات، وإبقائه في حيرة حول الحجم الحقيقي.

وقد نجح هذا الأسلوب نجاحا كبيرا، فكان كثير من الأعداء يفرون قبل أن يلتقي جيشهم مع جيش المسلمين، كما في غزوة بني سليم، ومنهم من كان يطلب الصلح، وأما من كان يقاتل فكان يقاتل مملوءا بالخوف والرعب، كما حدث لقبائل هوازن وثقيف في غزوة حنين.

وبشكل عام.. كان إيهام الخصم يحطمه قبل المعركة التصادمية، والأمثلة كثيرة، فقد خرب بنو النضير منازلهم بأيديهم من الرعب الذي أصابهم، وهرب بنو لحيان عندما تحرك الرسول ﷺ نحوهم بجيشه، وعندما وجه الرسول ﷺ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه على رأس سرية إلى بني سعد ولوا الأدبار قبل وصول السرية، وقال رئيسهم وهو يهرب: «سارت إلينا جموع محمد ولا طاقة لنا به»، وقد ذكر الواقدي أن سرية علي بن أبي طالب لبني سعد كانت مما يقدر بنو سعد على مواجهته، لكن وهمهم هزمهم، فتصوروها «سرايا» بدليل قول رئيسهم ووصفه للسرية بأنها «جموع».

وفي غزوة الحديبية ندب الرسول ﷺ الجيش، وأمر أن توقد النيران الكثيرة؛ ليعلم العدو أن جيش المسلمين قوي.

ومن الأمثلة أمر الرسول ﷺ بتجهيز سرية إلى قبائل غطفان، لكنه لم يأمر بتسييرها رغم تجهيزها، بل أرسل من اختلط بقبائل غطفان ليوهمهم بالقوات الكبيرة التي وجهها الرسول ﷺ إليهم، ثم أمر بتوجه السرية بقيادة بشير بن سعد الأنصاري، وما إن سمع بنو غطفان بذلك حتى فروا، يتقدمهم قائدهم عيينة بن حصن، وقد استوقفه في فراره الحارث بن عوف

* باحث سوري

المري، وكان حليفا له، فأجاب عيينة وهو يهرب: «الطلب.. خلفي أصحاب محمد»، قال الحارث: «تنحيت عن سنن خيل محمد حتى أراهم ولايروني؛ فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل ما أرى أحدا، وما طلبوا إلا الرعب الذي دخله»، والأمثلة كثيرة.

الاستخبارات العسكرية

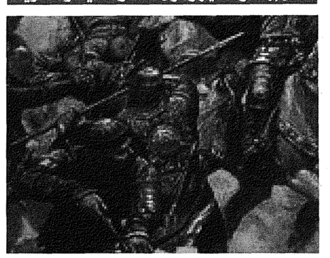
من الأمثلة السابقة وغيرها نستنتج أن الرسول ﷺ أعطى أهمية كبرى للاستخبارات العسكرية، وتكليفها بمهمة شن الحرب النفسية على العدو، فكان يرسل الاستخبارات والعيون إلى العدو فتنشر بينه ما يفت في عضده، ويحطم معنوياته، كإرساله معبد الخزاعي إلى قريش قبل غزوة حمراء الأسد، فتكلم بكثرة عن جيش المسلمين، ووفرة عتاده العسكري، وإصراره على الثأر والانتقام، فأثر ذلك في نفوسهم وانسحبوا.

وفي غزوة الخندق أرسل نعيم بن مسعود؛ فصار ينشر بين الأحزاب ما جعلهم يتفرقون، ثم صار يتحدث بما جعل معنويات الجيش المعادي تنهار، وفي المقابل كان الرسول ﷺ يقوم بإبطال مخابرات العدو، وذلك بتوعية الجماهير، والقبض على الجواسيس، كما في غزوة بني سليم، عندما قبض على الراعي يسار، وفي غزوة خيبر قبض على جاسوس وحقق معه بنفسه.

التلويح بالقوة

وهو مظهر آخر من مظاهر الحرب النفسية، ويعتبر نوعا من القتال غير المباشر هدفه إحباط معنويات العدو، ومنعه

النصرة بالرعب.. منهج رسخه الرسول ﷺ لشل إرادة وتفكير العدو وقوى العدو المادية والمعنوية



من كثير من أعماله العسكرية، وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في الحرب النفسية حيثما قدر أنه بحاجة إليه، وهو ما فعله مثلا في غزوات حمراء الأسد، والخندق، والفتح، إذ أمر بإيقاد النيران الكثيرة موحيا للأعداء بكثرة عدد جيش المسلمين، وفي فتح مكة كانت كل المؤشرات تدل على أن قريشا قد تهيأت لمواجهة جيش المسلمين، والقيام بأعمال مقاومة بعد دخوله مكة، مما يعني إراقة دماء من الطرفين، فقام عليه الصلاة والسلام باستعراض كثرة قواته، ووفرة سلاحه أمام قائد جيشهم، وتوشح بالسيوف مع أصحابه، وطاف بالبيت وهو على راحلته، وأمر الجيش أن يصنع مثله ليظهر قوة الجيش، وأمره بالدخول إلى مكة من جهاتها الأربعة بعد أن وزع المهام القتالية على التشكيلات: مما أدخل في نفوس أهل مكة أنهم غير قادرين على الوقوف أمام هذا الجيش الكبير، أو مقاومته بأي شكل.

توقيت المطاردة

في كثير من المعارك التي خاضها الرسول ﷺ وانتصر فيها كان يترك العدو يهرب كيفما بدت له سبل الهرب، مع أن جيش المسلمين كان قادرا على مطاردة العدو وأسر أو قتل أفراده الهاربين، بينما في معارك أخرى سمح بالمطاردة، وبدراسة تسلسل المعارك والغزوات التي قادها نجد أنه في معظم المعارك الأولى منع المطاردة، مع أن المقاتلين المسلمين كانوا يستطيعون تحقيق نتائج مضمونة من جهة أسر الهاربين أو القضاء عليهم.

ومرة أخرى تتبدى روعة القيادة العسكرية للرسول ﷺ وتوظيفه المتكامل للحرب النفسية، فبعد إلحاق الهزيمة بجيش العدو كان يترك فلوله تلوذ بالفرار على كل الجهات، وهذه الفلول كانت أداة إعلامية قوية لصالح جيش المسلمين: فقد كان أفراد هذه الفلول يصلون منهوكي القوى للقبائل، فتخبر حالتهم عن قوة جيش الرسول ﷺ ويتحدثون هم عما لاقوه على يد جيش المسلمين، وبذلك ينشرون الرعب بين القبائل.

ونذكر- كمثال أيضا- غزوة السويق، إذ لم يسمح الرسول ﷺ بمطاردة جيش أبي سفيان، تاركا إياه يصل إلى قريش في مكة، وبعد أن انتصر الرسول ﷺ على بني محارب وبني ثعلبة لم يقم بمطاردة فلولهم؛ بل ترك هذه الفلول تصل إلى قبائل غطفان حيث شكل منظر أفراد هذه الفلول أداة نفسية حطمت معنويات غطفان.

وبعد.. فقد أعطى الرسول ﷺ للإدارة العسكرية مفهومها، وجعل منها علما مبتكرا، وفي هذا العلم استخدم الحرب النفسية، واعتبرها من أهم أساليب الحرب وتحقيق النصر، مما أتاح له النصر في معاركه الحاسمة بتوفيق الله عز وجل، فكان كما يقول مايكل هارت في كتابه «المائة الأوائل»: «الرجل الوحيد في التاريخ كله، الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي».

المصادر

١- العميد الركن محمد ضاهر وتر، فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول، دار الفكر دمشق ١٩٨٥م.

٢- تاريخ الطبري، تحقيق محمد العافي ويوسف مهمندار، دار التراث بيروت ١٩٨٠م.

٣- أبو حنيفة، كتاب المغازي، مخطوط قيد التحقيق في معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب.

د. محمد الجليند مدير مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في جامعة القاهرة لـ «الوعي الإسلامي»:

الأصولية الإسلامية تنشد الحكمة والصواب من القديم والجديد..

صابر رمضان

الدكتور محمد السيد الجليند رئيس قسم الفلسفة في كلية دار العلوم واحدٌ من أبرز المفكرين في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر وعضو الجمعية الفلسفية المصرية، كرس حياته لمصارعة القوى المعادية للإسلام من الداخل والخارج من خلال لقاءاته وسفرياته وحضوره المؤتمرات التي تناقش قضايا الأمة الإسلامية، ورأى أن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية مؤلم ومحزن، ذلك أن الآخر قد حدد موقفه من الأمة الإسلامية وانكشف للعالم ما كان مستوراً، موضحاً أن كثيراً من المنتسبين إلى العمل الإسلامي قد أساءوا إلى الإسلام أكثر مما أحسنوا، وإن الحرية مرتبطة بالمسؤولية في الإسلام.. ولأن البكاء على الماضي لا فائدة منه، فالمطلوب اليوم من دول ومنظمات العالم الإسلامي أن تقدر حجم المأساة التي يعيشها العالم الإسلامي، وتسعى للخروج من كبوتها حتى تعود كما كانت قوية شامخة، وتوجه بنداء للعقل الغربي لكي يسمح للآخر بأن يتمتع بالحقوق التي ينادي بها لنفسه، من الحرية والديموقراطية والاستقلال فكريا وسياسيا واقتصاديا.. «الوعي الإسلامي» التقت المفكر الإسلامي بمنزله في القاهرة.. وإليكم نص الحوار:



■ بداية.. كيف ترى واقع الأمة الإسلامية في الوقت الراهن؟

-لاشك أن واقع الأمة الإسلامية يمثل نوعاً من التردي والهبوط الذي لم تشهده من قبل، فهو واقع مؤلم ومحزن في الوقت نفسه، ولعل الأسباب التي أدت لهذا الواقع تمتد جذورها في عمق التاريخ إلى ما يقرب من ثلاثة قرون، وأخذت هذه الأسباب تعمل عملها أحياناً فوق سطح التاريخ، وأحياناً بأسلوب تحتي، إلى أن وصل حال الأمة إلى ما هي عليه الآن من تردٍ وتخلف على مستوى الواقع الاجتماعي والعملي والسياسي، ومن أهم الأسباب التاريخية التي عطلت مسيرة الأمة في القرنين الأخيرين موقف الغرب الاستعماري من المنطقة، ذلك الاستعمار العسكري الذي ترتب عليه نهب الثروات واحتلال الأرض واستعمار العقل، وإذا كان هذا يمثل جناحاً للاستعمار فإن الجناح الثاني الأشد خطورة هو زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي ليكون بؤرة لعدم الاستقرار، ويضاف إلى ذلك ما قام به الاستعمار من تغيير في الخريطة الثقافية والتعليمية لكثير من بلاد المنطقة، حيث تغيرت فيها الأولويات وبذرت جذور الصراعات الأيديولوجية بين مثقفي العالم العربي، ونشأ صراع داخلي بين التوجهات الثقافية المختلفة، استنفد عقول الأمة وجهد أبنائها وأعمارهم مما شغلهم عن القضايا الكبرى للأمة، فأتاح ذلك للاستعمار أن يثبت أركانه ويزرع في المنطقة كثيراً من أصحاب العقول والأقلام التي تبنت كثيراً من قضايا الاستعمار، وجعلوا من أنفسهم سماسرة أو وكلاء للترويج لهذا الفكر الاستعماري في عالمنا العربي، ولكن ذلك كله ينبغي ألا يزرع فينا روح اليأس، لأن الأمة قد مرت بما هو أقسى من ذلك، وسرعان ما نفضت الغبار عن وجهها.

■ بعد اتهام الدين الإسلامي بأنه ليس حضاريا.. ما ردكم على هذا الاتهام؟

- إن هذه الفرية ليست جديدة على المشتغلين بالثقافة الإسلامية، فكثيراً ما رددها المستشرقون منذ القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلاديين، بل إن ظاهرة الاستشراق جعلت من هذا الاتهام عنصراً أساسياً للهجوم على الإسلام كشريعة

وعقيدة، وهذا الاتهام يحمل في طياته أمرين يدلان على ظاهرة التعصب والبعد عن الموضوعية في موقف المستشرقين من الإسلام، أما الأمر الأول فهو جهل المستشرقين بحقيقة الإسلام وخصائص حضارته، والعنصر الإنساني الأخلاقي الذي يغلف مفردات هذه الحضارة، والذي يتمثل في هذا التراث الهائل الذي خلفته في شكل مؤلفات مكتوبة أو معمار وفن. ويكفي للتدليل على حضارة هذا الدين وأهمية العنصر الإنساني فيه، ما تشاهده في شوارع المدن الإسلامية من انتشار ظاهرة «الأسبلة» التي كان ينظمها أبناء هذه الحضارة حكاماً كانوا أو محكومين ليشرب منها أبناء السبيل والمارة.. هذه الظاهرة الفريدة في التاريخ الإنساني تعتبر أكبر شاهد على تحضر هذا الدين، أضف إلى ذلك أنواع الوقف التي تميز بها أبناء هذا الدين، من وقف الأموال والعقارات على الفقراء وكبار السن والأرامل وحتى على الكلاب الضالة. هذه ظواهر حضارية لا نجد لها نظيراً في أي حضارة أخرى. أما الأمر الثاني فهو أن جماعة من أصحاب الأقلام في عالمنا العربي تبنوا هذا الاتهام دون علم بمصدره، ومن دون قراءة منهم لواقع هذه الحضارة الإسلامية، ويقيني أن هؤلاء وأولئك لو التزموا بالمنهج العلمي، وفرقوا بين الإسلام كدين (عقيدة وشريعة) وسلوك بعض المسلمين، لأراحوا واستراحوا، حتى لا يجعلوا من واقع المسلمين المعاصر حكماً على الإسلام كمبادئ، ومن المعلوم أن الخطأ في التطبيق لا يعني خطأ المبدأ في ذاته.

■ هموم الأمة الإسلامية متأججة، وتداعى عليها العلمانيون، فهل من سبيل للخروج من كبوتها؟

-لاشك أن انتشار الفكر العلماني قد أثر إلى حد كبير في مسيرة الحركة الثقافية في العالم العربي، وقد ساعد في ذلك ان الفكر العلماني دخل إلى المنطقة متزامناً مع سقوط الخلافة الإسلامية ومع سطوة الاستعمار الإنجليزي على مصر وسائر البلاد العربية، فكان للاستعمار دوره الكبير في تغذية الفكر العلماني، ومهّد لأصحابه الطريق لكي يتبوأوا أماكن قيادية في الوزارات التي تعنى بصياغة العقلية وتربية الوجدان وتوجيه الولاء، ولكن كانت الجبهة الإسلامية تقف أمام هذه المؤسسات وترد أباطيلها، وكان يناصرها في ذلك الشارع العربي، ولعل مؤسسات الإمام محمد عبده ورشيد رضا وجمال الدين الأفغاني قد أبلت في ذلك بلاء حسناً، ولاشك ان هذا قد أحدث شرخاً بين المثقفين في القرن العشرين، فبدلاً من أن يتوجهوا لمحاربة المستعمر صرفوا جهودهم في الصراع الداخلي ونشب كثير من المعارك بين أصحاب هذه الاتجاهات، ولعل القرن العشرين قد شهد كثيراً من هذه المعارك بين محمد عبده ومدرسته وبين نصارى الشام.

■ هل تعتقد أن الإسلام سيواجه أعداءً جدداً في المرحلة المقبلة؟

- إن تاريخ الإسلام عبارة عن سلسلة من المواجهات بينه وبين أعدائه، وهذه إحدى سنن الله في كونه، لأنه يجسد قصة الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر، حتى في داخل البلد الإسلامي نفسه ستجد أن ورثة الأنبياء وحملة العلم في كل عصر يتعرضون لكثير من الأذى والابتلاءات من دعاة الباطل ومن طواغيت كل عصر، ولعل



ظاهرة «الأسبلة» أكبر شاهد على تحضر هذا الدين في التاريخ الإنساني

القرآن الكريم قد أشار إلى قصة هذا الصراع في أكثر من آية، قال تعالى ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت:٢) وقال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ (آل عمران- ١٨٦).

■ «الأصولية» مصطلح يلوح به العلمانيون في وجه المتمسكين بالدين.. ترى هل له أصل في ديننا؟

- الأصولية مصطلح وافد إلينا ضمن المصطلحات الجديدة (علمانية، حداثة، ليبرالية، أصولية) وكان أول ظهورها في الغرب، وكانت تطلق على جماعة من المحافظين الذين يتمسكون بحرفية النصوص ضد الحداثة وتوابعها، وهي ترفض كل جديد لمجرد أنه جديد، وتتمسك بكل قديم لمجرد أنه قديم، وترفض الآخر وتنكفئ على الذات، وتتعصب لرأيها، والأصولية بهذا المفهوم لا أصل لها في الإسلام ولا مكان لها في الفكر الإسلامي، وقد حاول البعض أن ينقل هذا المصطلح- وهو محمل بهذه المفاهيم المرفوضة- وينسبه إلى الإسلام من قبيل التشنيع والتنفير والتخويف منه، والأصولية الإسلامية بريئة تماماً من هذه المفاهيم، رافضة تماماً لها، فالأصولية الإسلامية معناها التمسك بالأصول الإسلامية من الكتاب والسنة، وهي بهذا المعنى لا ترفض الآخر بل تفتح له ذراعيها وقلبها، وهي بهذا المعنى لا ترفض الجديد لأنه جديد، بل تقبل كل نافع ومفيد من كل جديد، وهي بهذا المعنى لا تتمسك بالقديم لأنه قديم، بل تقبل النافع والمفيد منه وتتمسك به وتدعو إليه، ولذلك فهي على النقيض من الأصولية التي ظهرت في الغرب، فالأصولية الإسلامية تنشد الحكمة والصواب من القديم والجديد.

اصطفاء المكان والزمان والإنسان.. ماذا يعني للمسلم؟

د.نبيل فولي *

روى الإمام البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال «كان الله ولم يكن شيء غيره...»، فلقد تفرد الخالق سبحانه دون الموجودات كلها بالكمال والاستغناء من كل وجه، ولا يخلو أحد سواه من وجه من وجوه الحاجة والنقص أو أكثر، وهذا يعني أن كل ما سوى الله تعالى يقف دون مقام الكمال الذاتي، إذ لا يمكنه أن يبلغه أصلاً، سواء تكلمنا عن العرش والكرسي والملائكة والنبيين، أو تكلمنا عن أدنى المخلوقات، أما الكمال النسبي فهو منحة يمنحها الله تعالى بعض خلقه، فإذا كانت الأماكن كلها، أرضيُّها وسماويُّها، متساوية في كونها مخلوقة لله تعالى، وإذا كانت الأزمنة حاضرها وماضيها ومستقبلها كذلك، وإذا كان الناس وبقية الخلق على هذه الشاكلة، فإن الله تعالى شاء أن يمنح بعض البقاع فضيلة تتقدم بها على سواها من البقاع، وبعض الأزمنة منزلة تفوق بها غيرها من الدهور، وبعض الناس درجة يرتفعون بها على أبناء نوعهم، وهكذا.

وليس هذا الذي سبق إلا محض فضل يمتن به الواحد- جل وعلا- من بحر جوده على بعض مخلوقاته كيف يشاء وكما يشاء، يقول تعالى﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٣)، ويضاف إلى هذا فضل عام مشاع في الخلق يعطيه الله جميع خلقه، كإيجاده لهم، وضمانه رزقهم، وإن تفاضلوا في شيء من ذلك كان التفاوت بينهم فيه من باب الابتلاء والاختبار، فيُمتحَن المحروم بالحرمان وذو النعمة بالنعمة، بل ويُمتحَن ذو النعمة بحرمان غيره منها، والمحروم من النعمة بوجودها في يد أخيه وجاره، قال الله تعالى﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

ومن الخلق من جمع الله له هذا الفضل العام، لكنه زاده على أقرانه وأبناء نوعه أو جنسه فضلا آخر خاصا لا يكون إلا في طائفة صغيرة من الخلق، تبقى عطايا الله لهم علامة على رحمته سبحانه، لأن الفضل الخاص الذي يعطاه بعض الخلق يُفتَح به مجال الانتفاع لكل مخلوق مكلف، فالخصوصية هنا في حيازة العطاء، لكن الانتفاع به عام، كما سنرى.

الصمت والتواني عن الالتزام بالدين أكبر أزمة يعاني منها واقعنا الإسلامي المعاصر

ولعل من المهم للمسلم- وفقا لهذه المعاني جملة- أن ينظر في ألوان الاصطفاء الإلهي لبعض الخلق نظرة من يستلهم منها معاني تدفعه إلى العمل، وتفتح أمامه آفاقا واسعة لتطبيق الإسلام ومبادئه الخالدة في دنيا الناس، وتهز أركان السكون والصمت والتواني عن الالتزام العملي بالدين الحنيف، وهي أكبر أزمة يعاني منها واقعنا الإسلامي المعاصر في كل مستوياته.

فماذا يمكننا أن نستلهم من معاني العمل خلال النظر في اصطفاء الله تعالى لبعض المكان وبعض الزمان وبعض الكائنات؟

اصطفاء المكان

من البديهي أن ندرك أن اصطفاء مخلوق ما وفقا للمعنى الإسلامي لا يعني أن الله تعالى رضي عنه وسخط على غيره، فإذا كان الله تعالى قد فضل المدن الثلاث (مكة والمدينة والقدس) ومساجدها الثلاثة (المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى)، وباركها وأشهدها أعظم مشاهد الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده، فقد بقي لغيرها من البقاع فضل عام، إلا أن تقوم بها صفة مؤقتة تحول دون ذلك، وهذا ما نفهمه من قول النبي، ﷺ «وجُعلت لي الأرض مسجدا وطَهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل» (رواه البخاري)، ومن النهي عن الصلاة في بعض الأماكن كالمقبرة، إلا إذا زالت صفتها هذه.

وإذا حل المسلم في إحدى البقاع الفاضلة لزمه- لكي ينتفع بتفضيل الله لها- أن يعرف ما ورد عن فضل العمل الصالح فيها، وأجر العامل في رحابها، وهي معرفة ألزم ما تكون لتشجيع النفس على الإقبال على ربها، والحرص على الظفر بالغنيمة التي ارتبطت بهذه البقعة أو تلك.

والمعرفة لا تكفي وحدها، إذ لابد من عزيمة تبعث صاحبها على العمل، وشعور مرهف بوجود الله يدفع إلى الحرص على صيانة الوقت والعمر من الضياع، وصدَق من قال «المعرفة تثمر الخُلق، والفكر يثمر العزيمة، والمراقبة تثمر عمارة الوقت وحفظ الأيام» (١).

إلا أن استفاضة هذه المعاني وشهرتها في أوساط المسلمين لا ينبغي أن تغطي على مقاصدها، ولا أن تذهب ببهائها وجلالها، والحمد لله أن أكثر المسلمين لم تزل نفوسهم مقبلة على الأماكن المقدسة المباركة إقبال حب وشوق، إلا أن ثمة معاني مهمة ينبغي استصحابها في هذا الصدد.

المعنى الأول أنه لا ينبغي أن يحس بجلال البقاع المقدسة القاصي والداني من سكان المدن الأخرى، وينتفعوا بذلك عملا صالحا وقربى إلى الله، دون أن يكون لأهلها وسكانها نصيب وافر من هذا.

والثاني أنه من الواجب على

* أستاذ الدراسات الإسلامية في باكستان

المسلم إخلاص وجهة العبادة لله تعالى في كل مكان يحل فيه، وفي هذه الأماكن المباركة خاصة، وقد تحدث الشيخ العز بن عبدالسلام عن أصل مهم نقيم عليه هذا المعنى، فقال: «فضّل الله تعالى بعض الأماكن على بعض، وبعض الأزمان على بعض، وليس فضلهما براجع إلى أوصاف قائمة فيهما، إنما فضلهما بما يتفضل به الرب سبحانه فيهما من إحسانه وكثرة ثوابه على الطاعات ومغفرته الزلات» (٢).

ولا يعني هذا الكلام الانتقاصَ من قداسة هذه البقاع، ولكنه الميزان الدقيق الذي يضع الأشياء في مواضعها الصحيحة، لا يزيد ولا ينقص، ورائدنا في هذا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قبّل الحجر الأسود «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبّلك ما قبّلتك» (رواه البخاري).

والثالث أن مغادرة هذه الأماكن لا يعني نهاية العهد بالطاعات والأعمال الصالحة، بل لابد من استصحاب المعاني التي تجعل الصلة القلبية بها لا تنقطع، خاصة أن كثيرا من العبادت التي نؤديها والمناسبات التي تمر بنا ذات صلة وثيقة بهذه الأماكن.

اصطفاء الزمان

وإذا كان المسلم يحتاج في أكثر الحالات إلى السفر والانتقال لكي تعانق عيناه وقلبه الأماكن المباركة، فإنه مع ما اصطفاه الله تعالى من الزمان في غنى عن السفر، حيث يأتيه الزمان المبارك وهو قابع في بيته.. يأتيه من ساعة إلى أخرى، ومن يوم إلى يوم، ومن أسبوع إلى آخر، وكذلك من شهر إلى آخر، فوقت السحر، والوقت بين الأذان والإقامة، ويوم الجمعة، والأيام



الثلاثة البيض من كل شهر، وشهر رمضان، والعشرة الأوَل من ذي الحجة.. هي من الأزمنة الفاضلة التي تُظل جميع الأحياء، ويبلغ فضلها الناسَ قاصيهم ودانيهم وهم في منازلهم وأعمالهم.

والحق أنه كثيرا ما يكون التجديد، تجديدُ الروح والقلب هو الهدف الملحوظ من وراء العبادات المرتبطة بالأزمنة الفاضلة، خاصة تلك التي تأتي مرة في العام، حيث التغلب على الإيقاع الرتيب للحياة، منعا لتسرب الرتابة والخمول إلى عبادة المسلم، وهذا ما يمكن فهمه بيُسر من أحاديث صريحة تناولت عبادات لها علاقة بأزمنة فاضلة ومحددة في الغالب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري)، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حج لله فلم يرفث ولم يَفْسُق رجع كيومَ ولدته أمه» (رواه البخاري).

فإذا كان الملحوظ في الصلاة أنها تديم في الأساس صلة العبد بمولاه، ولا تقطعه عنه بمشاغل الحياة مهما بلغت، فإن الحج والصيام مناسبتان للتجديد، حيث إن مغفرة ما تقدم من ذنب العبد، وكذلك عودته كيوم ولدته أمه، إنما هي إشارة إلى أن العبد قد محيت عنه خطيئاته، وأن هذا ليس مناسبة لاستئناف التقصير من جديد، ولكنه على العكس من ذلك- مناسبة لحفظ الواجبات والحرص على القربات وحفظ القلب من الانتكاس والارتكاس في حمأة الذنوب، ويشبه هذا حال الإنسان إذا أصلح سيارته المعطوبة، فليس استعماله لها ثانية لأجل العودة إلى تخريبها من جديد، ولكنها العزيمة على السير بها على النهج الذي يصونها ويحفظها.

اصطفاء الإنسان

فإذا جاء الحديث عن اصطفاء الإنسان، فكأننا سنتكلم عن ألوان الاصطفاء الإلهي كلها، لأنها جميعًا ذات علاقة وثقى بعمل المكلفين، حتى كأن تفضيل ما هو فاضل من المخلوقات ما هو إلا باب من أبواب ترغيب العباد في الإقبال على الله تعالى، وألا يقنطوا من رحمته أبدًا، إذ ليس في الإسلام فوات لفرصة التوبة ما لم تجن على المرء حماقته، فينتظرَ إلى اللحظة التي لا توبة بعدها.. «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرغِر» (رواه الترمذي)، «إن الله- عز وجل- يبسُط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم).

واصطفاء الله لمن شاء من الناس قد يكون للأنبياء وقد يكون لغيرهم، وشاهد هذا العموم قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣).

وفي كل الأحوال تقوم بالاصطفاء حُجة للعاملين، تتمثل الدين، وتترجمه سلوكا ظاهرا أمام الأعين في واقع الحياة، مما يزيد من ثقة الناس في أن الدين تكليفات واقعية قابلة للوجود في هذا العالم، وليس صورة مثالية وأحلامًا في عالم لا يقبل الوجود فوق هذه الأرض.

وقد يترقى الإنسان المقتدِي، فيرى أنه لا ينبغي أن يقف عند درجة التأسي، بل يحرص على أن يقيم للناس من نفسه قدوة صالحة في العمل قبل القول، تزيد العباد قربًا إلى الله تعالى، خاصة من يقعون في دائرة مسؤوليته من الأولاد والزوجة، أو دائرة احتكاكه اليومي المباشر كالجيران وأصدقاء العمل.

الهوامش

١- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ٢٨، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م (نسخة الموسوعة الشاملة - الإصدار ٣،١٥).

٢- العز بن عبد السلام: الفوائد في اختصار المقاصد ص ١٤٩، الطبعة الأولى، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق ١٤١٦هـ (نسخة الموسوعة الشاملة).

المنهج الإسلامي في معالجة الاختلالات التربوية



د. عبد الملك أحمادي

المراد بالخلل التربوي هو كل ما يتعلق بمظاهر الضعف في الالتزام بالإسلام عقيدة وأحكاما وأخلاقا، سواء على مستوى الفرد أو الأمة وليس ما ينتابهما من ضعف وقتي يمكن تداركه.

فالضعف في الجانب العقدي قد يكون ظاهرا في ضعف علاقة الأمة مع الله عز وجل وضعف توكلها عليه، قال سبحانه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (التغابن: ٣٢)، وقال سبحانه أيضا ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ (محمد: ١٢).

وقد يكون الضعف في جانب الأحكام الشرعية في عدم الالتزام بها كمنهج حياة، ذلك أن الله عز وجل أنزل شرعه ليحكم وليتبع قال سبحانه ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ (الأعراف: ٢)، فكل تقصير في عدم الالتزام بشرع الله، سواء في العبادات أو المعاملات يعتبر خللا تربويا يجب علاجه.

وقد يكون الضعف في الجانب الأخلاقي بممارسات أخلاقية تغضب الخالق سبحانه وتعالى، وما مظاهر الانحلال والتفسخ في المجتمع إلا أثر من آثار الضعف الأخلاقي ينبغي على الأمة علاجه.

وقد قعّد الإسلام ثلاثة أساليب علمية لمعالجة الاختلالات التربوية وهي:

١- الأسلوب الوقائي الاستباقي: ويهدف إلى تحصين الفرد والجماعة والأمة من الوقوع في الاختلالات بغرس أصول الإيمان في العقول والقلوب، ومعانيه ومشاعره في النفوس، وآدابه وأخلاقه في السلوك.

وهذا الأسلوب منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في معظم تشريعاتهما، فالإسلام وقائي في مجال العقيدة، فاطمئنان القلوب ثمرة من ثمرات معرفة الله تعالى وذكره، والقلوب المتصلة بالله الذاكرة له لا تعرف القلق الذي تعيشه المجتمعات غير الاسلامية، والذي أورثها الامراض العصبية المختلفة، ووضعها في طريق الجريمة والانتحار، وصدق الله تعالى حيث قال ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨).

وهو وقائي في مجال العبادة إذ ان الاستقامة والبعد عن الفحشاء والمنكر ثمرة من ثمرات الصلاة والصوم وغيرها، فالوقائية تبدو جلية في قول الله تعالى ﴿إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وفي قوله ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

كما ان الإسلام وقائي في مجال التشريع الجنائي إذ ان الأحكام الجنائية من شأنها تنظيف المجتمع من الموبقات، والحفاظ على المجتمع سليما معافى، إذ لا شك «أن المجتمع الطاهر العفيف سيساعد كثيرا على منع الإجرام وقمع المجرمين، وسيقوي جانب الخير في النفوس ويسد منافذ الشر التي تطل منها النفوس الضعيفة، وفي هذا ضمان أيضا لتقوية النفوس وإعطائها مناعة ضد الإجرام» (١).

وقد كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يستحضر هذا الأسلوب - الاسلوب الوقائي - فقد قال رضي الله عنه «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله، إننا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم، قلت وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن، قلت وما دخنه؟ قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت فهل بعد ذلك الخير من الشر؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها، قلت

صفهم لنا؟ قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» (البخاري).

٢- الأسلوب العلاجي الإصلاحي: ويكون عند ظهور الخلل حيث تكون النفوس اكثر قابلية للتفاعل مع التوجيه التربوي المباشر بعد حدوث الخلل.

وقد يمثل لهذا الاسلوب من السيرة بما حدث في صلح الحديبية من عدم طاعة الصحابة رضوان الله عليهم للرسول ﷺ لما أمرهم بنحر الهدي والحلق، حيث أحصروا عن العمرة، فقد قال لهم ﷺ «قوموا فانحروا» فما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ...» (البخاري).

كما يمثل له بما حدث في غزوة بدر، معركة النصر والفرقان التي كان لها ما لم يكن لغيرها من المعارك والانتصارات، ومنح اصحابها ما لم يمنحه احد من المسلمين (٢).

فقد ظن بعض الصحابة من الشباب ان النصر كان بمهارتهم وشجاعتهم، وبعض الصحابة من الشيوخ انه كان بخطتهم وحكمتهم، فأنزل الله آياته تبين لهم أن النصر من عند الله (٣)، ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (الأنفال: ١٧)، ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ (الأنفال: ١٠).

بهذه الأساليب الثلاثة يكون الإسلام سبق القوانين الوضعية في وضع التشريعات للحفاظ على الأمن العام

أليس هذا أرقى أسلوب (العلاجي الاصلاحي) واقوى انواع التقويم ووضع الضوابط وتقويم النفوس والعقول وتعميرها بالايمان في حالات الظفر ونشوة الانتصار والحفاظ على قيم الاسلام الاصلية حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها.

لهذا فالنقد والمراجعة والتقويم تكليف شرعي لجميع المؤسسات والمجتمعات وقد استفادت الحضارة الغربية من هذا الأسلوب، حتى أصبح من أهم الخصائص التي تتمتع بها أنها تحاول أن تكشف أخطاءها بنفسها وتعالج نفسها بنفسها، وأن صيحات التحذير التي تبين الانحراف وتحذر منه لا تتوقف، وان دراسة الظواهر الاجتماعية والتوجهات الاجتماعية في مراكز البحوث واصدار الدراسات، التي تحاول معالجة الخطأ وتسديد المسيرة مستمرة ودائبة، بل هي اليوم جزء من جسم الأمة حتى إنها في كثير من الأحيان تتمتع بالاستقلالية الكاملة عن جسم مؤسسات المجتمع العاملة، حتى لا تتأثر بأخطائها وتمتلك القدرة على الرؤية من خارج النسق اليومي (٤).

٣- الأسلوب التأديبي في مواجهة الخلل ببعض العقوبات الزجرية، وتتماشى هذه المعالجة مع موقع ومقاصد نظام العقوبات في مجمل النظام الإسلامي الذي لم يشرع إلا لمعالجة الحالة الشاذة في المجتمع اي عند الاصرار على تحدي النظام العام.

والعقوبات في الإسلام جاءت للحفاظ على الأنفس والأموال والاعراض قال سبحانه ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٧٩).

فقد لا تنفع المواعظ والخطب في معالجة بعض الظواهر الاجتماعية لذا شرع لها العقوبات الزجرية للردع والزجر، ولهذا قيل «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» وفي هذا استقرار للمجتمع واشاعة للطمأنينة فيه، وأظهر نموذج في السيرة النبوية للتمثيل لهذا الأسلوب التأديبي ما حدث في غزة تبوك لأولئك الثلاثة المخلفين هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، فبعدما قبل النبي ﷺ من المنافقين علانيتهم في أمر التخلف عن الجهاد ووكل سرائرهم الى الله جاء النفر الثلاثة من المؤمنين، فاختاروا الصدق، فأمر رسول الله ﷺ الصحابة ألا يكلموهم، وجرت ضدهم المقاطعة الشديدة، وتغير لهم الناس حتى تنكرت لهم الأرض وضاقت عليهم بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم وبلغت بهم الشدة انهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من المقاطعة أمروا أن يعتزلوا نساءهم، حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة ثم أنزل الله توبتهم في قوله تعالى ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم. يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (التوبة:١١٨- ١١٩). قال كعب «فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد ان هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ ألا اكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا» (٥).

وبهذه الأساليب الثلاثة لمعالجة الاختلالات التربوية عند الفرد والمجتمع يكون الاسلام قد سبق القوانين الوضعية في وضع هذه الأساليب وتشريعها للحفاظ على الأمن العام.

والملاحظ أن الإسلام قد اهتم بالجانب الوقائي أكثر من أهتمامه بالجانب العلاجي، وهذا ما يجعل المنهج الإسلامي متفردا على سائر المناهج الوضعية.

الهوامش

١- انظر أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص: ٢٧١، عن كتاب التربية الوقائية في الإسلام لفتحي يكن ١٤-٥١.

٢- فقد قال الرسول ﷺ لعمر عن حاطب بن أبي بلتعة: «ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». السيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٧، دار إحياء التراث العربي، ط ٢.

٤- تقديم عمر عبيد حسنة لكتاب الأمة، قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ص٣٢.

٥- سيرة ابن هشام، ٤/١٩٠-١٩١، وانظر الرحيق المختوم، ص: ٤٧٣.

السياسة ورجل الدين

خالد شبيب *

قال تعالى في كتابه العزيز ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ (الأنعام: ٥٧) ومن أحق من علماء الأمة بمعرفة حكم الله تعالى؟

لقد نشرت إحدى الصحف الكويتية المحترمة مقالا لأحد الكتاب المنتسبين للإسلام، يقول فيه بالحرف ما نصه «إيماني الراسخ بأن رجل الدين والمسلم بالذات لا يصلح للسياسة».

أليس غريبا على مسلم أن يكتب مثل هذا المقال؟!

خاصة وأن هذا المقال سيكون شاهدا عليه يوم القيامة، وحسرة وندامة، يقول الشاعر في هذا المضمار:

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

والآن دعونا نبحث في السياسة، لعلنا نجد للعلة دواء، وللحجة تفنيدا. ما السياسة؟

السياسة لغة، على ما جاء في الموسوعة الفقهية، هي القيام على الشيء بما يصلحه ويدبره ويرعاه، وساس الولي الرعية أي أمرهم ونهاهم وتولى قيادتهم.

أما السياسة اصطلاحا فهي إصلاح أمور الرعية وتدبير أمورهم، وهي مأخوذة من سائس الخيل الذي يعرف كيف يدبرها ويرعاها ويعرف خلالها، على ما جاء في مقدمة ابن خلدون في رسالة عبدالحميد الكاتب: «وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها، وإذا كانت شبوبا اتقاها من بين يديها، وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونا قمع برفق هواها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس».

وقد عرفها علماء



* باحث دراسات اسلامية في الكويت

الاجتماع بأنها فن حكم الدول والمجتمعات.

وقد أطلق العلماء على السياسة اسم «الأحكام السلطانية»، ولما كانت السياسة بهذا المعنى أساس الحكم، لذلك سميت أفعال رؤساء الدول وما يتصل بالسلطة «سياسة»، وقيل بأن الإمامة الكبرى- رئاسة الدولة- موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا.

لذلك فإن الفصل بين الشريعة الإسلامية والسياسة هو تقسيم فاسد، لأن الشريعة جاءت عامة مشتملة على كل ما يحتاج إليه العباد من معارفهم وأعمالهم وعلومهم.

أسس الشريعة

١- سيادة الشريعة، ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ (الأعراف: ٢).

٢- العدل، ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠).

٣- الشورى، ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى: ٣٨).

أنواع السياسات

١- السياسة الشرعية في الحكم، وهي الإمامة وتعيين الموظفين.

٢- السياسة الشرعية في المال، ويقصد بها إدارة أموال الخزانة العامة أو بيت المال.

٣- السياسة الشرعية في الولايات، كولاية القضاء وولاية الجند وولاية الصدقات.

٤- السياسة الشرعية في العقوبات، وهي العقوبات المقدرة شرعا كالحدود والقصاص، والعقوبات غير المقدرة وهي التعزير.

علماء الدين الإسلامي هم أجدر الناس بالسياسة

وقد عرف علماء الاجتماع السياسة بأنها فن حكم الدول والمجتمعات، وعلماء الدين الإسلامي في نظرنا هم أجدر الناس بالسياسة، على ما جاء في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٧١).

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى: ٣٨).

وأمام هذه النصوص الواضحة جلاء الشمس في رابعة النهار، هل يستطيع مسلم إنكارها، وتحمل نتيجة ذلك، وخاصة إذا ما علم أن إنكار ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى «كفر»، وإنكار ما جاء في السنة النبوية «زندقة»، وما أظن أن الكاتب يتبرأ من دينه وعقيدته.

وأخشى ما أخشاه على المنكرين أن تصيبهم معرة ما جاء في الآية الكريمة ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا .. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ (الكهف:١٠٣ - ١٠٤).

وما بال هؤلاء لا ينكرون السياسة على متديني اليهود والنصارى؟! وينكرونها على متديني المسلمين؟

ألم يترأس أكبر دولة في العالم رجل مسيحي متدين؟ وكان يقوم بمراسم القداس في البيت الأبيض؟ ألم يقل ذات مرة إن الرب يأمره بكذا وكذا؟.

ألم تتول رأس دبلوماسيته سيدة مسيحية متدينة متخصصة بعلم اللاهوت؟

ألم تسس الحكم في ألمانيا انجيلا ميركل وهي سيدة مسيحية متدينة بنت القسيس ميركل؟

ألم يكن على رأس الدبلوماسية الصهيونية رجل دين يهودي، وهو وزير خارجية الكيان السيد ليبرمان؟

لماذا يعيب هؤلاء على المسلمين المتدينين العمل السياسي؟ أهو حلال على غيرنا، مع العلم أنهم لم يؤمروا (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، وحرام علينا؟! علما بأن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا به. ثم تعال وانظر معي، ألم يكن سيدنا داود، عليه السلام، نبيا وفي الوقت نفسه رجل سياسة؟

ألم يكن سيدنا سليمان، عليه السلام، نبيا وفي الوقت نفسه رجل سياسة؟

ألم يكن سيدنا رسول الله ﷺ نبيا وفي الوقت نفسه رجل سياسة؟

ألم يخلفه، عليه السلام، خلفاء ملأوا الأرض عدلا، بعدما ملئت جورا، وكانوا متدينين ورجال سياسة؟

أما إذا كان تعريف السياسة أنها فن الكذب والمراوغة والخداع، وما دخلت شيئا إلا أفسدته، فإننا نربأ برجالنا المتدينين عن ممارستها، ونقول لمن يمارسونها لكم دينكم ولنا دين.

وأخيرا أقول للذين يحاولون هدم الدين بمعاولهم، إن بقصد وإن بغير قصد، إنكم لن تضروا الدين شيئا لأن الله تكفل بحفظه، ولن تضروا إلا أنفسكم، وأختم بقول الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ماذا فعلت وسائط الاتصال والإعلام الحديثة بقيم الشـ

محمد الفاتح حمدي ◆

أدت وسائط الاتصال والإعلام بالفرد العربي إلى أن يعيش في بيئة جديدة تزخر بمتغيرات جديدة تختلف عما عاشه أجدادنا وآباؤنا في الماضي، سواء في العادات والتقاليد وأنماط المعيشة أو في طرق التربية والحوار وغيرها من السلوكات الجديدة التي جاءت بها هذه الوسائط الحديثة.

والملاحظ لواقعنا يدرك أن هذه التكنولوجيا في تطور سريع جدا، لا تعبأ بانتقاداتنا وتفنيدنا لسلبياتها ومخاطرها، كما أنها لا تقيم وزنا لما هو موجود من قيم وعادات وأنماط وتقاليد وثقافات وطقوس سائدة في المجتمعات الإسلامية والعربية بالخصوص، كما أن الفرد العربي أصبح عبدا لها، خاضعا لكل ما جاءت به من عادات وأنماط جديدة تحت شعار «الانفتاح على الآخر» أو «العصرنة والتقدم»، حيث أصبح الفرد المسلم يعيش في عالم مفتوح بدون رقيب ولا حسيب لما يحدث فيه، معرّضا لكل ما هو صالح وطالح في الوقت نفسه، مما يبث عبر هذه الوسائط الاتصالية والإعلامية الحديثة، مما جعله يعيش حالة من الاغتراب والعزلة داخل مجتمعه وأسرته، حيث أصبح لا يدرك ولا يفرق بين عالمه المعيش والعالم الذي تصوره له هذه الوسائط الإعلامية، مما ولّد لدى الفرد المسلم حالة من الإحباط والقلق والقنوط من واقعه المعيش.

لقد غيرت تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة البيئة التي يعيش فيها أولادنا عن تلك التي عشنا نحن فيها، فإذا كانت هذه الوسائل غيرت من أسلوب حياتنا وانتقالنا ووقت فراغنا وعلاقاتنا مع الأسرة والأصدقاء، فكيف ستكون الأجيال الجديدة التي ستعيش في بيئة من الوسائط المعلوماتية الأكثر تطورا بما لا يقاس بحاضرنا، وماذا سيحدث للخصوصيات والهويات المميزة بالصيغة التي نفكر فيها اليوم؟ (١)

خطر وسائط الاتصال

ينطوي الخوف من عواقب ثورة المعلومات والاتصال الحديثة على تيار عاطفي خفي وقوي يتمسك بثقافة وقيم ومفاهيم أخذت قاعدتها الاجتماعية والمادية والتربوية تتزعزع، وغدا للعيان أنها اليوم مهددة تحت وطأة قوى التكنولوجيا والمعلوماتية التي تلح علينا بالانفتاح بالمعرفة والصورة والصوت، وإذا كنا قد تغيرنا عن آبائنا دون ضجة كالحاصلة اليوم، فهل يمكن أن نتوقع غير ذلك بصدد أولادنا؟ إن الاحتمال الأكبر هو أن التغيير سيحصل عاجلا أو آجلا، وقد دهشنا بالتليفزيون وتخوفنا من آثاره على حياتنا لأول مرة، وتغيرنا رغم النقد والتردد فليس هناك ما يدعونا لاعتقاد غير ذلك بصدد هذه الثورة الاتصالية والإعلامية الحديثة الحاصلة اليوم.

سيعيش أولادنا في بيئة مختلفة تماما، تعج بالحواسيب والشاشات الذهبية والفضية والمعلومات والبث الفضائي المباشر، والشبكات العنكبوتية والهواتف المحمولة وغيرها من الوسائط المختلفة، وسيتغيرون وتتغير قيمهم دون شك، وليس في ذلك ما يدعو للقلق.(٢)

إن الفضائيات الوافدة إلينا عبر الأقمار الصناعية المختلفة والتي تلج إلى بيوتنا دون طلب الإذن منا، سلبت قيم أطفالنا وشبابنا ونحن نتفرج عليها دون أن نحرك ساكنا، بدواعي التحضر والانفتاح على ثقافات الآخرين، ومن دون أن نقوم بتوجيه وإرشاد أطفالنا وشبابنا فيما يختارونه

◆ ماجستير في الإعلام بالجزائر

...باب العربي؟



من أفلام ومسلسلات وأخبار وأفلام كارتونية تناسب مرحلة نموهم وأيضا مراعاة البيئة التي يعيشون فيها، كما أننا أصبحنا غير مهتمين كأولياء أمور بالحوار مع أبنائنا في العديد من القضايا التي أصبحت تشكل هاجسا داخل الأسرة العربية، والتي أصبح الحديث فيها مع الأبناء من الممنوعات، مثل العلاقات الجنسية والزواج، والصداقة والتعارف والحب وتبادل المعلومات، وهذا ما يدفع بالأطفال والشباب خلال مراحل نموهم لمعرفة هذه المسائل إلى اللجوء لوسائط الاتصال والإعلام المختلفة، وذلك من أجل إشباع رغباتهم وحاجاتهم، وخاصة في مرحلة المراهقة التي يميل فيها الشباب إلى محاولة اكتشاف ومعرفة العديد من القضايا المرتبطة بشخصيتهم ومراحل نموهم.

إن القنوات الفضائية وشبكة الانترنت وغيرهما من الوسائط الحديثة الوافدة إلينا قد أثرت على القيم التربوية بتغيير وتبديل مناهج التربية القديمة المحافظة إلى مذاهب ومناهج متحررة جدا تناسب عصر العولمة، وجعلت من الذاتية بديلا عن كل قيم الضمير، وصيغت القيم الاجتماعية بتغليب مبدأ التحرر والحرية والانفتاح غير المدروس. (٣)

تراجع دور المؤسسات الاجتماعية

ولو عدنا إلى عقود سابقة لرأينا أن الأسرة والمدرسة والمسجد، لعبت الدور الأكبر في تكوين مدارك الإنسان وثقافته وتشكيل منظومة القيم التي يتمسك بها وما يفرزه ذلك من عادات وتقاليد في السلوك، أما اليوم فإن هذا الدور انتقل بشكل كبير جدا إلى التلفاز والإنترنت وألعاب الفيديو والكمبيوتر والهواتف المحمولة والإذاعة والسينما، لقد انتقل دور الإسهام في بناء معارف الإنسان وثقافته من وسط بشري ملتزم بقيم محددة إلى وسط «تكنو-اتصالي» لا يقيم وزنا لهذه القيم، بعد الأسرة كان الخروج من المنزل والتفاعل مع المحيط المباشر أساسا للمعرفة والتعلم واكتساب الخبرات وبناء الذات وتنميتها وتطورها، أما اليوم فإن البقاء في المنزل أمام التلفاز وعلى الانترنت يتيح مدى أكبر للمعرفة والتعلم وسعة الإطلاع، لقد باتت خبرات المنزل أوسع من خبرات الشارع أو المدرسة أو المدينة في ضوء ما يتوافد إلينا من مضامين تحملها تكنولوجيا الاتصال الحديثة.

تحت شعار «الانفتاح على الآخر» و«العصرنة والتقدم» أصبح الفرد المسلم يعيش في عالم مفتوح بدون رقيب ولا حسيب

ولأجل حماية قيمنا يجب اتباع الآتي:

- التعليم المكثف للأبناء لكيفية استخدام وسائط الاتصال والمعرفة الحديثة، وعدم ترك مجال الجهل بأي منها.
- إنشاء مؤسسات مجتمع مدني ضاغطة (أسرية، نسائية، شبابية،...إلخ) تحاكم أداء الإعلام المحلي والعربي وموزعي الكابل. (٤)
- تحديد نسبة المواد الأجنبية في وسائلنا الإعلامية، ولا يعني ذلك المقاطعة الكاملة لكل ما هو أجنبي، بل الواجب اختيار المواد المناسبة التي لا تتعارض مع قيمنا ومبادئنا.
- نشر ثقافة النقد والحوار لدى الأسرة من أجل القدرة على محاكمة الأمور وتمحيصها، ورفض التلقي السهل والتسليم السطحي بالأمور للحد من التأثير الضار لمضامين الرسائل الإعلامية السلبية.
- التأكيد على دور الأسرة التربوي، بحيث تعد الأسرة هي الحاضنة الأولى لقيم وثقافة الأفراد والمجتمع.
- التوعية الجنسية السليمة، فيقوم الآباء بتوجيه أبنائهم- خاصة المراهقين والشباب- بالتمسك بالقيم الدينية المستمدة من المبادئ الإسلامية.
- التوعية الاستهلاكية السليمة للأبناء، فالأسرة تساهم بدور فعال في توجيه أبنائها وتربيتهم على أنماط وعادات استهلاكية تتماشى مع الطبيعة العربية والإسلامية التي تدعو أبناءها إلى ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف أو التبذير.(٥)
- إعادة النظر في المناهج التعليمية وتحديثها بصورة مستمرة، بأن تكون قادرة على منح الطالب- خلال مراحل التعليم المتعددة- القدر المناسب من المعارف والقيم التي تؤهله لخوض معترك الحياة العملية بعد ذلك والقيام بدوره في الحياة على أكمل وجه، والاهتمام باللغة العربية.

الهوامش

١- محمد شطاح، التليفزيون والطفل، مجلة المعيار، قسنطينة، جامعة الأمير عبدالقادر، عدد ٧ ديسمبر ٢٠٠٣، ص: ١٩.

٢- انظر، نايف كريم، الأسرة العربية في وجه التحديات و المتغيرات المعاصرة، مؤتمر الأسرة الأول، بيروت، دار ابن الحزم ٢٠٠٣، ص: ١٥٧- ٩٥١.

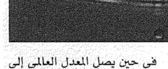
٣- سمير إبراهيم حسن، الثورة المعلوماتية عواقبها وآفاقها، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ١٨، العدد١، ٢٠٠٢، ص: ٧١٢.

٤- المرجع السابق، ص ١١٦: ١١٩بتصرف.

٥- عبدالرشيد عبدالحافظ، مرجع سابق، ص٩٦- ٧٩.

صيحات دولية تحذّر من عواقب ندرة المياه وتلوثها

أحمد أبوزيد *



الحديث عن المياه يعني في معظم الدول الأمن الغذائي، وهو ما يرادف الأمن القومي، ولقد تحولت المياه في ظل تزايد النمو السكاني ومعدلات الاستهلاك والندرة الملحوظة في مصادرها إلى محور من أهم محاور الصراع الدولي في الربع الأخير من القرن الماضي، وزاد الأمر حدة مع مطلع القرن الجديد، حتى إن البعض تنبأ بنشوب حروب بين الدول بسبب المياه خلال القرن الحالي، خاصة في ظل صدور تقارير دولية عديدة للبنك الدولي والمجلس العالمي للمياه تحذر من شح المياه وندرتها، وتبنيها لسياسات جديدة لترشيد استهلاك المياه، والمحافظة على مصادرها المختلفة من التلوث.

ولقد اهتمّت معظم المنظمات الدولية بقضايا ندرة المياه واحتمالات تعرُّض العالم لأزمة مياه في المستقبل، ولذلك عقدت مؤتمرات دولية وإقليمية تحت رعاية هذه المنظمات لتدارس هذه القضية، وحدّدت الأمم المتحدة يوم ٢٢ مارس من كل عام يومًا عالميا للمياه لتلفت أنظار العالم إلى أهمية هذه المشكلة المتوقَّع حدوثها، وبدأت هذه المنظمات الدولية تُدخل قضايا المياه بطريقة جديدة في النظام العالمي، مما أدّى في بعض الأحيان، إن لم يكن في معظمها، إلى زيادة حدة الصراع بين دول الشمال ودول الجنوب.

ولا غرابة في أن تمثل قضية المياه هذه الأهمية الكبيرة على المستوى الدولي، فالماء أساس كل حي، قال تعالى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء: ٣٠)، وقد نشأت الحياة منذ البداية، وستبقى إلى يوم القيامة، مرتبطة بالماء عصب الحياة وأهم مكون من مكوناتها، وارتبط استقرار الإنسان على وجه الأرض وازدهرت حضارته بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمواقع مائية، عرف بعضها بالمسمى المائي مثل حضارة بين النهرين وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد أن تفجر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم- عليه السلام- ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم:٣٧).

ندرة المياه

ولاشك أن تصرفات البشر من سوء استخدام المياه العذبة والإسراف فيها وتلويثها قد تكون سببا لندرة المياه وحدوث الفقر المائي في بعض المناطق، ولذلك فقد أصبحت مشكلة المياه تتصدر أولويات هموم سكان العالم خاصة أن هناك أكثر من بليون من سكان العالم لا يعرفون الماء النقي.

وكلمة الماء هي المرادف لكلمة الحياة، فالماء يعني الزراعة والغذاء والشراب والطاقة، ويصل الأمر إلى أن حجم الأراضي الزراعية يتحدد في كثير من دول العالم ليس فقط بحجم الأراضي القابلة للزراعة ولكن بكميات المياه العذبة المتوافرة.

المياه في المنطقة العربية

وبالنظر إلى المنطقة العربية والإسلامية نجد بعض دولها يعاني من ندرة المياه والشح المائي، وتظهر الدراسات أن البلدان العربية مقبلة على موجة من الفقر المائي الذي يهدد مظاهر الحياة وخطوات التنمية، حيث إن الوطن العربي يقع في الحزام الجاف وشبه الجاف من العالم، وتقل فيه الموارد المائية المتجددة عن ١٪ من المياه المتجددة في العالم، حيث لا يصل نصيب الفرد العربي لأكثر من ١٧٤٤مترا مكعبا من الماء سنويا، في حين يصل المعدل العالمي إلى ١٢٩٠٠متر مكعب، كما أن معدل هطول الأمطار فيه يتراوح بين ٥ – ٤٥٠ ملم سنويا، في حين يصل هذا المعدل في أوروبا إلى ما بين ٢٠٠- ٣٠٠٠ ملم سنويا، وهذا الأمر يكتسب مزيدا من الدلالة والأهمية إذا علمنا أن نحو ٧٩٪ من الأراضي العربية المزروعة تروى بالأمطار، وأن الصحاري في الوطن العربي تحتل مساحة تبلغ ٦٠٠ مليون هكتار، وذلك بنسبة ٤٣٪ من المساحة الإجمالية، يضاف إلى ذلك معدل النمو السكاني الذي يصل إلى ٣٥٪ سنويا، وهذا المعدل من النمو من المقدر أن يتسبب في عجز الموارد المائية بحيث يصل هذا العجز إلى ١٧٦ مليار عام ٢٠٣٥م.

وقد حذرت الأمم المتحدة في السنوات الأخيرة من خطورة الموقف المائي في الشرق الأوسط، وأن المنطقة تعاني نقصا خطيرا في المياه خلال السنوات القادمة. كما صدر تقرير عن البنك

* كاتب وصحافي مصري

الدولي حول أزمة المياه جاء فيه: أن ٨٠٪ من أمراض مواطني العالم الثالث منشؤها المياه الملوثة، وإن عشرة ملايين شخص يموتون سنويا بالأسباب نفسها، وإن هناك مليار شخص في الدول النامية يعانون من نقص مياه الشرب.

وأوضح التقرير نفسه أن ٨٠ دولة في العالم، تضم ٤٠٪ من سكانه، مهددة بنقص المياه، وأن القرن الجديد، الذي هلّ علينا منذ تسع سنوات، سيشهد تفاقم الأزمة وتأثيرها على الزراعة والصناعة والصحة العامة، ويتوقع البنك الدولي في تقريره أن أزمة المياه ستؤدي إلى صدامات وصراعات تشمل نصف البشرية.

وتعتبر المنطقة العربية من أكثر المناطق تأثرا بمشكلة المياه بسبب عدم وجود استراتيجية عامة كافية للمياه تتعامل مع هذا النقص الحاد، وحسب دراسة أعدها البنك الدولي لا يوجد في المنطقة العربية سوى ١٪ فقط من إجمالي المياه المتوافرة في العالم، والأخطر من ذلك- كما تشير الدراسة- أن الدول العربية تستهلك أكثر من ١٠٠٪ من مصادر مياهها المتجددة، ورغم ذلك فإن هناك ٦٠ مليون شخص من مواطني العالم العربي لا تتوافر لديهم مياه صحية.

ولا تقتصر مشكلة المياه في الوطن العربي على الندرة، وإنما تمتد إلى نوعية المياه التي تتدنى وتتحول إلى مياه غير صالحة للاستخدام لأسباب متعددة، وتسري مشكلة المياه على كل المصادر المائية في الوطن العربي، فالأنهار العربية الكبرى مثل النيل والفرات تنبع من دول غير عربية وتجري وتصب في بلدان عربية مما يجعل لدول المنبع ميزة استراتيجية في مواجهة البلدان العربية، كما يتطلب الاستغلال الأمثل للمياه الجوفية ومياه الأمطار استثمارات ضخمة لإقامة التجهيزات والمشروعات اللازمة لهذا الاستغلال.

ترشيد استهلاك المياه

وفيما يتعلق باستهلاك المياه نجد أن الإسلام كان له السبق في إقرار مبادئ ترشيد الاستهلاك لكل ما في يد الإنسان من نعم وثروات، باعتبار أن الإسراف والتبذير من أهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله- سبحانه- للحياة والأحياء في هذا الكون.

وقد أقام الإسلام منهجه في هذا الصدد على الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان، وأقام بناءه كله على الوسطية والتوازن والقصد.

فالإسراف يعتبر سببا من أسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها، مما يؤدي إلى إهلاك الحرث والنسل، وتدمير البيئة.

وقد نهى القرآن الكريم عن الإسراف في أكثر من موضع، فقال تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١).

وقال تعالى ﴿كلوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأنعام: ١٤١).

ولأهمية الماء وضرورته للحياة وقفت الشريعة الإسلامية ضد الإسراف في استهلاكه، سواء في أغراض الشرب أو الزراعة أو الصناعة، أو حتى في أمور العبادات، ومن التعاليم والآداب الإسلامية التي وردت في هذا الشأن ما يلي:

١- دعا الإسلام إلى المحافظة على الماء وعدم الإسراف في استهلاكه، فقال الرسول ﷺ «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة» (رواه النسائي وابن ماجة).

٢- نهى رسول الله ﷺ عن الإسراف في استعمال الماء حتى ولو كان من أجل الوضوء، فقد روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال «ما هذا الإسراف؟» فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال «نعم، وإن كنت على نهر جار» (أخرجه ابن ماجة في سننه)، وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يتوضأ بالمُدّ ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد».

والإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية، كأن يزيد في الغسل على الثلاث، وقد اتفق العلماء على أن الزيادة في غسل الأعضاء للوضوء على الثلاث مكروه، وأنه إسراف في استعمال الماء.



المراجع

١- محمد عبدالقادر الفقي- البيئة.. مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٩.

٢- د.علي محمد علي عبد الله- التلوث البيئي والهندسة الوراثية- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٩٩٩.

٣- مجدي شندي- المياه الصراع القادم في الشرق الأوسط- كتاب أكتوبر- دار المعارف- القاهرة ١٩٩٢.

٤- عبدالله عمر خياط- مشكلة المياه التي يشهدها العالم- المجلة العربية- العدد ٢٧٤- ذو القعدة ١٤٢٠هـ.

٥- محمود عبدالوهاب فايد- الإسلام والصحة- دار القلم والكتاب- الرياض ١٩٩٣.

٦- ابن القيم- زاد المعاد.

٧- علي راضي أبوزريق- الإنسان والبيئة.

٨- د.احمد فؤاد باشا- التشريعات الإسلامية لحماية البيئة- مجلة الأزهر- شوال ١٤١٧هـ- فبراير ١٩٩٧م.

المسلمون في تشيلي والذوبان في المجتمع

عبده مصطفى دسوقي *

الإسلام لا يزال غريبا رغم كونه الديانة الثانية في العالم، وغربته بسبب ما يحمله بين طياته من منهج أفزع الملحدين، وأرق أصحاب الديانات الأخرى، مما اضطرهم للاستنفار للتصدي لهذا الدين، ولذا أصبح المسلمون في هذا الزمان كالأيتام على موائد اللئام كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» (سنن أبي داود).

لكن إذا عاد المسلمون إلى دينهم وتمسكوا بشريعة ربهم تحقق فيهم وعد الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

فهذه هي الرسالة التي وجد من أجلها المسلمون، وهي إصلاح وتعمير الأرض ونشر شريعة الله وسط الكون، غير أن كثيرا من المسلمين وجدوا في بلاد هم فيها أقلية، وبسبب ضعفهم اضطهدوا من حكومات تلك البلاد، بل من أصحاب الديانات الأخرى.

إن اختلاف أوضاع الأقليات من بلد إلى آخر لا يمكن النظر إليه بمنظار واحد، فبعضها قد نال كثيرا من حقوقه، وبعضها مازال يعمل لتأكيدها في المجتمعات التي تعيش فيها، وبعضها تهدد وجودها عمليات الاستئصال والتطهير العرقي، كما لا يخفى أن هناك تزايدا وتفاقما في العقبات والمخاطر التي تواجه الدعوة الإسلامية في كل مكان، خاصة خارج العالم الإسلامي، سواء كانت بين أهل تلك البلاد أنفسهم، أو بين أبناء المسلمين من الجاليات التي تتعايش مع تلك المجتمعات.

ومما لا ينكره كل ذي لب أن الدعوة الإسلامية خارج العالم الإسلامي هي في الغالب حصيلة جهود فردية ومن المستطاع ضربها من حكومات تلك البلاد، كما هو الحال في تشيلي.



الدلائل الأثرية الموجودة في متاحف أمريكا اللاتينية تكشف أن المسلمين هم من اكتشفوا الأمريكتين قبل كولومبس

الإسلام في تشيلي

ارتبط ظهور الإسلام في هذا البلد بالعرب المهاجرين، فبعد ضعف الدولة العثمانية، بالإضافة إلى الاستعمار الفرنسي والبريطاني لمعظم دول العالم العربي والإسلامي، هاجر عرب مسلمون ونصارى، خاصة من سورية وفلسطين ولبنان، تجاه دول أميركا اللاتينية ومنها تشيلي بحثا عن لقمة الخبز وحياة أفضل مستقرة آمنة.

ومن خلال هذه الهجرات تشكلت نواة الأقلية المسلمة، حيث انطلق المهاجرون في دروب تشيلي وأزقتها وأسواقها كباعة متجولين، وبين عشية وضحاها حققوا تفوقا في مجالي التجارة والفلاحة، وبدأت هذه الهجرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وبالتحديد عام ١٨٥٦م، وازدادت في القرن العشرين، كما اعتنق الدين الإسلامي في بداية الثمانينيات الكثير من الهنود التشيليين.

ولكن هؤلاء المهاجرين المسلمين الذين قدموا إلى أميركا اللاتينية عقب الحربين العالميتين وجدوا صعوبة في الانخراط في المجتمع اللاتيني ما لم يتحولوا إلى المسيحية، ولقد كانت البيئة التي انخرطوا فيها بيئة قاسية غير متسامحة ضيقت عليهم الخناق فزعزعت إيمانهم بجذورهم الإسلامية وجرفتهم في تيارها، فرفضوا أصولهم الإسلامية.

وعلى الرغم من الصعوبات البالغة التي واجهها المسلمون الأوائل، غير كونهم أرقاء أو غرباء مهاجرين، فإن السنوات الأخيرة شهدت تقدما ملحوظا في الدعوة الإسلامية تتمثل في زيادة أعداد المسلمين.

وعدد المسلمين من أهل البلاد ٢١٩٦ مسلما، بالإضافة إلى ما بين ٣-٤ آلاف مسلم من العرب المهاجرين الذي يبلغ تعدادهم ١٥٠ألف عربي أغلبهم من المسيحيين.

وتكشف الدلائل الأثرية الموجودة الآن في كثير من متاحف دول أميركا اللاتينية، ومنها شيلي، أن المسلمين هم الذين اكتشفوا قارة أميركا قبل أن يكتشفها «كولومبس»، وذلك

* باحث مصري في التاريخ

عندما أبحر ثمانية من المسلمين من لشبونة في القرن العاشر الميلادي، محاولين اكتشاف ما وراء «بحر الظلمات»، وهو الاسم الذي كان يطلقه المسلمون على المحيط الأطلسي إلى أن نزلوا في أميركا الجنوبية.

يذكر كتاب «العرب في أميركا» أنه في سنة ١٥٣٩م اكتشف «فراماركوس دي نايز» المناطق المعروفة اليوم باسم «نيومكسيكو» و«أريزونا»، وكان مرشده في ذلك بحار مسلم مغربي اسمه «أسطفان»، وقتل على يد أحد الهنود الحمر سكان أميركا الأصليين، الذين لم يكونوا قد رأوا أي رجل أبيض من قبل.

وتشير دراسات أخرى أن عددا من البحارة المسلمين من بقايا الممالك الأندلسية كانوا من أفراد البعثة الاستكشافية التي قادها كولومبس نحو الأميركتين في عام ١٤٩٢م، نظرا لتفوقهم في علوم الفلك والملاحة وصناعة السفن، إضافة إلى أن نسبة كبيرة من العبيد الأفارقة الذين أتى بهم إلى أميركا اللاتينية من شمال إفريقيا وشرقها كانوا من المسلمين.

وكشف الباحث والمؤرخ السوري د.شوقي أبوخليل في كتاب له بعنوان «دمشق ٩٣ للهجرة.. الشمس في ضحاها» الصادر عن دار الفكر بدمشق أن العرب في العهد الأموي الأندلسي اكتشفوا القارة الأميركية قبل كولومبس بثلاثة قرون على الأقل، ويستشهد بما ذكره المستشرق الروسي كراتشكوفسكي عن «مغامرة الفتية المخاطرين» والتي انطلقت في القرن التاسع الميلادي، أي في عهد حكم الأمراء الأمويين في قرطبة.

وفي عام ١٩٥٢م نشرت صحف البرازيل تصريحا للدكتور جفرز أستاذ العلوم الأثرية الاجتماعية في جامعة وايتوترستراند في جمهورية إفريقيا الجنوبية جاء فيه وفق «ارابيان بيزنس»: إن كتب التاريخ تخطئ حينما تنسب اكتشاف أميركا إلى كريستوف كولومبس، ذلك لأن العرب في الواقع هم الذين اكتشفوها، وبذلك دخل الإسلام هذه البلاد، واستمر فيها حتى ازداد بعدد الهجرات من الدول العربية إلى أميركا اللاتينية أثناء الاستعمار.



الحفاظ على الهوية

تعاني الأقلية المسلمة من الذوبان شبه الكامل في المجتمع الشيلي، وأحوالهم الاقتصادية متوسطة إذا ما قورنوا بالأقليات الأخرى، خاصة اليهودية التي تسيطر على جل المؤسسات البنكية وقطاع المحاماة والإعلام.

ومع أن المسلمين في تشيلي أسسوا جمعية إسلامية إبان الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م إلا أن هذه الجمعية تقلص نشاطها وتضاءل حتى إنه أصبح عديم الذكر بسبب ضعف إمكانات الأقلية المسلمة في شيلي على كل المستويات.

ويوجد في تشيلي الآن مسجدان أحدهما في العاصمة سنتياجو والآخر في مدينة إكيكي بشمال تشيلي، وقام ببنائه مجموعة من المسلمين من شبه القارة الهندية، وافتتح للصلاة عام ١٩٩٧م، كما أعطى ملك المغرب محمد السادس في عام ٢٠٠٤ أثناء زيارته لتشيلي أمرا ببناء مركز ثقافي ومسجد في التشيلي على نفقته الخاصة، وتعيش أغلب الجالية المسلمة في العاصمة سنتياجو ومدينة إكيكي، ومدن متفرقة أخرى.

وفي ظل قلة المساجد تواجه الجالية المسلمة في تشيلي تحديات خطر الذوبان في المجتمع، حيث تطالعنا بعض الصحف الصادرة لديهم بأسماء لأشخاص يجمعون بين الإسلام والنصرانية، فمثلا نجد (جون عبد الله- ومايكل محمد... وهكذا) وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على الهوة السحيقة بين أبناء الجيل الجديد وآبائهم ممن كانوا على دين الإسلام.

وهناك أسباب كثيرة أدت إلى بعد الأبناء عن الإسلام وجهلهم به، أهمها ضعف الإمكانات الدعوية، فكما ذكرنا من أنه لا يوجد سوى ٣ مساجد جامعة، وهي تمثل في نفس الوقت مراكز إسلامية، و٧ مصليات صغيرة تخدم كل مسلمي شيلي، ويحلم الكثير من المسلمين في هذا البلد بزيادة عدد المساجد لتربط بينهم وتعمق هويتهم.

ومن الصعوبات التي تواجه الأقلية المسلمة في تشيلي :

١- الضعف الشديد في التواصل بين المسلمين من جهة والعالم الإسلامي من جهة أخرى.

٢- لا تتلقى المراكز الإسلامية المنتشرة في أميركا اللاتينية أي دعم مادي من الخارج، ويكتفي معظمها بموارده الذاتية الداخلية المحدودة.

٣- التقصير من جانب المسلمين أنفسهم في عرض الإسلام، وإهمال المنظمات الدولية الإسلامية للأقليات المسلمة في أميركا الجنوبية.

٤- قلة عدد المساجد وانحسارها.

٥- كثرة زواج الشباب بغير المسلمات أو بالمسلمات اسما، وهذا يؤثر في مستوى التزام الشباب أنفسهم بالإسلام وأبنائهم بعد ذلك، ويزداد الأمر سوءا عندما ينفصل الزوجان وتتولى الأم حضانة أبنائها فتنشئهم بعيدا عن تعاليم الإسلام كما يحدث في جل الدول الغربية.

٦- جهل كثير من المسلمين بتعاليم الإسلام الأساسية، وكذلك قلة الاهتمام باللغة العربية.

وبذلك يحتاج المسلمون في شتى بقاع الأرض لمن يعرفهم دينهم حتى يستطيعوا أن يحافظوا على هويتهم الإسلامية من الذوبان في المجتمعات الغربية.

المصادر

١- العرب في أميركا.. صراع الغربة والاندماج: مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٢- الوطن العربي وأميركا اللاتينية: مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م



الشيخ مساعد العازمي

(١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)

هـو الشـيـخ مـسـاعـد بـن عـبـدالله البريكي العازمي، ولد في بادية الكويت سنة ١٢٦٢هـ، الموافق ١٨٤٥م تقريبا.

نشأته

عاش أكثر طفولته في البادية، فتعلم الرجولة والاعتماد على النفس والصبر على الأذى، وهي صفات تصبغها بيئة البادية على أهلها، ثم جاء إلى الكويت بصحبة أهله، وسكن أهله في «فريج» العوازم، قرب «دروازة العبدالرزاق».

طلبه العلم وتعلمه

أ- طلبه مبادئ العلم الأولى في الكويت:

بعد قدومه إلى الكويت من البادية مع أهله، أخذ يتعلم مبادئ الكتابة والقراءة والحساب وما تيسر حفظه وقراءته من كتاب الله على المدرسين الموجودين، على قلتهم في الكويت، والعلوم المتاحة لمن في مثل سنه، وهي العلوم الأولية المذكورة آنفا، وتعتبر هذه العلوم مفتاحا لمعرفة الدين والدنيا.

ب- طلبه العلم في مصر وذهابه إليها:

عندما بلغ العشرين عاما، رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، وذلك عام ١٢٨٢هـ - الموافق ١٨٦٥م، وبدأت رحلته هذه بصورة مثيرة، فقد استأجر جملا ورافق أحد الدراويش الهنود الذين كثيرا ما كانوا يمرون بالكويت وهم في طريقهم إلى الحج.

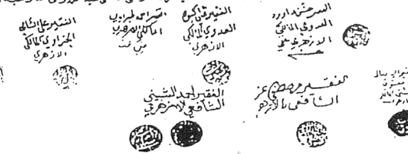
ولما في الحج من منافع كثيرة للناس، فقد هيأ الله له مجموعة من طلبة العلم الأزهريين ممن وفدوا إلى مكة لأداء الفريضة، فتعرف عليهم وسمع منهم الكثير عن الأزهر الشريف فتشوق إلى طلب العلم في هذا المركز العظيم، فرحل إلى مصر بعد أدائه مناسك الحج وأقام بها زمنا طويلا، ملتحقا بالأزهر الشريف حتى نال شهادة علمية في شوال من عام ١٢٩٨هـ، الموافق ١٨٨٠م تقريبا.

شيوخه في مصر

استقر الشيخ في مصر سنة ١٢٨٢هـ - الموافق ١٨٦٥م - أو بعدها بسنة - فسكن في أحد أروقة الأزهر، وفيه درس الفقه، والأصول، وعلوم اللغة العربية، على شيوخ أفاضل حتى منح الشهادة الازهرية وعليها إمضاء شيوخه الذين نذكر منهم الشيخ داود العدوى المالكي الأزهري، والشيخ أحمد الجيزاوي المالكي، والشيخ علي الشامي الجيزاوي المالكي الأزهري، والشيخ علي كبوة العدوى المالكي، والشيخ محمد النجدي الشرقاوي الشافعي، والشيخ أحمد الرفاعي المالكي الأزهري، والشيخ مصطفى عز الشافعي، والشيخ محمد المعتوق المالكي، والشيخ أحمد الشبيني الشافعي الأزهري.

اتصل الشيخ في أثناء اقامته بمصر بشيخ الأزهر الذي نصحه بتعلم طريقة التلقيح ضد مرض الجدري، فتعلمه من أحد الأطباء الموجودين في القاهرة، وسبب اختياره هذه المهنة يعود لسهولة تعلمها بأقل التكاليف، ولكونها مصدرا مضمونا للرزق، ولحاجة منطقة الخليج العربي الشديدة لمثل هذا العمل، نظرا لانتشار وباء مرض الجدري وتهديده سكان منطقة الخليج كل عام.

ويرى الشيخ عبدالله النوري أن



بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه [illegible]

[illegible]

هناك دوافع أخرى وراء تعلم الشيخ مساعد هذه الصنعة، وهي موت والده بسبب هذا المرض الوبائي.

ولقد سافر الشيخ مساعد من مصر إلى الهند لشراء بعض العقاقير والمواد اللازمة للتلقيح، ثم عاد من الهند فمر باليمن، وأقام بها عاما كاملا، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا أين نزل في اليمن، وهل التقى بأحد من العلماء أم لا، خصوصا أن اليمن كانت تزخر بالعلم والعلماء.

ثم غادر اليمن متوجها إلى الكويت فمر ببلدة رأس الخيمة، وهناك أخذ يشرح للناس فائدة التلقيح ضد مرض الجدري ويحذرهم من خطورة هذا المرض، ولجهل أهل هذه المنطقة بمثل تلك الأمور الطبية ظنوه من المشعوذين وانصرفوا عنه، فلما سمع به أمير رأس الخيمة ظنه من المشعوذين أو الدجالين الذين يغررون بالناس ويأخذون أموالهم بالدجل، ولما عرف أنه من العلماء حبب إليه المقام في بلده ليفيد الناس ويستفيد، وأقام برأس الخيمة سنوات تزوج خلالها

صورة من إجازة علماء الأزهر للشيخ محمد سعيد بن عبد الله المعروف بالشيخ مساعد العازمي، وذلك سنة ١٢٩٨هـ.

الشيخ يمتاز بأخلاق إسلامية فاضلة وكان جريئا في قول الحق لا يهاب أحدا ويمتثل أمر رسول الله

من إحدى نساء رأس الخيمة، وأنجب منها أول مولودة له.

ج- طلبه العلم في الأحساء

ذهب من رأس الخيمة إلى الأحساء على جمل وهبه له أميرها، وفي الأحساء أخذ يتلقى العلم على علمائها، ولا يخفى أن الأحساء كانت مليئة بالعلم والعلماء والأدباء، فهي مدينة العلم ومركز الأدب.

قدومه الكويت

وصل الشيخ إلى الكويت في سنة ١٣١٥هـ - الموافق ١٩٠٧م قادما من الأحساء التي كانت نهاية الرحلة الطويلة.

وأقام مدة في الكويت ثم سافر إلى البحرين ولا نعلم عن أهداف هذه الرحلة شيئا، وهل كانت رحلة علمية أم تجارية.

ثم عاد من البحرين وبقي في الكويت حتى سنة ١٣٤٧هـ - الموافق ١٩٢٧م، وغادرها إلى البحرين وظل فيها إلى أن توفي سنة ١٣٨٢هـ- الموافق ١٩٦٢م.

أعماله

تلقيحه أهل الكويت ضد الجدري:

لما وصل الشيخ إلى الكويت فتح له عيادة في منزله الواقع في «فريج العوازم» لتلقيح الناس، فأقبل عليه الناس بأولادهم لتلقيحهم ضد مرض الجدري الشائع في الكويت في تلك الأيام، ولقد ذاع صيته وعمت شهرته أنحاء الكويت فنفع الله به الكويت بهذا العمل الجليل الذي تعلمه في مصر.

تلاميذه

لم يهتم الشيخ بنشر العلم الذي حصل عليه في ترحاله الطويل، واعتبر الشيخ عبدالله النوري ذلك منه تقصيرا، ولهذا لم نجد له تلاميذ إلا ما كان من الشيخ يوسف بن حمود وابنه عبدالله الذي وصفه الشيخ النوري بأنه كان عالما بالشريعة الإسلامية فقيها باللغة العربية، حافظا لكثير من الشعر العربي.

شخصيته وأخلاقه

يمتاز الشيخ بأخلاق إسلامية فاضلة، وعلى ندرة المعلومات عنه استطعنا أن نلم ببعض جوانب شخصيته، فمن الصفات المهمة التي كان يتحلى بها أنه كان جريئا في قول الحق لا يهاب أحدا.

ومن صفات شخصيته امتثاله لأمر رسول الله ﷺ، وهذا يتمثل في الحادثة التالية أن الشيخ وجد بعد رجوعه من السفر أن أحد أبنائه رَفَعَ سطح منزله بحيث أصبح أعلى من سطح جاره، فما كان منه إلا أن أمر بهدم السطح حتى لا ينطبق عليه حديث التطاول في البنيان.

وقد كان يحب الأطفال ويعنى بهم ويكره بكاءهم، فإذا أتته امرأة بطفلها لعلاجه أو تلقيحه أخذه منها وأجلسه في حجره وأعطاه شيئا من الحلوى لتلهيه، وبسرعة خاطفة وضع الدواء له (الطعم) ثم استرضاه ثم سلمه لأمه.

وهناك صفات أخرى كان الشيخ يتحلى بها، منها أنه كان حاضر النكتة، يضحك منها غيره ولا يضحك، وكان يحفظ كثيرا من الشعر ويستشهد دائما بما يحفظ منه، وكان إذا أتى بالشاهد من الشعر أنشده بصوت غنائي يلذ للسامع إيقاعه ومعناه.

صفاته الخلقية

كان، رحمه الله، رَبعة من الرجال، أقرب إلى القصر، أسمر اللون، سريع المشية، حتى بعد شيخوخته وحمله العصا.

وفاته

توفي الشيخ مساعد- رحمه الله- بعد أن أوى إلى فراشه في ليلة من الليالي في قرية اختارها له وطنا يقال لها «عسكر» في دولة البحرين، وذلك في عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.



الجامع الأموي.. درة دمشق

إعداد: التحرير

تبارى الواصفون والشعراء في ذكر محاسن المسجد الأموي بدمشق، فهو من أشهر جوامع الإسلام حسنًا وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه. يقول ابن بدران- في منادمة الأطلال- عنه: هو أعظم جوامع دمشق وللناس فيه قصائد وأقوال يضيق عنها الحصر. ويقول عنه ياقوت- في معجم البلدان- في مبالغة ظاهرة: لو أن الإنسان عاش ألف سنة، وجعل يتردد كل يوم من أيامه إلى الجامع الأموي، لكان يرى في اليوم ما لا يراه في أمسه.

ويقول الشاعر الإسلامي محمود غنيم في الجامع الأموي:

وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها

عمن بناه لعل الصخر ينعاه

ولقد توالت الدراسات والأبحاث عن الجامع الأموي في تأريخه ووصف بنائه وجماله وزخارفه وفنونه، منذ العصور الأولى بعد بنائه إلى أن جمع ذلك الحافظ ابن عساكر في تاريخه، وعنه تناقل الكثيرون تلك الأخبار وأضافوا إليها مشاهداتهم والتغييرات التي حدثت فيه من وصف للحلقات العلمية والتاريخية، كما تحدثوا عن مشاهير العلماء الذين درّسوا فيه أو خطبوا أو أمّوا أو عملوا، وتحدثوا أيضا عن أهم الأحداث التي أصابت الجامع من حرائق أو زلازل، ثم التجديدات الكثيرة التي نشأت فيه، وتتضمن كذلك وصفًا مفصلا لبنائه، وتعود أهمية هذه النصوص إلى أنها من وصف علماء معاصرين لتلك المرحلة.

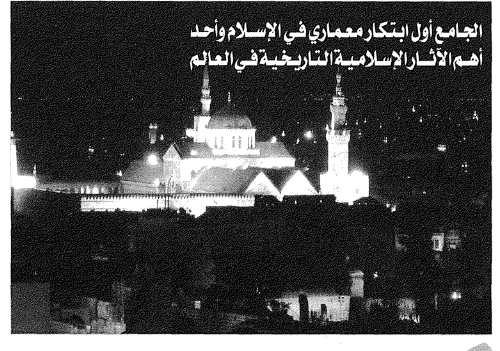
وهذه النصوص تكشف الحقائق التاريخية لبناء الجامع الأموي بعد حريقه، وتظهر المهارة الفنية والهندسية لمهندسي وفناني وعمال دمشق في تلك الفترة، كما تبين مدى التعاون الشامل في تنفيذ هذا العمل الكبير وكيف تمكن القائمون عليه من إعادته إلى ما كان عليه قبل الحريق، وربما فاق في حسنه وإتقانه وزخرفته وإبداعه عن ذي قبل.

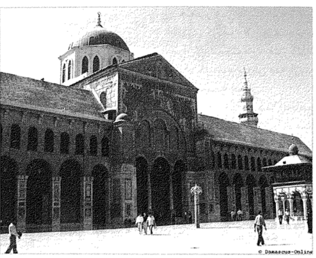
فدمشق الشام تلك المدينة العظيمة في التاريخ والحاضر، والتي جمعت ما لم تجمع مثله مدينة في الدنيا.. ميراث ضخم من الماضي جعلها أقدم المدن المسكونة في الأرض بلا خلاف، فقد تجمّع فيها ما تفرّق في مدن الأرض من الجمال، فالجنان غوطتها والأنهار في ربوتها والبساتين التي يضل فيها النظر سكران من الفتون، والجبال من حولها إلى تلكم الأماكن الجميلة الهادئة النشطة التي يتخلل خرير مياه أنهارها المتدفقة من سهل الزبداني ووادي بردى، وكانت هذه الأنهار تغذي أحياء وجوامع ومشافي ومدارس وحمامات دمشق.

جامع بني أمية (الجامع الأموي)

ويقال له الجامع المعمور وجامع دمشق، هو أهم معالم مدينة دمشق وأشهرها دينيا وفنيا وأثريا، وهو أول ابتكار معماري في الإسلام، بل أحد أهم الآثار الإسلامية التاريخية في العالم.. ناهيك عن أنه يقع في قلب أقدم مدينة في التاريخ.

وتعد زيارة الجامع الأموي بدمشق غاية ما يصبو إليه زائر هذه المدينة، وقبلة ما تهفو إليه نفسه، وتجيش به مشاعره، فصيت هذا الجامع ملأ الدنيا منذ أن شيده الخليفة الأموي


الجامع أول ابتكار معماري في الإسلام وأحد أهم الآثار الإسلامية التاريخية في العالم





الوليد بن عبدالملك في أوج عصر دمشق الذهبي، يوم كانت الدولة الأموية لا تغيب عنها الشمس، ولهذا لا تكتمل زيارة مدينة دمشق دون زيارة للجامع الأموي.

قال عنه أحد المؤرخين الأوروبيين المعاصرين:

«إنه لم يكن فقط أعظم آبدة قامت في أرض الإسلام حتى ذلك الوقت، بل إنه أحد ابتكارات فن البناء العالمي في كل الأزمان وفي كل البلاد».

فكان بناؤه تحفة فنية فريدة تمثل أبدع ما انتهت إليه عبقرية الفن العربي الإسلامي.

ولقد رأى الخلفاء الأمويون بناء مسجد يليق بعظمة حاضرتهم دمشق، فشيد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك بناء الجامع سنة ٧٠٥م، وجاء الجامع الأموي يليق فعلا بعظمة دمشق عاصمة الدولة الأموية الكبرى، وكان نموذجًا بديعًا لفن بناء المساجد الإسلامية تتجلى فيه روعة الفن، وتزينه بقايا فسيفساء، وثلاث مآذن، وثلاثة أبواب أعظمها باب جيرون، وأمام الباب الغربي «باب البريد» بقايا هيكل جوبيتير، وهي أعمدة محتفظة بتيجانها حتى الآن، وكانت قد حولت إلى بازيليكا في العهد البيزنطي.

والواقع أن بناء الجامع الأموي الكبير بدمشق يُعدُّ تحفةً فنية نادرة في فن العمارة الشرقية الإسلامية وزخارفها، وفي الجامع الأموي قبر النبي «يحيى» وفيه المحراب الكبير، ويعد كلاهما آية في فن الزخرفة الشرقية وهو معلم ديني وأثر من أهم الآثار الموجودة في مدينة دمشق الشام.

أبواب الجامع الأموي الداخلية

١- باب البرادة: أو باب السنجق أو الصنجق، باب البرادة هي التسمية القديمة للبوابة الرئيسية المنفذة من صحن الجامع إلى حرمه، أما السنجق أو الصنجق فهي الأحدث، وتنسب إلى الراية التي تحمل مع المحمل عند أداء فريضة الحج.

٢- باب مقصورة الخطابة: الباب المؤدي إلى مقصورة الخطابة داخل الحرم.

٣- باب الخطابة: انظر باب مقصورة الخطابة.

٤- باب السر «باب الخضراء»: ذكره ابن قاضي شهبة ولم يحدد موقعه، ويعتقد بأنه الباب المفضي إلى قصر الخضراء والذي يدخل منه الخلفاء الأمويون من وإلى الجامع دون أن يراهم أحد.

٥- باب الخضراء: انظر باب السر.

٦- واكتشف في الجدار الجنوبي للجامع الأموي باب من العهد البيزنطي كان مختفيا خلف النسق الشمالي لسوق القباقبية، وتعلوه كتابات كنسيّة يونانية تعود إلى أيام كنيسة يوحنا المعمدان، وقد أزيل هذا النسق في بداية الثمانينيات من القرن الماضي لحماية الجامع من الحريق، ولكشف جداره الأثري كما مر معنا في بحث أبواب الجامع الخارجية.

صحن الجامع

لقد ظهر الجامع الأموي بانطلاقة جديدة في الفن والعمارة الإسلامية، ولقد كان الجامع في هندسته مرآة للعصر الأموي بكل ما فيه من عناصر القوة والازدهار والتقدم، فقد وضع الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية مبادئهما الأولى فيه، يقول عنه العالم الفرنسي «سوفاجيه»: وروعة زخارفه، قرابة ثلاثة قرون ونصف، كان خلالها مثار إعجاب ودهشة كل من زاره وشاهد معالمه. وتذكر كتب التاريخ أن الخليفة العباسي المأمون زاره برفقة المعتصم، ويحيى بن أكثم، فقال لهما:

- ما أعجب ما في هذا المسجد؟

- قال المعتصم: ذهبه وبقاؤه، فإنا نجعله في قصورنا فلا تمضي عليه عشرون سنة حتى يتغير.

- قال المأمون: ما ذاك الذي أعجبني منه.

- قال يحيى: تأليف رخامه، فإني رأيت شيئا ما رأيت مثله.

- قال المأمون: ما ذاك الذي أعجبني منه؟

- قالا: وما الذي أعجبك؟

- قال: بنيانه على غير مثال متقدم.

وفي عام (٤٣٢ هـ) زاره أحد المؤرخين فقال عنه: إنه بكر الدهر ونادرة الوقت، وإن أمية أبقت به ذكرًا لا ينقطع.



القباب

وفي الصحن ثلاث قباب، أولاها: القبة الغربية (قبة المال)، أنشأها الفضل بن صالح بن علي العباسي (ابن عم المنصور) لما كان أمير دمشق سنة ١٧١ أيام المهدي، ويظهر أنها كانت مغلقة، والناس يتوهمون أن فيها مالا، ولم أجد خبرًا لفتحها إلا ما كان سنة ٩٢٢هـ. إذ فتحها «سيباي» فلم يجد فيها إلا أوراقًا ومصاحف بالخط الكوفي، وقد فتحت في سنة ١٣٠٦ فوجدت فيها مصاحف ومخطوطات نقلت إلى اسطنبول.

قبة الخزنة: وهي ما تعرف بقبة المال، أو بيت المال، وتقع في الجزء الغربي من الصحن ويعود إنشاؤها إلى عام «١٧١هـ» في عهد الخليفة العباسي المهدي، وبانيها هو الأمير فضل بن صالح بن علي وهي عبارة عن هيكل مثمن الشكل مغطى بالفسيفساء، يقوم على ثمانية أعمدة ذات تيجان من النمط الكرونثي، تقوم على تلك الأعمدة قبة رصاصية، ويبلغ ارتفاع القبة عن أرض الصحن ٢٠ متراً وقطرها نحو ٦ أمتار.

ثانيتهما: القبة الشرقية، بنيت كذلك أيام المهدي سنة ١٦٠ وتعرف بقبة زين العابدين، وكانت تسمى قبة يزيد، وتسمى الآن قبة الساعات إذ كانت فيها ساعات المسجد.

والثالثة: القبة التي على بركة الماء، وقد كانت من الرخام، وأقيمت سنة ٣٦٩.

الأروقة والفسيفساء

ومن الروائع التي ينفرد بها المسجد الأموي الكبير هو الذهب والعقود، وبه الفسيفساء الزجاجي المغطى بالرقائق الذهبية والفضية الشفافة، والتي مازالت أقسام منه في الدهليز الغربي ونهاية الدهليز الشرقي وواجهة المجاز المطلة على صحن المسجد وبعض تحف موزعة في داخل الحرم فوق الباب الشمالي.

وقد أكدت الدراسات الأثرية وعمليات المسح والتنقيب أن أكثر من اثني عشر ألف عامل قد اشتغلوا مدة سبعة عشر عاما في الأموي، وبلغت ساحة لوحات الفسيفساء ثلاثين ألف متر مربع، كما بلغت زينة الفسيفساء ثلاثمائة طن، ويكاد يجمع الباحثون في تاريخ الأموي الكبير بدمشق وجمالاته أن أعمال الفسيفساء هي تحفة وأرفع ما فيه من إبداع في كل العصور وفي جميع أصقاع الدنيا.

ولقد أمكن من تعداد تسعة وثلاثين لونا مختلفا بين مكعبات الفسيفساء، بما فيها ثلاث عشرة درجة من ظلال ودرجات اللون الأخضر وحده، وأربع درجات من اللون الأزرق والذهبي، وثلاث درجات من اللون الفضي.

وكانت لوحات الفسيفساء تغطي مصلى الجامع ودهاليز صحنه وواجهاته المطلة على الصحن وأرضياته، وكان يعلوها ألواح الرخام التي لا تزيد عن قامتين، وينهض نطاق الفسيفساء حتى يبلغ أربعة عشر مترًا.

المآذن

بنى الوليد المنارة التي يقال لها «العروس» وجعل عدة من المصابيح توقد عليها في كل ليلة، ورتب لها ثلاث نوب، كل نوبة أربعون مؤذنا، وهي باقية إلى يومنا هذا، وأما «الغربية» و«الشرقية» فهما على ما كانتا عليه من غير أدوار ودرابزين، وهما من بناء اليونان كالصوامع لضرب النواقيس والرصد، وقال بعض المؤرخين إن الشرقية احترقت في سنة أربعين وسبعمائة فنقضت وجددت من أموال النصارى لكونهم اتهموا بحرقها، وأقر بعضهم بذلك، فقامت على أحسن الأشكال، وقال بعض العلماء في المنارة الشرقية البيضاء أنها التي ينزل عليها بن مريم عليه السلام في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان، والله أعلم.

ويقال إنه كان في الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة، فهدمهما الوليد، وجعل من بعض آلتهما قبتان على أعمدة في صحن الجامع، وجُعل فيهما خلوتان من فوق الأعمدة، وأودع بهما كتب أوقاف هذا الجامع ومصاريفه، ويقفل عليهما بالأقفال الحديدية المانعة.

مركز العلم والتعليم

والمسجد أيضا مقر لأهل العلم يدرسون فيه ويدرسون، وفيه اعتكف الغزالي وكتب بعض كتبه وقام بالتدريس، ويقول ابن جبير: وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم، كل يوم إثر صلاة الصبح لقراءة سبع من القرآن دائما، ومثله إثر صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية، يقرأون فيها سورة الكوثر إلى الخاتمة، ويحضر في هذا المجتمع الكوثري كل من لا يجيد حفظ القرآن، وللمجتمعين على ذلك إجراء كل يوم يعيش منه أزيد من خمسمائة إنسان.

وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم، فلا تخلو القراءة منه صباحًا ولا مساء، وفيه حلقات التدريس للطلبة، وللمدرسين فيها إجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي، يجتمع فيها طلبة المغاربة، ولهم إجراء معلوم.

ومرافق هذا الجامع المكرم للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة، وأغرب ما يحدث به أن سارية من سواريه، هي بين المقصورتين القديمة والحديثة، لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس، أبصرنا بها فقيها من أهل اشبيلية يعرف بالمرادي، وعند فراغ المجتمع السبعي من القراءة صباحا يستند كل إنسان منهم إلى سارية ويجلس أمامه صبي يلقنه القرآن.

وقبة النسر في جامع بني امية في دمشق الشام درّس تحتها جملة من العلماء الأفاضل، وجم من الأعيان الأماثل قبل صيرورة درسها وظيفة رسمية مرتبا من الدولة بأجرة عملية، وأبرزهم العلامة محمد الميداني، والشيخ نجم الدين الغزي، والشيخ البطنيني، والعلامة العجلوني، والعلامة الداغستاني، والمحدث الكزبري.

المصادر
١- الجامع الأموي درة دمشق إعداد وترتيب: حسن زكي الصواف
٢- قبة النسر: العلامة عبدالرازق البيطار تحقيق محمد بن ناصر العجمي

في احتفالية اتحاد كتاب مصر عن «القدس وثقافة المقاومة»

بدر محمد بدر

أوصى المشاركون في احتفالية «القدس وثقافة المقاومة» بضرورة إحياء ثقافة المقاومة باعتبارها قاعدة الانطلاق لجميع الجهود الرامية إلى تخليص القدس مما تتعرض له من عدوان غاشم على المستويات العسكرية والسياسية والثقافية، كما وجهوا الدعوة لجميع الكتاب والمبدعين العرب في مختلف المجالات الأدبية والفنية للعمل على إبقاء قضية القدس حية في الضمير العربي والإنساني، من خلال الحرص على أن تظل موضوعاً لكتاباتهم، ومادة خصبة لأعمالهم الفنية.

وأكد المشاركون في الاحتفالية التي أقامها اتحاد كتاب مصر على مدى ثلاثة أيام في الفترة من ٨ إلى ١٠ من سبتمبر الماضي في قلعة صلاح الدين بالقاهرة، وحضرها لفيف من الأدباء والشعراء والكتاب من السودان وفلسطين والكويت وسورية ولبنان والأردن وليبيا والإمارات والبحرين والجزائر، على ضرورة إيقاف جميع أعمال الاستيطان والتهويد في القدس وفي فلسطين عامة، والحفاظ على الطابع العربي لجميع الأراضي العربية المحتلة.

كما أوصى المؤتمر الذي يعقد بالتعاون مع الحملة الأهلية للاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية بضرورة توحيد الجهود العربية لنشر الوعي بما يحدث الآن في القدس، عبر الكتابة وعبر وسائل الإعلام، وبيان أن القدس مدينة عربية تحت الاحتلال، وأن كل ما يجري بها من انتهاكات مخالف للقانون الدولي ولقرارات المنظمات الدولية في هذا الشأن.

واقترح الكتاب والأدباء والشعراء عمل مشروع علمي ضخم يشمل ببليوجرافيا للأعمال الأدبية العربية والمترجمة التي تناولت مدينة القدس، وناشدوا المؤسسات الحكومية والأهلية ذات الخبرة بهذا الموضوع أن تشارك بالجهد العلمي والمالي لتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي.

ودعا المجتمعون في توصيتهم إلى إنشاء جوائز للأعمال الأدبية والفنية التي تتخذ موضوعها من قضية القدس المصيرية، وذلك أسوة بجائزة القدس السنوية التي يمنحها الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، كما طالبوا بإقامة مهرجان ثقافي وأدبي عربي عن القدس، يقام سنويا في واحدة من العواصم العربية والإسلامية.

القدس هي الرمز

بدأت الاحتفالية بكلمة محمد سلماوي رئيس اتحاد كتاب مصر قال فيها: إن القدس هي الرمز القوي للمقاومة، كما أن الثقافة هي المعقل الأخير للمقاومة، وأكد د. أسامة الأشقر رئيس المكتب التنفيذي للحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩ على ضرورة استنفار الأمة لتخليص مدينة القدس من الاحتلال، وحماية تراثها الحضاري والثقافي والديني.

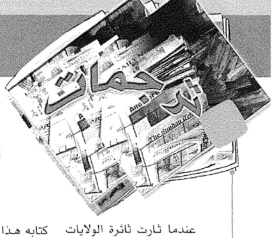
ويرى الباحث الفلسطيني المتوكل طه، في بحثه «مقاومة المكان المقدس: آليات التطبيع ونقيضه»، أن القدس الآن وباختصار مدينة تمزق وتخترق وتمحى وتهود وتغير وتبدل بوصة بوصة، وجدارا جدارا، ويعمل المحتل على محاصرة أهلها بالضرائب والألاعيب والتهديد بالطرد والتوقيف وعدم منح الأوراق الثبوتية وباقي أوراق المواطنة والبقاء، التي تكتسب أهمية كبرى للصمود اليومي واحتمال الحياة في القدس، ولا يكتفي المحتل بذلك فهو يسهل كل أنواع الجريمة والانفلات والانحلال والتفكك الأسري والأخلاقي.

أسوار الحصار

ويضيف الباحث أن المحتل استطاع أن يطرد أو يسهل طرد المؤسسات الفلسطينية ذات الصبغة السيادية أو الشبيهة بها، كما أغلق ويغلق كل المؤسسات الفلسطينية والعربية والأجنبية التي تعمل في مجال الثقافة أو الفن أو التربية والتعليم داخل مدينة القدس، واستطاع أن يسور المدينة المقدسة بعدد من الأسوار التي لم تشهدها مدينة في التاريخ من قبل، فهناك أسوار من الأسمنت، ومن الأسلاك الشائكة والمستوطنين والشوارع الالتفافية، والأهم من كل ذلك هناك أسوار من الصياغات الدبلوماسية والتواطؤ الدولي والدعم القريب والبعيد، تسمح للمحتل أن يستفرد بالقدس.

وينبه إلى أن التطبيع هو أسوأ من الاستسلام، وأن التكيف أو التعايش مع المحتل يعني عمليا العيش مع الحق والإرادة المنقوصة، ويترجم هذا المضمار من أنواع التطبيع في الاتفاقات السياسية العرجاء والمشوهة التي تنقص من الحقوق والثوابت ضد مصالح الشعوب، وأسوأ أنواع هذا التطبيع ما يحاك في الظلام من اتفاقات وتكتلات سرية، يكون المحتل هو مركزها والمستفيد الوحيد منها.





المستقبل السياسي للإسلام



د. محمود مسعود

عندما ثارت ثائرة الولايات المتحدة الأميركية ضد التيار الإسلامي بحجة أنه يساند الإرهاب، وحاولت ربط الإسلام نفسه بالعنف، كانت هناك كتابات أميركية تدعو للتروي والتفكير والتدبر حتى لا تنتج هذه الثورة ردود أفعال تؤدي إلى تغيير مفهوم السلم والأمن العالمي. وهذا ما أدركته أميركا بتغير نظامها السياسي، ثم بتحسين صورتها حين غيرت خطابها كما اتضح ذلك من خطاب باراك أوباما للعالم الإسلامي، لهذا نقدم في مقالنا هذا قراءة لكتاب حمل الدعوة المبكرة للأميركيين للتروي ومحاولة فهم ظاهرة الإسلام السياسي، وهذا الكتاب عنوانه: المستقبل السياسي للإسلام (The Future Of Political Islam) لجراهام فولر Graham E. Fuller ومؤلف الكتاب ذو خبرة واسعة بالعالم الإسلامي، حيث عاش أربعة عشر عاما في خمس دول إسلامية، وقام بزيارات متكررة ولفترات طويلة لمعظم البلاد الإسلامية، وقد شغل منصب نائب رئيس لأحد المجالس التابعة لمركز الاستخبارات الأميركية CIA في فترة الثمانينيات من القرن الماضي. وفي هذا الكتاب يكشف المؤلف الخطوط العامة لظاهرة الإسلام السياسي من خلال رؤية واسعة ومركزة، كما يؤكد على تأثير الإسلام في السياسات الحديثة. وقد كتب كتابه هذا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وكان يسير ضد السياسة الأميركية حينئذ، ومع ذلك فهو لا يقدم كتابه هذا كاعتذار للمسلمين إنما هو مجرد محاولة لفهم وتعقل ظاهرة الإسلام السياسي لخدمة وطنه الأميركي.

ونحاول هنا أن نطرح الأفكار الرئيسة ونعلق عليها من خلال إحدى عشرة نقطة:

الأولى: تتطرق لطرح المؤلف أسئلة عدة عادة ما يطرحها المهتم بهذا الشأن، من مثل ما الإسلام السياسي؟ وما تأثيراته في العالم؟ وما التحديات التي يفرضها؟ وما التحديات التي تواجهه؟ وأين مراكز ثقله؟ وانتهى في هذه النقطة إلى أن الغرب يجني ثمار أخطائه في التعامل مع المسلمين، حيث ساند منذ فترات طويلة حكومات ظالمة ومستبدة، فتفجرت براكين الكراهية والغضب ضده وهو ما سهل على المعارضين الإسلاميين أن يسيطروا على الشارع المسلم، كما أن الظلم الاجتماعي سهل للحركات الإرهابية أن تتقوى وتتمدد.

الثانية: تظهر دعوة المؤلف بأن يتاح للإسلاميين الفرصة للتعبير عن آرائهم وعرض برامجهم وتنفيذ بعض تلك البرامج ماداموا لا ينحرفون عن القواعد الأساسية للمجتمع الدولي المعاصر، وهو في ذات الوقت يشك في قدرتهم على مجابهة كل مشكلات مجتمعاتهم، وفي رأيه أن العديد من تلك الحركات قد انحرفت فعليا عن بعض قواعد المجتمع الدولي، لكنه يرى أيضا أن بعض الحركات الإسلامية مازالت تتطور وتستحق المراقبة، رغم أن السلطات المحلية تعمل على إبعادها.

الثالثة: تكشف فهم المؤلف العميق لدور تلك الحركات في مواجهة ودفع الظلم وحل المشكلات الاجتماعية والحياتية للشعوب، وفي ذات الوقت تبحث عن وسيلة للتعبير عن آرائها وتدعو لبرنامج عملي من خلال النظم الحاكمة ذاتها، ومن هنا أخذ الإسلام السياسي ينمو ويتسع ويتطور ويتنوع، بل سوف يصبح حتما صاحب سمة مسيطرة وغالبة لسياسة الحكم في العالم الإسلامي، ومع أن الإرهاب يمثل خيطا رفيعا من التيار العام للإسلام السياسي، فإنه يمكنه أن يكون ذا قوة مؤثرة على خريطة العلاقة السياسية بين الإسلام والغرب بصفة خاصة، كما ظهر من أقوال وأفعال أسامة بن لادن ورد الفعل الأميركي تجاهه.

الرابعة: تبين أن الإسلام كدين يختلف عن الممارسات الإسلامية التي نتجت عن فهم بعض المسلمين للإسلام، فكلمة «إسلامي» تعني الشخص الذي يعتقد أن الإسلام كدين له رؤية سياسية للمجتمع الإسلامي المعاصر، بل يبحث عن ممارسة هذه الفكرة بطريقة عصرية، أما مصطلح «الأصولية» فهو يختص بالذين يتبعون قراءة حرفية ضيقة للنصوص الإسلامية و يحتكرون فهما واحدا للإسلام، ويعدون فهمهم للإسلام هو الفهم الوحيد الصائب، كما يظهرون عدم تسامح تجاه من يختلف معهم.

الخامسة: تظهر دعوة الكاتب لإعادة النظر والبحث في ظاهرة الإسلام السياسي بغض النظر عن محاولة فهم الإرهاب، فالإسلام السياسي يمثل بالنسبة للغربيين عالما غريبا وبعيدا مرتبطا بكفاح القرن السابع الميلادي لنشأة الإسلام، لكن الحقيقة غير ذلك، فسياسات الإسلاميين لم تستطع أن تصبح مهمة أو مؤثرة في السياسة الحديثة أو في التطور الاجتماعي كما أثر الإسلام قديما في العالم وسياسته. فالإسلاميون اليوم يناضلون مثل بقية شعوب الدول النامية ضد مشكلاتهم المزمنة والمستعصية، مثل مشكلة الحداثة والتطور والمدنية والتفكك

* أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

الاجتماعي والأزمات، وتدهور القيم والتقاليد وتهديدات العولمة وغيرها، ومعظم الإسلاميين ينظرون إلى الأمام ويحاولون تأسيس قاعدة أخلاقية أفضل للمجتمع قادرة على مواجهة متطلبات الحياة المعاصرة والتغلب على صعوباتها.

السادسة: وهي تعد الفكرة الرئيسة للكتاب، فهي تحاول إثبات أن ظاهرة الإسلام السياسي ليس ظاهرة بعيدة وغريبة إنما هي مرتبطة بشكل جوهري بالقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المعاصرة ذات الاهتمام العالمي، فمع أن الغرب لا يستريح كثيرا لوجود الدين في المحيط الاجتماعي، إلا أن أي دراسة للدين توضح مدى أهميته في مناحي الحياة، فمحاولة الإنسان أن يجد معنى فلسفيا وروحيا للحياة يمثل المادة الخام لمعظم الآداب والأفكار والفلسفات والفنون والموسيقى، والدين هو محور أساسي لكل تلك القيم، فهو رؤية للحياة كما أن الخوف من الفناء والاهتمام بما هو صواب وخطأ والتطلع لاستلهام قيم أخلاقية للوصول لكمال روحي في مراحل الحياة اليومية، كل هذه الاهتمامات تشغل الناس جميعا سواء أكانوا متدينين أم غير متدينين، والإسلام السياسي في قلب هذه الاهتمامات شأنه شأن غيره من النظم السياسية العالمية، ورغم أن معظم الشعوب الصناعية يظهرون عدم التعاطف مع الدين خاصة الدين المنظم، معتقدين أنه غير متسامح ويتضمن بقايا بعض الخرافات التي لم تندثر مع التقدم العلمي، فإن القليل من هؤلاء لا يهتم بما تثيره القضايا الدينية، فسيظل الدين قوة دافعة للمجتمع الإنساني.

نجاح الحركات السياسية الإسلامية سيستمر مادام الظلم الاجتماعي موجودا بين طبقات الشعوب

السابعة: يبرز فيها كاتبنا تدين الأميركيين وقوة صلتهم بالدين وأن الاتجاه الأميركي للعلمانية لا يعني أنهم ينكرون الدين ودوره في الحياة، بل العكس من ذلك هو الصحيح، حيث أراد الأميركيون بهذا التوجه أن يحافظوا على إيمانهم من بطش السلطة السياسية، فالأميركيون هم أكثر الدول الصناعية تدينا.

يؤمنون بالأهمية السياسية للدين، كما أنه يمكن رؤية وفهم بعض الملامح الأساسية والرئيسة في العالم الإسلامي من خلال الإسلاميين السياسيين أكثر من غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى كالاشتراكيين واليساريين والاجتماعيين والقوميين والديموقراطيين، وذلك لسبب بسيط وهو أن الإسلام يتخلل الحياة اليومية



الثامنة: تؤكد أنه من الواجب على من يدرس الظاهرة السياسية الإسلامية أن ينظر للظاهرة العالمية للدين والسياسة، فحتى لو تباينت وجهة نظر الغربيين والشرقيين لبعض القضايا مثل: حق الحياة وحق الموت (الإجهاض والموت الدماغي)، وفهم وتعليم الجنس، وقانون الطلاق، وغيرها من القضايا التي يرى الغربيون عدم صلتها بالدين، في حين يرى الإسلاميون أنها مرتبطة بالدين ارتباطا مباشرا، لكنهم جميعا للمجتمع الإسلامي بشكل أعمق من أي نظرية أو أيديولوجية أخرى.

التاسعة: أخذ فيها المؤلف يتأمل متسائلا عن مستقبل ظاهرة الإسلامي السياسي، وهل سيمثل دور المقاومة للعولمة وآثارها؟ أم سوف يمثل صيغة جديدة يتواءم بها الإسلام مع العصر وتتمكن المجتمعات الإسلامية عن طريقه من الدخول في الألفية الجديدة وهي أكثر ثقة بتراثها الحضاري؟ ثم هل الحركات الإسلامية قدمت أطروحات ثبت فشلها في النصف الثاني من القرن الماضي وانتهى الأمر، أم ستقبل تلك الأطروحات تعديلا وتغييرا يفيد الحركات الإسلامية لتنمو وتزداد ازدهارا؟

العاشرة: حملت بعض توقعات المؤلف لظاهرة الإسلام السياسي التي ستواجه متطلبات وضغوطا أكثر كلما زاد نجاحها، وأن نتائج الحرب على الإرهاب ستصير إلى غير جدوى وستفشل أميركا في القضاء على الإرهاب، وستتصاعد موجات الغضب الإسلامي مما قد يزيد العمليات الإرهابية ضد الأميركيين، وسيؤدي ذلك إلى توتر العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي، وكذلك سيحدث توتر بين الجالية المسلمة في الغرب والشعوب الغربية مما قد يصيب الحريات المدنية بنكسات كبيرة. وهذا سيؤدي إلى بُعد الحركات الإسلامية عن هدفها الأساسي وهو تقوية وبناء المجتمع الإسلامي، لأنها ستنشغل بالدفاع عن نفسها وربما الانتقام، لكن ليس كل الحركات ستقع في هذا الفخ.

أما النقطة الحادية عشرة والأخيرة فيظهر من خلالها كيف أن مستقبل الإسلام السياسي مرتبط بشكل وثيق بقضية الإصلاح، وسيستمر نجاح الحركات السياسية الإسلامية في العالم الإسلامي مادام الظلم الاجتماعي موجوداً بين طبقات الشعب، لكنه لو لم يتبنَّ الإسلاميون تلك القضايا بشكل فعال ومحاولة إيجاد حلول لها، ستنشأ قوى وحركات أخرى تتبنى هذه القضايا، خاصة حركات اليسار.

إعداد: علي الحربي

«ياهو» و«إنتل» توفران محتوى الإنترنت في التلفزيون



قامت شركتا ياهو وإنتل بتطوير برنامج يعرف باسم TV Widgets يسمح للمستخدمين بالوصول إلى صفحات الويب الشهيرة بجانب البرامج التي يشاهدونها، وتعمل شركة ياهو حاليا مع العديد من شركات تصنيع أجهزة التلفزيون مثل سامسونج وسوني وإل جي وفيزيو، بهدف توفير محتوى الإنترنت في أجهزة التلفزيون.

يذكر أن برنامج TV Widgets سيساعد المستخدمين على القيام بكثير من المهام بسهولة ويسر والاستمتاع بالوسائط المختلفة في جهاز واحد.

الإمارات تتصدر العالم في نمو الإنترنت

أعلن السكرتير العام للاتحاد الدولي للاتصالات في جنيف د. حمدون تورية أن دولة الإمارات العربية المتحدة باتت في صدارة دول العالم بعد أن حققت رقما قياسيا في معدل استخدام شبكة الإنترنت وتوفير تسهيلاتها بما تصل نسبته إلى ٢٠٠ بالمائة.

وأشار تورية إلى أن السوق العربي أصبح الأسرع على مستوى معدلات النمو التي يحققها في هذا القطاع، حيث وصلت نسبة زيادة معدل النمو فيه إلى ٣٠ بالمائة.



«نقاء تيوب» النسخة الإسلامية من موقع «يوتيوب»

في محاولة لإيجاد موقع مشابه لموقع "يوتيوب" المشهور أطلقت مجموعة من الإسلاميين السعوديين موقعا مشابها يحتوي على مضامين خالية من المحاذير الشرعية، على حد وصفهم، وأطلقوا على هذا الموقع اسم "اليوتيوب النقي"، ويعرف الشباب السعوديون موقعهم بالقول: Naqatube هو موقع يهدف لنشر مقاطع اليوتيوب الخالية من المحاذير الشرعية وفق منهج أهل السنة والجماعة عن طريق نقل روابط المقاطع بطريقة النسخ واللصق من موقع يوتيوب إلى موقع اليوتيوب النقي، مما يمنح المتابع بيئة نظيفة ومشاهدة مفيدة. ويمكن للمستخدم التسجيل كعضو فاعل وإطلاق قناته عبر الموقع والمشاركة في مجموعات والتعليق على مقاطع فيديو منشورة عليه كما يحدث على موقع يوتيوب.

«جوجل» تضفي مزيدًا من الدقة على نتائج البحث

قررت شركة «جوجل» إضافة روابط فرعية جديدة إلى قطاعات مختلفة من صفحات الإنترنت لتحسين نتائج بحثها، حيث تظهر تلك الروابط بجوار وصلات المواقع الرئيسية التقليدية، وقالت «جوجل» في مدونتها الرسمية: إنه من الآن سيكون أمام المستخدمين خياران، إما أن يضغطوا على رابط الموقع الرئيسي للتوجه إلى أعلى الصفحة، وإما أن يتوجهوا مباشرة إلى جزء معين من الصفحة.

وأوضحت الشركة أن الروابط الفرعية ستظهر بجوار فقرات قصيرة من النصوص التي تقتنصها «جوجل» من فتحات مواقع الإنترنت، حيث تظهر أمثلة من الكلمة المستفسر عنها بين نص معين، وإذا كنت قد استفسرت عن شيء ضيق النطاق لا يمكن لجوجل استنتاجه وتحديد المعلومات التي تهتم به فلن يظهر في تلك الحالة إلا رابط واحد متعلق بالجزء المرتبط بالاستفسار من صفحة الإنترنت.

وأشارت جوجل إلى أن مسؤولي المواقع يمكنهم اتخاذ خطوات لزيادة فرص توصيل أجزاء من صفحاتهم على روابط جوجل الجديدة، إذ يجب عليهم أولا ترتيب صفحاتهم ترتيبا جيدا، ومن ثمّ تقسيمها إلى أجزاء منطقية مميزة.



هاتف لتصنيف رسائل البريد الإلكتروني

أعلنت الشركة العالمية الرائدة في مجال تطوير وتصميم الهواتف النقالة HTC عن إطلاق هاتفها الذكي الجديد «إتش تي سي سناب» في أسواق الشرق الأوسط، والجهاز مزود بلوحة مفاتيح «كويرتي»، وتم تصميمه ليضم مجموعة من الميزات المختارة لتوفير مختلف متطلبات المستخدمين، بالإضافة إلى تسهيل بقائهم على تواصل مع الأشخاص الذين يفضلون التواصل معهم، ويحل الجهاز المشكلة التي يشكو منها بعض مستخدمي المحمول من حجم رسائل البريد الالكتروني الكبير ة التي يتلقونها، حيث تتيح ميزة «إنر سيركل» المبتكرة من «إتش تي سي» لمستخدمي هذا الجهاز إمكانية ضغط الزر الخاص بهذه الميزة بهدف إظهار رسائل البريد الإلكتروني من مجموعة مختارة مسبقا من الأسماء في مقدمة البريد الوارد الخاص بهم، وهو ما يتيح قراءة الرسائل بشكل فوري، وأكد المدير العام لشركة «إتش تي سي» فرع الشرق الأوسط وإفريقية أن هذه الميزة تسهل على الناس ترتيب الرسائل الإلكترونية حسب أولوية وأهمية الأشخاص الذين يتعاملون معهم بلمسة زر واحدة، لأننا ندرك مدى انزعاج المستخدمين من حجم رسائل البريد الالكتروني التي يتلقونها كل يوم، ويتميز الجهاز الجديد بنحافته وشكله الأنيق، حيث لا يزيد سمكه عن نصف بوصة (١٢مم)، ويتيح إمكانية التحدث لمدة ثماني ساعات ونصف الساعة متواصلة، نظرا لوجود بطارية تعمل بطاقة ١٥٠٠ مللي أمبير. وقد تم تزويد لوحة المفاتيح من طراز «كويرتي» بأزرار بارزة ذات حجم كبير ودرجة تجاوب عالية عند اللمس من أجل تسهيل عملية كتابة رسائل البريد الإلكتروني والرسائل النصية براحة ودقة عالية، وتتيح تقنية الاتصال بواسطة الجيل الثالث لبروتوكول توصيل حزم البيانات عبر الاتصال فائق السرعة «إتش إس بي إيه» سرعة وسهولة كبيرة في عملية إرسال الصور والوصول إلى مواقع الشبكات أو تحميل الملفات خلال التنقل.



إعداد: هالة محمد

الجلطة القلبية كثيرة الحدوث عند الصباح



أظهرت دراسة طبية هي الأولى من نوعها في الأردن والوطن العربي أن ساعات الصباح الباكر تشهد أكثر الحالات الحادة للجلطة القلبية مقارنة مع بقية ساعات اليوم.

وجاءت النتيجة بناء على دراسة أجرتها مجموعة بحث مؤلفة من أطباء القلب الأردنيين، واشتملت حوالي ١٠٠٠ حالة من عمان أصيبوا بالجلطة القلبية الحادة وعولجوا بنجاح بلغت نسبته ٩٧ في المائة، بينما توفي ٣ في المائة فقط من الحالات خلال فترة الإدخال للمستشفى .

واوضحت الدراسة أن ٥٥ في المائة من حالات الجلطة القلبية الحادة حدثت في الساعات الأربع الأولى بعد الاستيقاظ من النوم، وهي عادة ساعات الصباح الباكر بين الساعتين الخامسة والتاسعة صباحا، وان الـ٤٥ في المائة الباقية من الحالات توزع حدوثها على العشرين ساعة الباقية من اليوم.

وبحسب القائمين على الدراسة، فان ذلك يعود إلى الساعة البيولوجية داخل جسم الإنسان، حيث ترتفع هرمونات الادرينالين والكورتيزون خلال أول ساعات الصباح وبعد الاستيقاظ مباشرة، إذ إن هذه الهرمونات تعمل على زيادة ضغط الدم ونبض القلب مما يزيد استهلاك القلب من الاوكسجين، ويؤدي أيضا إلى زيادة قوة احتكاك الدم بجدران الشرايين التاجية حيث ترسبات الكوليسترول وتكون في أطوارها الأولى، مما يتسبب في انسلاخ البطانة المغلفة للشرايين داخليا، وبالتالي تتكون خثرة تغلق الشريان تماما.

«FDA» توافق على أول دواء لسرطان خلايا «T» في الغدد الليمفاوية

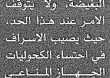
أعلنت هيئة الدواء والغذاء الأميركية «FDA» موافقتها على أول عقار لعلاج سرطان الـ«تي سيل» في الغدد الليمفاوية.

وقالت الـ«FDA» ان العقار Folotyn الذي تنتجه شركة آلوس الأميركية أثبت من خلال التجارب السريرية قدرته على تقليص أحجام الأورام الموجودة في خلايا «تي سيل» في الغدد الليمفاوية بنسبة ٢٧٪.

وبينت ان هذا العقار سيساعد على إطالة أعمار المرضى الذين يعانون هذا النوع من السرطان.



الكحوليات تصيب جهاز المناعة بالضعف



تنقلب روح المرح التي تسود مع تناول الكحوليات خلال الحفلات الصاخبة، إلى معاناة في اليوم التالي من آثارها البغيضة، ولا يتوقف الامر عند هذا الحد، حيث يصيب الاسراف في احتساء الكحوليات الجهاز المناعي بالضعف، مما يزيد من فرص الاصابة بالامراض.

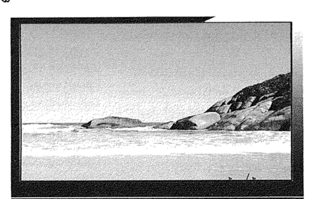
واظهرت نتائج ابحاث اجراها علماء اميركيون على فئران المعامل والخلايا ان الاسراف في تناول الكحوليات يعرقل اداء مكونين مهمين لجهاز المناعة لمدة ٢٤ ساعة أو أكثر.

ويعوق تناول الكحوليات مستقبلات بروتين «تي ال آر ٤» التي تحفز عادة استجابات جهاز المناعة، وفقا لما افاد به «ستيفن برويت» بقسم الطب البيطري بجامعة ميسيسيبي، و«روبنغ فان» من جامعة لويزيانا في المجلة الأكاديمية لعلم المناعة.

بالاضافة إلى ذلك يحد الكحول من افراز مادة السيتوكين التي تحذر الجسم من عدوى وشيكة.

وافاد الباحثون ان تأثير الكحول يبقى لفترة طويلة بعد اختتام الحفل، إلى حد أن بعض السيتوكين لا يؤدي دوره بالكامل على مدى ٢٤ ساعة بعد الحفل الصاخب.

الصمام الضوئي.. تقنية جديدة



مع الانتشار الواسع المنتظر لأجهزة التلفزيون ذات الشاشة المسطحة قليلة استهلاك الكهرباء، سوف تظهر مجموعة من التعبيرات الفنية الجديدة التي تحتاج إلى الفهم، ولذا تعتقد أغلب شركات صناعة أجهزة التلفزيون أن أفضل وسيلة لخفض استهلاك الأجهزة الحديثة من الكهرباء هي تغيير نوع مصدر الأشعة الضوئية الموجود خلف الشاشة المسطحة، إلى جانب تطوير الجهاز لتقليل الفاقد من الأشعة الضوئية الصادرة منه، والتي تستخدم في تكوين الصورة المعروضة.

وأحدث التقنيات الجديدة في شاشات عرض البللور السائل «إل سي دي» هي تقنية الصمام الضوئي الثنائي الخلفي، التي تستخدم بديلا عن مصابيح أنبوب الفلورسنت التي كانت تصدر الأشعة الضوئية في الماضي.

وهنا بدأ الغموض، لأن صناعة الإلكترونيات كانت تحاول في الوقت نفسه، دون نجاح كبير «تطوير شاشات عرض بحجم التلفزيون»، حيث يتم استخدام مجموعة من الصمامات الضوئية الثنائية لتكوين الصورة، ولكن الصمام الضوئي الثنائي الخلفي لم يفد مع هذه التكنولوجيا، وكل ما تغير هو مصدر الضوء الذي يلمع على وجه شاشة البلور السائل.

وانتشرت كلمة الصمام الضوئي الثنائي خلال السنوات الماضية، باعتبارها تشير إلى جيل جديد من المصابيح وأنظمة الإضاءة الأكثر كفاءة في استهلاك الطاقة، لذلك لم يكن غريبا أن تتجه شركات صناعة التلفزيون إلى هذه التقنية لاستخدامها كمصدر ضوء في التلفزيون.

وعلى سبيل المثال تقول شركة «فيليبس» للإلكترونيات إنها طورت أجهزة تلفزيون أقل في استهلاك الكهرباء بنسبة ٤٠٪، ومن المؤكد أن الطرق المختلفة لاستخدام تكنولوجيا الإضاءة الخلفية في أجهزة التلفزيون ستضفي مزيدا من الغموض حول هذه التقنية.

في الوقت نفسه، فإن استخدام هذه التقنية سوف يتاح لرجال المبيعات في معارض الأجهزة الإلكترونية، لكي يؤكدوا للعملاء أن الشاشات الجديدة أقل سمكا، وأكثر كفاءة من سابقتها. ويقول بيتر كوش من فرع «إل جي» الكورية الجنوبية في ألمانيا إن إنتاج شاشة أكبر حجما يحتاج إلى ما يصل إلى ٥٠٠ صمام ضوئي ثنائي.

ضفدع آكل للطيور مهدد بالانقراض

يهدد التغير المناخي بانقراض مخلوقات اكتشفت السنة الماضية في جنوب شرق آسيا، من ضمنها ضفدع آكل للطيور، وأبوبريص المتعدد الألوان، وطائر لا يطير.

ونقل موقع «لايف ساينس» المتخصص ان بعض الحيوانات المكتشفة حديثا معرضة لخطر الانقراض، ومن ضمنها ١٠٠ نوع نبات، و٢٨ نوع سمك، و١٨ نوع سحالي، و١٤ حيوانا برمائيا، واثنان من الثدييات، وطير واحد.

وتتمتع سحلية أبوبريص المكتشفة في شمال فيتنام بخطوط ملونة وعينين بنيتين مائلتين إلى البرتقالي مثل عيني القط.

ويتمتع الضفدع بمخالب حادة يقتل بها الطيور التي يترقبها في شلالات تايلند، بينما يمشي الطير المكتشف في احدى المحميات في فيتنام معظم الاوقات، ولا يطير الا حين يصاب بالخوف.

وتعتبر هذه الحيوانات المكتشفة حديثا أكثر عرضة لخطر الانقراض لأن مواطنها محدودة اصلا.





فتاوى اللجنة الدائمة بالوزارة

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



حج المرأة دون محرم

■ **أريد الذهاب إلى الحج مع إحدى الحملات، وقد طلبوا مني إحضار فتوى بجواز ذهاب المرأة إلى الحج أو العمرة دون محرم مع العلم أني مطلقة.. فما الحكم؟**

إن سفر المرأة مسافة قصر لا يحل إلا بصحبة زوج أو محرم، وهذا هو الأصل، ولكن أجاز بعض العلماء جواز سفر المرأة في الحج أوالعمرة للمرة الأولى (حجة الفرض أو العمرة الأولى) إذا كانت بصحبة نساء صالحات ورفقة جماعية مأمونة، والأخذ بهذا الرأي فيه تيسير على راغبات الحج أو العمرة، وهذا ما جرى عليه العرف متى أمنت الفتنة.

نصب لوحات تعريفية على كل قبر

■ **هل يجوز أن تقوم البلدية، وهي الجهة المسؤولة عن المقبرة، بتوفير لوحات معدنية للمقبرة بحيث توضع على كل قبر لوحة تعريفية تحتوي على اسم المتوفى ومعلومات عنه؟**

إن مبدأ إعلام الناس بالقبر وصاحبه أمر مشروع، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع بيده الشريفة حجرًا على قبر عثمان بن مظعون وقال: «أعلم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي» (رواه أبوداود).

وبناءً على ذلك يجوز أن يكون الإعلام بالكتابة بذكر صاحب القبر وتاريخ وفاته ونحو ذلك من البيانات الأساسية التي قد يحتاج إليها ولا يبالغ في ذلك، ويجب الحرص على ألا يكتب شيء من القرآن الكريم تنزيهًا للقرآن عن الابتذال.

الحلف على تشبيه امرأة أجنبية بالأخت

■ **كنت أنوي الزواج من فتاة وقد حصل أن قلت (والله العظيم هي مثل أختي)، فهل يترتب على هذه الطلقة شيء مع العلم بأن الزواج لم يتم بعد؟**

إن ما صدر من المستفتي لغو لا يترتب عليه شيء وله الزواج من هذه المرأة.

بيع المالك السلعة مرة أخرى بعد بيعها

■ **أردت شراء سيارة من شخص عن طريق بيت التمويل الكويتي، وقد اتفقنا على سعر معين على أن أعطيه ربع قيمة السيارة قبل الذهاب إلى البنك، وذلك حتى أقلل قيمة الأرباح، فهل تجوز هذه المعاملة بهذه الطريقة؟**

هذه المعاملة لا تجوز، لأن البيع تم بين مالك السيارة والمشتري، فلا يجوز للمالك أن يبيعها مرة أخرى لأنها خرجت من ملكه، فضلا عما في هذا التصرف من الاحتيال الباطل، ويمكن للسائل أن يعرض على بيت التمويل تخفيف نسبة الربح لأنه سيدفع جزءا من الثمن حالاً.

شروط بيع المرابحة

■ **يرجى التكرم بإجابتي عن شروط عمليات المرابحة.**

المرابحة هي مبادلة المبيع بما قام به على البائع مع زيادة ربح بمبلغ معّين أو بنسبة مئوية من التكلفة، ويشترط لصحتها ما يلي:

١- أن يكون المبيع قد دخل في ملك البائع وحازه إليه.

٢- علم المشتري بالثمن الذي قام به على البائع، ولا يحل للبائع أن يكذب



فيزيد في الثمن الذي يخبر به، فإن كذب وزاد استحق المشتري استرجاع الزيادة وما يقابلها من الربح، فلو لم يعلم الثمن الأول حتى افترق العاقدان عن المجلس بطل العقد لتقرير الفساد.

٣- العلم بالربح لأنه بعض الثمن، والعلم بالثمن شرط في صحة البيع.

٤- أن يكون العقد الأول الذي اشترى به البائع صحيحًا، فإن كان فاسدًا لم يجز أن يبيعه مرابحة.

الوصية بأكثر من نصيبه

■ **هل يجوز للمتوفى أن يوصي بتركته كلها لزوجته وابنته فقط ويحرم بقية الورثة؟**

الوصية للزوجة والبنت بأكثر من نصيبهما لا يجوز لأنه لا وصية لوارث.

تقديم التبغ والنارجيلة والشيشة

أريد أن أعمل في مطعم على شكل منتزه، يقدم وجبات الطعام بجميع أنواعها، وأريد أن أقدم للزبائن النارجيلة وذلك رغبة مني في كسب زبائن أكثر.. فهل مكسب النارجيلة حلال أم حرام؟ وإذا كان حرامًا وأردت تأجير النارجيلة لأي شخص لكي أروج وجبات الطعام على اختلاف أنواعها، فهل هذا الإيجار الذي أتقاضاه من الشخص حلال أم حرام؟

القول بحكم تجارة التبغ أو الدخان مبني على القول بحلّ تعاطيه أو بحرمته أو بكراهيته، وقد اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في هذا الحكم، وأعدل الأقوال أن تعاطيه مكروه تنزيهًا، وقد يكون حرامًا إذا تأكد أن تعاطيه مضر لمن يتعاطاه ضررًا بالغاً.. وبناء عليه تكون التجارة فيه مكروهة.

وتنصح اللجنة السائل بعدم الإقدام على ذلك تفاديًا لإحداث الضرر بالناس، سواء كان التقديم منه مباشرة أو ممن يتفق معه على التعهد بذلك.

من القواعد الفقهية

١- الأصل براءة الذمة من الواجبات، ومن حقوق الخلق حتى يقوم الدَّليل على خلاَف ذلك.

٢- الأصل بقاء ما اشتغلت به الذمم من حقوق الله وحقوق عباده حتى يُتيقنَ من البراءة والأداَء.

٣- كل ما فيه عدد من العبادات فإنّ المُتيقّن هو الأقل، والزيادة من الشك.

٤- المشقة تجلب التيسير.

٥- ضابط المشقة، المشقّة الزائدة التي لا يمكن للمكلّف أن يستمر في تحملها عادة إلا ببذل أقصى الجهد، ولا يمكن المداومة عليها، بحيث تؤدّي إلى وقوع الضّرر أو الأذى في النفس أو المال.

٦- لا واجب مع العجْزِ، ولا محرم مع الضرورة.

القواعد والضوابط الأصولية والفقهية
عبدالرحمن بن ناصر السعدي

من قرارات مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من ١-٦ جمادى الأول ١٤٠٩هـ- الموافق ١٠-١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨م.

بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع تحديد أرباح التجار، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله قرر ما يلي:

أولا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارا في بيعهم وشرائهم وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملا بمطلق قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)(النساء٢٩).

ثانيا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق والقناعة والسماحة والتيسير.

ثالثا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته، كالغش والخديعة والتدليس والاستغفال وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة.

رابعا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلاّ إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ عن عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة الممكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل، والغلاء والغبن الفاحش.



مسك الختام

د. محمد حسان الطيان

لعل له عذرًا وأنت تلومُ

من جميل الأخلاق التي خلَّقنا بها الإسلام أن نلتمسَ لأخينا الأعذار، فقد ورد في الأثر: التمس لأخيك عُذرًا، وما هذا العنوانُ الذي اخترناه لهذه الكلمة إلا شطرٌ تناهبَه الشعراء وضمَّنوه قصائدَهم، ولعل أقدمهم صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري (ت ٢٠٨هـ) حيثُ يقول:

لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ
وكم لائم قد لامَ وهوَ مُليمُ

وتبعه دعبل الخُزاعي (ت ٢٤٦هـ) حيثُ يقول:

تأنَّ ولا تعجَل بلَومكَ صاحبا
لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ

ثم تلاه أبوالعلاء المعرِّي (ت ٤٢٩هـ) فقال:

لكَ اللهُ لا تذْعَر وَليًا بغضبَة
لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ

إلى أن جاء أمير الشعراء فصاغه صياغة جديدة أسبغ فيها عليه من روحه، وأضفى عليه مسحة بديعة، إذ قال في رائعته الميمية «ريم على القاع بين البان والعلم»:

رُزقتَ أسمَحَ ما في الناس من خُلُق
إذا رُزقتَ التماسَ العُذر في الشيَم

والناظر في كتاب الله يقف على عشرات الآيات التي تدلُّ على سَماحة الإسلام وسَعَة صدره حتى مع الكفَّار، بل مع الأعداء الذين يُناصبونه العداء.

اقرأ معي، إن شئتَ، خطابه للكفار في سورة «الكافرون»: ﴿قُل يأيها الكافرون، لا أعبُدُ ما تَعبُدون، ولا أنتُم عابدونَ ما أعبُد...﴾ فمَبلغُ ما وصل إليه التباعُد والتنافُر معهم أن قال لهم: ﴿لَكُم دينُكُم وليَ دين﴾، واقرأ معي، إن شئتَ، قوله في سورة سبأ الآية الـ٢٤ ﴿وإنَّا أو إيَّاكم لَعلى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبين﴾، تَعجَب لهذه السماحَة التي وصلت إلى حدِّ التسوية التامَّة والحيدة التامَّة في المناظرة والمناقشة والجدَل.

أليس عَجيبًا بعد ذلك أن يَضيقَ صدرُ المؤمن بأخيه المؤمن، فيُناصبَه العداء لأدنى ملابسة وأقلِّ مخالفة في الفَرعيات والفَرضيات والأمور الثانوية؟ مع أن أسلافَنا علَّمونا أن الخلافَ في الرأي لا يُفسد للودِّ قضية! ومع أن علماءنا ضربوا لنا أروعَ الأمثلة في التسامح والتوادِّ والتآلف، وكان رائدهم في ذلك تلك المقولَة الرائعة: «لنتعاون فيما اتَّفقنا عليه وليَعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلَفنا فيه» وقد أُثر عنهُم في ذلك الكثير من مثل قولهم: «خُذ ما صَفا ودَع ما كدَر»، وقول الشاعر:

خُذ من زَمانكَ ما صَفا
ودع الذي فيه الكدر

وقول الآخَر:

لعَمرُكَ ما ضاقَت بلادٌ بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

والذي لا ينقضي منه العَجَب أن نختلفَ اليوم في أشياءَ انقضى عهدُها وطال الزمان بها، ولسنا مكلَّفين بأن نحمل تبعتها، فالله سبحانه يقول: ﴿تلكَ أمةٌ قد خلت لها ما كَسَبَت ولكُم ما كَسَبتُم ولا تُسألونَ عمَّا كانوا يَعمَلون﴾(البقرة: ١٣٤)، فلمَ نختلف اليومَ في أُناس كانوا قد اختَلفوا، وقد أفضَوا إلى ربِّهم سبحانه، وهو الأعلمُ بهم؟ وماذا يفيدنا أن ننتصر لزيد منهم أو عمرو؟ أليست ﴿كلُّ نفس بما كَسَبَت رَهينة﴾؟ أوَلم يقل ربنا سبحانه: ﴿ولا تَزرُ وازرَةٌ وِزرَ أُخرى﴾ فلم نتحمَّلُ وزرَ الآخرين؟ أليست أوزارُنا ثَقيلة؟ فلمَ نزيدُها ثقلاً؟

وإذا أصرَّ نفرٌ منَّا على تحمُّل أوزار الآخرين فلمَ نتحمَّل ذلك معهم؟ أليس الأجدر بنا أن ندعهم وشأنهم وأن نصونَ أنفسنا ونترفَّعَ عما وقعوا فيه، وأن نُحجمَ عما تورَّطوا فيه؟.

ورحم الله القائل في هذا: «تلك فتنةٌ عصمَ الله منها سُيوفَنا أفلا نَعصمُ منها ألسنَتَنا؟».

ومن المؤسف حقًا ألا يقتصرَ أمرُ التنافُر والتباعُد وضيق العَطن على المذاهب والطوائف والفئات، وإنما يعدوها ليفرِّق بينَ المرء وأخيه، والصديق وصديقه، والحِبِّ وحبيبه، ولو رحنا نبحث عن علَّة ذلك كلِّه لوجدناها تكمُن في سوء الظنِّ وعدم التماس العُذر:

إذا ساءَ فعلُ المرء ساءت ظُنونُه
وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى مُحبِّيه بقول عُداته
وأصبحَ في ليل من الشك مظلم

والحق أن الخاسرَ الأكبر بين الأصدقاء والإخوان هو ذاكَ الذي لا يأخذُ نفسه بالتماس العُذر لأصدقائه وإخوانه وحسن الظنِّ بهم ، فيأيها المسلمُ وسِّع من صدرك، وحسِّن من خلقك، مُؤتسيًا بخير الخلق في سيرتك، و ليكُن شعارك دائمًا عندما تجد في صديقك ما لا يَروق لك: لعلَّ له عُذرًا وأنتَ تلومُ.





بشرى سارة



الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

المجموعة الكاملة المصورة لمجلة الوعي الإسلامي

٤٦ عاماً من العطاء

الجزء الثاني

الأعداد من (٣١٣) الى (٥٢٦)

احصل على نسختك الآن عند الإشتراك في المجلة

٤٦ عاماً من العطاء

الجزء الأول

الكشاف العام + العدد (١) إلى (١٥٦)

www.alwaei.com

٤٦ عاماً من العطاء

الجزء الرابع

من العدد (٤٢١) إلى (٥٢٦)

www.alwaei.com

٤٦ عاماً من العطاء

الجزء الثاني

من العدد (١٥٧) إلى (٣١٢)

www.alwaei.com

٤٦ عاماً من العطاء

الجزء الثالث

من العدد (٣١٣) إلى (٤٢٠)

www.alwaei.com

الكويت - المسجد الكبير - ١٨٤٤٠٤٤ - ٢٢٤٦٧١٣٢ - فاكس - ٢٢٤٧٣٧٠٩
info@alwaei.com - www.alwaei.com